

# مُختَصَر مَطَالِحِ السُّحُوفِ

بَطِيبِ أَخْبَارِ الْوَالِي دَاوُدَ

لُعْثَمَانُ بْنُ سَنَدٍ  
(ت ١٢٤٢هـ)

اِخْتَصَرَهُ

الشَّيْخُ / أَمِينُ بْنُ حَسَنِ الْخَلَوَانِيِّ الْمَدَنِيِّ  
(ت ١٣٣٠هـ)

وَبِهَامِشِهِ تَعْلِيقَاتٌ لِلْعَلَّامَةِ مُحِبِّ الدِّينِ الْخَطِيبِ  
(ت ١٣٨٩هـ)

عُنِيَ بِهِ / سَلِيمَانُ بْنُ صَالِحِ الْخَرَّاشِيِّ

مُختَصَر

# مَطَالِحِ السُّحُوفِ

بَطِيبِ أَخْبَارِ الْوَالِي دَاوُدِ

لِعُثْمَانَ بْنِ سَنَدٍ

( ت ١٢٤٢ هـ )

اسم الكتاب: مُخْتَصَرُ مَطَالَعِ السُّعُودِ بِطَبِيبِ أَخْبَارِ الْوَالِي دَاوُد  
لُعْثْمَانِ بْنِ سَنَدٍ (ت ١٢٤٢هـ)  
اختصره: الشيخ أمين بن حسن الحَلَوَانِي المَدَنِي (ت ١٣٣٠هـ)  
الطبعة الأولى: ٢٠١٩م - ١٤٤٠هـ

© جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-614-424-314-5



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني - KHALED AL ANI

الحازمية - مفرق جسر الباشا - بجانب بنك بيروت - ط ١ - بيروت - لبنان  
ص.ب: ١٣ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - ٩٥٥٦١٨ ٥ ٠٠٩٦١  
فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١  
هاتف نقال: ٣٨١٠٨١ ٧٦ ٠٠٩٦١ - ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١  
الموقع الإلكتروني: [www.arabenchouse.com](http://www.arabenchouse.com) البريد الإلكتروني: [info@arabenchouse.com](mailto:info@arabenchouse.com)

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله  
بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or  
transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

مُختَصَر  
مَطَالِحِ السُّعُودِ

بَطِيبِ أَخْبَارِ الْوَالِي دَاوُدَ

لِعُثْمَانَ بْنِ سَنَدٍ

(ت ١٢٤٢هـ)

اختصره

الشيخ أمين بن حسن الكلواني المكي

(ت ١٣٣٠هـ)

وبهامشه تعليقات للعلامة محب الدين الخطيب

(ت ١٣٨٩هـ)

عُني به

سليمان بن صالح الخراشي

الدار العربية للموسوعات

بيروت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَقَالَتِي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ  
شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ  
يُضِلِّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿١٠٢﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ  
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا ﴿١﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ  
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

﴿٧١﴾

أما بعد: فقد صنّف الشيخ عثمان بن سند كتابًا عن وزير بغداد

في زمنه: داود باشا<sup>(١)</sup>، سَمَّاه: "مَطالِع السُّعود بِطِيب أخبار الوالي داود"، اشتمل على ترجمته ومسيرة حياته، مع كثيرٍ من الأحداث التاريخية والسياسية التي واكبت تلك الفترة في محيط جزيرة العرب والعراق والدولة العثمانية.

ثم قام الشيخ المَدَنِي: أمين الحلواني باختصار كتاب ابن سند، مُقتصرًا على الأحداث التاريخية، متجنبًا الأمور الأدبية التي فرَّقها ابنُ سند في كتابه - من شعرٍ أو سجع -، وطبع كتابه بخط اليد في الهند (عام ١٣٠٤هـ).

ثم قام العلامة محب الدين الخطيب بطباعة مختَصَر الحلواني في مطبعته السلفية (عام ١٣٧٢هـ)، مع التقديم له، والتعليق عليه

---

(١) له ترجمة في "دوحة الوزراء" (ص ٢٧٥ وما بعدها)، و"أعيان القرن الثالث عشر" (١٨٠-١٨٢)، و"الأعلام" (٣٣١/٢)، وموسوعة السياسة (٢/٦٥٣-٦٥٤). وانظر للتوسع: كتاب "داوود باشا والي بغداد" للدكتور عبدالعزيز نوار، وكتاب "داوود باشا ونهاية الممالك في العراق" ليوסף عز الدين. وسيأتي مزيدٌ عنه في مقدمة الشيخ محب الدين الخطيب، وفي ثنايا هذا المُختَصَر - إن شاء الله -.

بتعليقات نفيسة<sup>(١)</sup>، تنمُّ عن سعة اطلاعه، ونباهته.

ونظرًا لأن هذه الطبعة أصبحت عزيزة الوجود؛ فقد ارتأيت إعادة طبع المُختَصَر، معتمدًا - بعد الله - على نسخة المؤلف التي طبعها في الهند<sup>(٢)</sup> - كما سبق<sup>(٣)</sup>. والله الموفق.

### تنبيهات:

(١): معاني بعض المصطلحات التي ستتردد في الكتاب:

- الآغا: لقبٌ تركي، بمعنى الرئيس والقائد، وقد أُطلق على كبار رجالِ العسكر في الدولة العثمانية، من الفرق المختلفة.

---

(١) أبقىْتُ مُعظمها، مذيلاً إياها باسمه (الخطيب).

(٢) ولها نسخة أخرى مكتوبة في (١٥/١١/١٢٩٣هـ) نشرها الشيخ عبدالله البسام - رحمه الله - في "خزانة التواريخ النجدية" (٦/٢٣٩-٣٣٣). ولكن الحلواني اعتمد في الطبع على النسخة التي بين يديك.

(٣) وهي من محفوظات مكتبة الملك عبدالعزيز بالرياض، وتقع في (٦٤ صفحة)، زودني بها مشكورًا: الأستاذ المُفيد: إبراهيم بن عبدالعزيز اليحيى، رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة - جزاه الله خيرًا -. كما لا يفوتني أن أشكر الدكتور المُفيد: عبدالله المنيف، وكيل التطوير والجودة بعامة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، الذي اجتهد في جلب مخطوط الأصل "مطالع السعود" من العراق - جزاه الله خيرًا -.

- الأفندي: لقبٌ يُستعمل في الوظائف الدينية والعلمية الرفيعة.
  - الخزنदार: مسؤول الخزانة السلطانية في إسطنبول.
  - الكتخدا: كلمةٌ فارسيّةٌ تعني: الوكيل.
  - المُتسلّم: هو نائب الأمير الذي يُنصب لتسلّم اللواء من الحاكم السابق.
  - المهردار: حاملُ ختم الباشا.
  - السّرّدار: رئيس الجند، وقائدهم.
  - إياله: أي ولاية تابعة للدولة العثمانية.
  - الدولة العليّة: أي: الدولة العثمانية.
  - الفرمان: القرار.
  - الدفتردار: المُكلّف بتسجيل مصادر خزينة الدولة.
  - الكيخيا: المُشرف على القصر، أو رئيس التشريفات.
- (٢):

سيمر بالقارئ أسماءُ مُدُنٍ ومواضعٍ وقبائلٍ وعشائرٍ عراقية،  
سيُفيد من أراد التعرف عليها من هذه الكتب:

- ١- عشائر العراق؛ للمحامي عباس العزاوي - رحمه الله -.
- ٢- موسوعة العشائر العراقية؛ للأستاذ: ثامر العامري.
- ٣- موسوعة المدن والمواقع في العراق؛ للأستاذ: بشير يوسف فرنسيس.

(٣):

حيث أن مؤلف الكتاب "ابن سند" كان من المناوئين للدعوة السلفية الإصلاحية التي جدّها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، فقد وصمّها بالوهابية<sup>(١)</sup>، وافترى عليها كثيرًا في كتابه - كما سيأتي -، لذا؛ يحسن بمن أراد التعرف على حقيقتها، وأنها دعوة الكتاب والسنة بفهم الصحابة رضي الله عنهم؛ فليرجع إلى هذه الرسالة المهمة: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي"؛ للشيخ الدكتور: صالح بن عبد الله العبود<sup>(٢)</sup>.

---

(١) هذا الوصف يُقبل من المُحب أو الباحث؛ إذا كان للتعريف، والأولى تركه، والاكتفاء بالدعوة الإصلاحية أو السلفية. أما المُبغض والحاقد من الغربيين أو أهل البدع فيقصّدون به التنفير منها.

(٢) وهي موجودة على شبكة الإنترنت.

## مقدمة العلامة مُحِب الدين الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٦)

لَمَّا كانت مصرُ تُحكم بالماليك، وعندما كان المملوك أحمد باشا الجزار يلعب في سواحل الشام على الحبلين، كانت العراقُ تُحكم بالماليك كذلك، بل كان جيش الدولة العثمانية نفسه -الذي يُسمى بالينيجية<sup>(١)</sup>- قائماً على هذا الأساس، برجالٍ إذا عَرَفَ الواحدُ منهم اسمَ والدِه، فقلَّما يعرف أصلَ ذلك الوالد والأسرة التي ينتمي إليها، فهو نظامٌ يتولاه أناسٌ من أصولٍ مُنكرة، مجهولة الأعراق.

وداود باشا (وزير بغداد ١٢٣٢ - ١٢٤٦) الذي أَلَفَ ابنُ سند تاريخَه هذا على اسمه: كان مملوكاً جيء به من بلاد الكرج على

---

(١) أي: الانكشارية. وهو الجيش العثماني القديم -كما سيأتي -.

الساحل الشمالي للبحر الأسود، وبيع صبيًا في أسواق العراق،  
فاشتهراه مصطفى بك الربيعي، أحد أعيان ذلك القطر، ثم اشتراه  
منه سليمان باشا الكبير (وزير بغداد ١١٩٤-١٢١٧) الذي كان هو  
كذلك مملوكًا لحسن باشا (وزير بغداد ١١١٦-١١٣٦)، وورثه عنه  
ابنه أحمد باشا (وزير بغداد ١١٣٦-١١٦٠) فأعتقه.

ومن قبله كان علي باشا الإيراني (وزير بغداد ١١٧٦-١١٧٨)  
ربيب أحمد باشا، وكان الوزير عمر باشا (١١٧٨-١١٨٩) مملوكًا  
لأحمد باشا أيضًا.

كما أن من ممالك سليمان باشا الكبير أو ذوي قرابته ممن تولوا  
وزارة بغداد: صهره علي باشا (١٢١٧-١٢٢١)، وابن اخته سليمان  
باشا القتيل (١٢٢١-١٢٢٥)، وعبد الله باشا (١٢٢٥-١٢٢٧)  
الذي نشأ مملوكًا له وعتيقًا.

فوزراء العراق في قرن كاملٍ ورُبْع قرن، تفرّعوا من بيت حسن  
باشا ابن مصطفى بك السباهي، إما من ذوي قرابته، أو من ممالكه،  
أو من أصهارهم وذوي أرحامهم.

وقد تخللت ذلك فتراتٌ قليلةٌ تولى الوزارة فيها رجالٌ أقحمتهم



القسطنطينية على ممالك العراق، فكانوا أسوأ من هؤلاء إدارةً، وأقلّ اضطلاعاً بمهمة الحكم.

وداود باشا كان آخرهم وأعلمهم، إلا أنه كان حريصاً على أن يأخذ أكثر مما يُعطي، وعلى أن يُثنى عليه بلسان المجاملة، وأن يُنظر إلى تصرّفاته بعين الرضا.

وقبل أن يُناط بابن سند تأليف هذا التاريخ في أواخر ولاية داود باشا، كان داود باشا قد ناط مثل هذه المهمة بمؤرخ آخر، لعله كُردي، وهو رسول حاوي أفندي الكركوكلي<sup>(١)</sup>، فكتب باللغة التركية كتاب "دوحة الوزراء"، وطُبِع سنة ١٢٤٦ بأمر داود باشا في أول مطبعة عرفتها بغداد، وأغلب الظن أن هذا المؤلف الكركوكلي هو الذي يُسميه ابن سند: «المؤرخ التركي»، ويصحح له بعض أخباره في هذا الكتاب. وكانت إقامة ابن سند في البصرة وبلدة الزبير، وكان يتردد على بغداد، ويجتمع بوزرائها وعلمائها وأعيانها وأمراء القبائل، فهو من شهود العصر الذي أرّخ له. وقد امتاز كتابه بدقّة أخباره عن جنوب العراق، وانفراده بحوادث

---

(١) المتوفى عام ١٢٤٢هـ.

وحقائق لا توجد عند غيره، وبصحة حُكمه على شؤون القبائل، وجمال وصفه لبعض أيامها، ومعرفته بأقدار فرسانها وذوي أحلامها.

بل إنّه مع شدة تعصبه المذهبي على الدّعوة السلفية التي قام الأئمة من آل سعود بنصرتها، ومع إسرافه أحياناً في غمط جانبهم، فإنّ عروبتَه الخالصة، وحُسنَ فهمه لنتائج الإصلاح الذي ترتب على هذه الدعوة، قد أطلق لسانه بالثناء على ما صار إليه جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام؛ كأنهم إخوان، أولادُ رجلٍ واحد. وهذا أمرٌ كانت جزيرة العرب محرومةً من خيراتِه بعد القرون الثلاثة الأولى من صدر الإسلام، أي منذ استعجم الإسلام.

وأظنّ أنّ ابنَ سند لو كانت إقامته دائماً في بغداد لا في البصرة؛ لكان توغله في معرفة دخائل الوزراء ومماليكهم وأعوانهم من الكتخدائية والخزندارية أدقّ وأشمل، بل لو كان عزمه على تأليف هذا التاريخ متقدماً على مدة وزارة داود باشا؛ لكانت المادة التي يُسجلها في مختلف السنين أَدسَمَ وأوضح.

وعلى كل حال؛ فإنه بهذا الكتاب ملأ فراغاً في المكتبة العربية كنا في وحشةٍ منه.

وعندما يبسط أفاضلُ المؤرخين العراقيين في تمحيص ماضي بلادهم وأمتهم سيستفيدون من كتاب ابن سند في المقارنة بين نظراته إلى الحوادث من الناحية التي هو فيها، وبين نظرات المؤرخين الآخرين من النواحي التي هم فيها، فيكمل لهم إن - شاء الله - بعثُ تاريخ تلك الحقبة، وبثُ الحيوة والضوء في مجاهلها.

والاختصار الذي قام به العالم المدني: الشيخ أمين بن حسن الحلواني، كان يتوخى فيه المحافظة على جواهر الحوادث، بل كان حريصًا على أن يزيدها وضوحًا بتعليقاته وزياداته التي ميّزها عن الأصل، بأقواسٍ صان بها أصل الكتاب عن أن يلبس به ما ليس منه<sup>(١)</sup>. أما الاختصار فقد تناول القصائد والاستطرادات التي لا دخل لها في بيان الحوادث.

---

(١) في غالب الأحيان. وإلا فإن زياداته عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - قد اختلط بعضها بالأصل؛ لعدم وضعها بين قوسين - كما سيأتي -، ولعل ذلك من ناسخٍ مُختَصَره. وكذلك زياداته عند حديثه عن دخول جيش محمد علي باشا للمدينة لإخراج أتباع الدعوة الإصلاحية منها، فقد أطلال وفصل فيه وهول! نظرًا لأنه من أهلها.

وكان تاريخُ ابن سند مُسجَّعًا على طريقة العتبي<sup>(١)</sup> في تاريخِ  
يمين الدولة ابن سُبُكْتِكِين، وشرحه للشيخ الميني<sup>(٢)</sup>، فأطلقه  
الشيخ أمين الحلواني من قيود السَّجْع، لأن هذا هو اللائق بكتب  
التاريخ.

وقد حاول كاتب هذه السطور أن يخدم الكتاب على قدر ما  
يستطيعه ناشرٌ بعيدٌ عن آفاق العراق، فعَلَقْتُ عليه بما تيسر لي،  
وأردفتُ هذا التصدير بترجمةٍ مستفيضة لابن سند، بقلم صديقي  
العالم الكبير السيد محمد بهجة الأثري<sup>(٣)</sup>. ولا بن سند تراجم أخرى  
في "حديقة الأفراح" للشرواني، وفي "المسك الأذفر" للسيد محمود

---

(١) هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي الرازي (ت ٤٢٧هـ) أديبٌ  
ومؤرخٌ وشاعرٌ عربي، عاش في فارس زمن الخلافة العباسية.

(٢) وهو "الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي"؛ للشيخ أحمد بن علي  
الحنفي الطرابلسي الأصل، الميني، الدمشقي (ت ١١٧٢هـ)، ومنين:  
قرية من قرى دمشق.

(٣) وقد استبدلتها بترجمةٍ أضفى منها، نقلتها من مقدمة تحقيقي لكتاب  
"الرد الدامغ على الزاعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية زائف"؛ للشيخ  
عثمان بن منصور، في الرد على ابن سند. دار التدمرية ١٤٢٥هـ.

شكري الألوسي، وفي "مختصر طبقات الحنابلة" للشطبي<sup>(١)</sup>، وقصيدة ابن سند «إبطال الرابطة» في المجلد الثاني عشر من (المنار) (ص ٣٥٠).

أما ترجمة الشيخ أمين الحلواني فقد استنبطت بعضُها من تعليقاته في هذا الكتاب، واقتطفتُ البعض الآخر من الكتب التي نشرها واقتنيتها في خزانة كتبي، ومما كنتُ تلقفته عنه في عشرات السنين الماضية. وقد كتبتُ عنه دائرة المعارف الإسلامية أسطرًا معدودة، اكتفت بها؛ لأنها لم تجد مصادرَ ترجع إليها في توفية الترجمة حقَّها.

وإني تعبتُ كثيرًا في استخراج فهرس الأعلام التاريخية لهذا الكتاب، ولاسيما في تعيين شخصيات آل بابان<sup>(٢)</sup> وأمثالهم، لتشابه أسماءٍ تختلف مسمياتها. وعند استخراج الأسماء تبينتُ لي من مقارنتها بياناتُ كنتُ أحبُّ لو أُنِي علقْتُ بها على مواضعها من متن الكتاب، فاستدركتُ ذلك بذكر الممكن منه في الفهرس نفسه.

---

(١) مع أن ابنَ سند كان مالكيًا. (الخطيب).

(٢) الأكراد.

ولم يهون عليَّ ما لقيتُ في خدمة هذا التاريخ للعراق إلا إيماني  
بأن العراق جزءٌ عزيزٌ من صميم وطني، وطن العروبة والإسلام.

محب الدين الخطيب

## ترجمة عثمان بن سند<sup>(١)</sup>

هو الشيخ عثمان بن سند بن محمد بن أحمد بن راشد بن حمد بن ناصر بن راشد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن مدلج بن حمد، الرباعي، العنزي، الوائلي.

هاجر والده سند بن محمد من بلدة حريملاء بنجد عام ١١٦٨ هـ إلى جزيرة (فيلكة) بالكويت لطلب الرزق، فوُلد له بها المترجم له عام ١١٨٠ هـ، ثم انتقلت أسرته بعد ذلك إلى الأحساء وهو في سن الصغر.

---

(١) أبرز مصادر ترجمته: "أعيان البصرة" (١٥)، "مختصر طبقات الخنابلة" للشطبي (١٨٠)، "حديقة الأفراح" (٢٨٥)، "هدية العارفين" (١/٦٦١)، "المسك الأذفر" للألوسي (ص ٢١٣)، "تسهيل السابلة" لابن عثيمين (٣/١٦٨١)، "علماء نجد خلال ثمانية قرون" (٥/١٤٣)، "معجم المؤلفين" (٦/٢٥٥)، "مقدمة مطالع السعود"، "مقدمة مختصر مطالع السعود" لأمين الحلواني، "أعيان القرن الثالث عشر" لخليل مردم، ص ١٦٩، "علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون" لعدنان الرومي، (ص ٢٠)، "إمارة الزبير بين هجرتين" (٣/٧٦)، "الأعلام" (٤/٢٠٦)، "الشيخ عثمان بن سند البصري" مقال لكاظم الدجيلي في مجلة لغة العرب (٣/١٨٠)، "تنوير السند بتراجم العلماء من آل سند" (ص ٢)؛ لمحمد بن حسن المبارك.

وفي الأحساء طلب العلم على يد علمائها؛ من أمثال الشيخ:  
محمد بن عبدالله بن فيروز<sup>(١)</sup>، والشيخ النحوي عبدالله البيتوشي<sup>(٢)</sup>  
الذي اختص به واستفاد منه كثيرًا.

---

(١) المولود عام ١١٤٢هـ والمتوفى عام ١٢١٦هـ، كان حامل لواء المعارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - السلفية، وملجأ خصومها، هرب من الأحساء إلى البصرة، مواصلاً تأليب الناس على الدولة السعودية. للتوسع عنه: انظر رسالة: "تحذير أهل الإيوان عما تضمنته رسالة ابن فيروز من البهتان"؛ للشيخ عبدالله بن سعد آل محمود (بتحقيقي). قال الشيخ سليمان بن سحمان: "قد كان من المعلوم أن محمد بن فيروز من أئمة الضلال، ومن شَرِّق بهذا الدين، وأظهر عداوة المسلمين، وبالغ في عداوة التوحيد بكل ممكن..." "الأسنة الحداد..."، (ص ٢٥٧).

(٢) نسبةً إلى قرية (بيتوش) في شمال العراق، ثم استقر بالأحساء، وكان بارزًا في النحو والصرف، توفي عام ١٢١٠هـ. له ترجمة في كتاب ابن سند "سبائك العسجد" (ص ٣٤)، و"معجم المؤلفين" (٦/١٣٨)، و"أعيان القرن الثالث عشر" لخليل مردم (١٦٨-١٦٩)، وانظر مقدمة "مطالع السعود" (٨-١٠)، و"شعراء هجر" لعبد الفتاح الحلو، (ص ٥٤)، و"أعلام الفكر الإسلامي" لأحمد تيمور باشا، (ص ٣٢١).



وفي عام ١٢٠٤هـ نزع مع أسرته من الأحساء إلى البصرة، وهناك أخذ عن علمائها؛ كالشيخ محمد بن سلوم<sup>(١)</sup>، والشيخ محمد بن فيروز، والشيخ إبراهيم بن جديد<sup>(٢)</sup>، والشيخ علي بن حسين بن كثير<sup>(٣)</sup>،

---

(١) وُلد عام ١١٦١هـ، وتوفي عام ١٢٤٦هـ، وكان كشيخه ابن فيروز من المعارضين للدعوة السلفية. له ترجمة في "السحب الوابلة" (١٠٠٧/٣)، و"علماء نجد" (٢٩٢/٦). قال عنه الشيخ سليمان بن سحمان: "من المعلوم عندنا لما تحققناه من مشايخنا أن محمد بن علي بن سلوم ليس هو من أئمة أهل الإسلام، ولا من الأفاضل الأعلام، بل كان ممن شرق بهذا الدين، ولم يرفع به رأسًا، بل عاداه وعادى أهله، واتبع غير سبيل المؤمنين" "تنبيه ذوي الألباب السليمة... ص" وقال الشيخ عبدالله البسام: "والترجم معاصرٌ للدعوة السلفية التي جددتها محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فقد عاصرها في قوتها وضعفها حينها خرجت الجيوش العثمانية والمصرية لإطفائها، وهو من الموالين لأعدائها؛ كمحمد بن فيروز وأحزابه".

(٢) هو إبراهيم بن ناصر بن جديد، المتوفى عام ١٢٣٢هـ، من المعارضين لدعوة التوحيد. له ترجمة في "السحب الوابلة" (٧١/١)، و"علماء نجد" (٤٢٣/١).

(٣) المالكي، المتوفى سنة ١٢١٦هـ. انظر: "فتاوى علماء الأحساء" للأستاذ عبدالعزيز العصفور (٤٧٤/٢)، ومقدمة "مطالع السعود"، (ص ١٢).

وأخذ عن الشيخين علي السويدي<sup>(١)</sup>، وزين العابدين المدني<sup>(٢)</sup> حينما مرًّا بالبصرة.

في سنة ١٢٣٢هـ تمكن داود أفندي (الوزير لاحقًا) من أن يتزعم جماعة من أعوانه المماليك فيعلن تمردَه على والي بغداد سعيد باشا<sup>(٣)</sup>، ثم عزَّله بفرمانٍ عثماني من الحكم، وتولَّى الولاية بعده.

وكان داود قد أحاط بشيءٍ من العلم، مُقدِّراً لابن سند، فقويت الصلة بينهما، حتى أن ابن سند وعده أن يصنع له تاريخًا؛ إلا أن إقامته بالبصرة بعيدًا عن المعلومات التي يحتاجها حالت دون هذا الأمر.

---

(١) توفي عام ١٢٣٧هـ، وله ترجمة في "المسك الأذفر" (ص ١٤٠)، و"معجم المؤلفين" (٧/ ٢٠٠)، و"أعيان القرن الثالث عشر" لخليل مردم، (ص ١٦)، و"أعلام الفكر الإسلامي" لأحمد تيمور باشا (ص ٣٢٢).

(٢) المعروف بجمل الليل، المتوفى سنة ١٢٣٥هـ. روى عنه ابن سند الجامع الصحيح للبخاري. انظر: "أصفي الموارد"، (ص ١٠٢)، ومقدمة "مطالع السعود"، (ص ١٤).

(٣) ابن سليمان باشا، تولى عام ١٨١٣م إلى أن قُتل عام ١٨٧١م. انظر: "دوحة الوزراء" (ص ٢٦٠ وما بعدها)، و"لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث" لعلي الورد، (ص ٢٢٥).

ثم دعاه الوجيه أحمد بن رزق<sup>(١)</sup> وطلب منه زيارة بلد "الزبارة" المعروف في قطر، فاستأذن ابن سند من والي داود، فأذن له، فاحتفى به ابن رزق احتفاءً بالغاً؛ فألف له عثمان بن سند كتابه "سبائك العسجد في أخبار أحمد بن رزق الأسعد".

ثم دعاه الوزير داود إلى بغداد عام ١٢٤١هـ، وألح عليه في إنجاز وعده السابق في تأليف تاريخ له، وأنزله في دار خاصة، فشرع ابن سند في تأليف كتابه "مطالع السعود بطيب أخبار والي داود"، وأتمه عام ١٢٤٢هـ.

توفي ابن سند -على الراجح- سنة ١٢٤٢هـ<sup>(٢)</sup>. ودُفن بمقبرة الشيخ معروف الكرخي ببغداد، وخلف ولدين هما: عبدالله وعبدالوهاب، توفيا بالطاعون سنة ١٢٤٧هـ في البصرة ودُفنا بها.

---

(١) المتوفى سنة (١٢٢٤ هـ). انظر ترجمته في "سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد"؛ لابن سند. كان من المناوئين للدعوة السلفية الإصلاحية، حاول إقناع إمام مسقط "الإياضي" بالتعاون مع والي بغداد على محاربة الدولة السعودية! انظر: "تاريخ الوهابيين"؛ لكورانسيه (ص ٨٩-٩٠).

(٢) انظر: مقدمة محققي "مطالع السعود" (ص ٢١).

## مؤلفاته :

لعثمان بن سند مؤلفات عديدة، أحصاها أحد مُترجيه فذكر أنها بلغت "أربعين مؤلفاً ما بين صغير وكبير"<sup>(١)</sup> في علوم وفنون متنوعة، إليك بعضاً منها<sup>(٢)</sup>:

١ - بهجة النظر في نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر.

٢ - شرح نخبة الفكر. وهو شرح موسع، وصفه الألويسي بأنه "ما عليه من مزيد"<sup>(٣)</sup>.

٣ - منظومة في مصطلح الحديث، نظمها سنة ١٢١٩ هـ، أولها:

الحمد لله الذي قد أرسلنا  
إنعامه وللنبي أرسلنا  
وآخرها:

ومن يطلب التأريخ فإنني أقول مجيباً إنَّ مسكاً ختامها

٤ - هادي السعيد. وهي منظومة في العقائد، ضمَّنها منظومة "جوهرة التوحيد" للشيخ إبراهيم اللقاني. وهي على مذهب الأشاعرة.

---

(١) أعيان البصرة، لعبدالله باش أعيان، (ص ١٦).

(٢) نقلاً عن مقدمة "مطالع السعود" (٢٤-٣١) بتصرف يسير.

(٣) المسك الأذفر (١٤٣).

- ٥- أوضح المسالك على مذهب الإمام مالك. نظم فيه كتاب علي بن خضر العمروسي المتوفى سنة ١١٧٣هـ في فقه المالكية.
- ٦- الدرة الثمينة والأضحية المبينة في مذهب عالم المدينة. وهي منظومة في فقه الإمام مالك.
- ٧- تحفة التحقيق لمعرفة الصديق. في أَلغاز الفرائض.
- ٨- الشذرات الفاخرة في نظم الورقات الناضرة. وهي منظومة في أصول الفقه.
- ٩- نظم قواعد الإعراب. والأصل لابن هشام النحوي.
- ١٠- نظم الأزهرية في النحو، والأزهرية شرح مختصر لخالد بن عبدالله الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥هـ لكتاب قواعد الإعراب.
- ١١- نظم مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، في النحو، والأصل لابن هشام النحوي.
- ١٢- هدية الحيران في نظم عوامل جرجان. والعوامل في النحو؛ للشيخ عبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ.
- ١٣- رسالة في إعراب اثني عشر، ألفها ببغداد سنة ١٢١٤هـ.
- ١٤- منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة.
- ١٥- تعليقات على شرح الكافية؛ للرضى الأسترابادي.

- ١٦ - الغشيان عن مُقلة الإنسان. في النحو.
- ١٧ - كشف الزبد عن سلسال المدد. بحث عن العدد، تذكيره وتأنيثه.
- ١٨ - منظومة في العدد.
- ١٩ - رسالة في كسر همزة (إنَّ) وفتحها، منظومة في ٤٢ بيتًا.
- ٢٠ - جيد العروض. منظومة في علم العروض.
- ٢١ - الجوهر الفريد على الجيد. وهو شرح على منظومته السابقة.
- ٢٢ - منظومة في البلاغة.
- ٢٣ - فكاهية السامر وقرة الناظر.
- ٢٤ - نسَمات السحر.
- ٢٥ - روضة الفكر.
- ٢٦ - نيل السعود.
- ٢٧ - رسالة في التصوف.
- ٢٨ - منظومة في إبطال الرابطة وعدم شرعيتها.
- ٢٩ - الصارم القرضاب. قصيدة يزيد عدد أبياتها عن ألفي بيت، ردًّا فيها على قصيدة لدعبل الخزاعي الشاعر الشيعي الهجاء، المتوفى سنة ٢٤٦هـ.
- ٣٠ - نظم خلاصة الحساب، والأصل للبهاء الدين العاملي.

- ٣١- شرح نظم خلاصة الحساب في النسخة الخطية المذكورة.
- ٣٢- تفهيم المتفهم شرح تعليم التعلم. الأصل لبرهان الدين الزرنوجي، المتوفى سنة ٦١٠هـ.
- ٣٣- مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود.
- ٣٤- سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، ترجم فيه لأحمد بن رزق الأسعد أحد أعيان الكويت المعاصرين له، ونحو أربعين عالماً وأديباً ووجيهاً من مشايخ الزبارة والبحرين والكويت ونجد والعراق، ممن اتصل بأحمد المذكور بوجه من الوجوه.
- ٣٥- أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام! خالد. وهو في سيرة الصوفي خالد النقشبندي، وترجمة أساتذته وتلامذته ومريديه.
- ٣٦- الغرر في وجوه القرن الثالث عشر.

#### معتقده وموقفه من الدعوة السلفية:

كان عثمان بن سند من العلماء الذين خاصموا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وألبوا عليها؛ نظرًا لأنها تخالف ما نشأ عليه من بدع وضلالات جاءت الدعوة الإصلاحية بالنهاي عنها والنكير على أهلها.

ويشهد لهذا عدة أمور:

الأول: أن سبب نزوحه من الأحساء إلى البصرة هو الخوف من وقوع الأحساء بيد الدولة السعودية<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه تشرب المذهب الأشعري الذي كان سائداً في عصره، حيث درّس "شرح جوهرة التوحيد"<sup>(٢)</sup>، وهو أحد أهم شروح الأشاعرة المتأخرين، ومعلوم ما بين المذهبين الأشعري والسلفي من التباين<sup>(٣)</sup>. قال صاحب كتاب "علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون" عن ابن سند: "أما عقيدته فأشعري العقيدة"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) مقدمة محقق (مطالع السعود)، ص ١١.

(٢) لمعرفة ما في هذا الكتاب من انحرافات عقدية انظر: "الرد الأثري المفيد على الباجوري في شرح جوهرة التوحيد"؛ للشيخ عمر بن محمود أبو عمر. ورسالة "عقيدة الأشاعرة - دراسة نقدية لمنظومة جوهرة التوحيد لبرهان الدين اللقاني على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة"؛ للشيخ حسان بن إبراهيم الرديعان.

(٣) انظر لمعرفة ما بين المذهبين من التباين: رسالة "منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى" لخالد نور.

(٤) ص ٢٧.



وقد سبق في مؤلفات ابن سند أن له منظومةً في العقيدة على طريقة الأشاعرة.

وكذلك فإن ابنَ سند تشرَّب أيضًا التصوف وأثنى على أهله.

قال الأستاذ عبدالعزيز نوار: "تلقى عثمان بن سند بعض علومه الدينية على يد ابن فيروز الأحسائي، العالم الصوفي المشرب<sup>(١)</sup>"<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنه نال من الدعوة السلفية وأهلها في كتابه هذا "مَطالع السعود" وألصق بهم التهم والمفتريات - كما سيأتي -.

الرابع: أنه عندما حاصر إبراهيم باشا الدرعية: بعث إليه برسالة وقصيدة يحثه فيها - كما يقول - "على المصابرة والمجادلة لأرباب تلك البدعة الفاجرة: أبشر أيها المصابر المجاهد، والفارس المغوار المجالد، لفرقة من الدين مرقّت، وطائفة ما افتخرت إلا بكونها للإجماع خَرَقَتْ، بالفتح من الله، لغيرتك على لا إله إلا الله، فإن قوله

---

(١) وصفه بذلك الحيدري في "عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد"، (ص ٢٢٧).

(٢) بحث: "رؤية بعض كبار مؤرخي القرن الثالث عشر الهجري لشبه الجزيرة العربية" منشور ضمن: "مصادر تاريخ الجزيرة العربية" (١/ ٢٦٦).

تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١) ، كان بتاريخ عامك هذا زعيمًا  
ضمينًا<sup>(١)</sup>، فوق الفتح في ذلك العام، وقرت به عيون الخاص  
والعام!

وفي ضمن تلك الرسالة قصيدة اشتملت على نصائح ومصالح  
عديدة؛ منها قولي:

وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ وَاحِدًا تَسْتَطِيبُهُ إِذَا خَبَثَ الْآبَاءُ لَمْ يَطِبِ الْوَلَدُ<sup>(٢)</sup>  
قلت: فانظر مدى حقه على أهل التوحيد، فهو وإن لم يشارك  
بسِنانه في حربهم، فقد شارك بلسانه وتحريضه عليهم، ليؤء بإثم  
ذلك (ولا يظلم ربك أحدًا).

أما قصيدته الآنفة التي يقول في مطلعها لإبراهيم باشا:  
لَقَدْ فَتَحْتَ لِلدِّينِ أَعْيُنَهُ الرَّمْدُ لَدَى لَاحٍ مِنْ بَيْنِ السِّیُوفِ لَهُ السَّعْدُ

---

(١) يشير إلى أن مجموع حروف الآية بحساب الجُمَّل يوافق تاريخ سقوط  
الدرعية ١٢٣٣هـ.

(٢) مطالع السعود، ط ١، (ص ٣١٦). وقد حذفها الدكتور عماد رؤوف من  
ط ٢!

فقد ردّ عليها الشيخ أحمد بن مشرف - رحمه الله - بقصيدة يقول  
في أولها<sup>(١)</sup>:

أليلٌ غشا الدنيا أم الأفقُ مُسوّدٌ  
أم الفتنة الظلماءُ قد أقبلت تعدو  
أم السُّرُج النجدية الزُّهر أطفئت  
فأظلمت الآفاق إذ أظلمت نجدُ  
إلى أن يقول:

وقد أقذع البصريُّ في ذمِّ شيخنا  
وأنصاره بآل ما قاله الوغدُ  
أيهجو إمامًا هاديًا أرشد الورى  
إلى منهج التوحيد فاتضح الرشدُ  
وأبناءؤه الغُر الكرام قد اقتفوا  
محجته المثلّ وفي نصرها جدُّوا  
فلما مضت تلك العصابة لم يقم  
بعدلهم من ضمّه الشام والسندُ

---

(١) ديوان ابن مشرف، (ص ٤٥-٤٧).

فكم فتنة عمت وكم طُل من دم  
حرام وكم ضلّت عصائبُ وارتدوا  
وكم قطع السُّبُل البوادي وأفسدوا  
فصاروا بها مثل الذئاب التي تعدو  
فإن كان هذا عنده الدينُ والهَدَى  
فقد فُتحت للدين أعينه الرُّمْدُ!

الخامس: ثناؤه على أحد رموز التصوف في عصره وهو خالد  
النقشبندي<sup>(١)</sup> وتصنيفه كتابًا في مدحه - كما سبق -، وقد ذكر  
الألوسي في المسك الأذفر<sup>(٢)</sup> أن ابن سند: "سلك عليه - أي خالد

---

(١) ألف ابن سند - كما سبق - كتابًا عنه سماه "أصفى الموارد من سلسال أحوال  
الإمام خالد". وله ترجمة - أيضًا - في: "تاريخ السليمانية" (ص ٢٢٥)، و"الدر  
المستر" (٢٠٨-٢١٠)، و"حلية البشر" (١/٥٨٧)، و"الأعلام" (٢/٢٩٤).  
ولمعرفة انحرافات الطريقة النقشبندية الصوفية انظر: "النقشبندية -  
عرض وتحليل -"؛ للدكتور عبدالرحمن دمشقية، فقد ذكر من عقائدهم  
الباطلة: دعاءهم غير الله، وقولهم بوحدة الوجود، وغلوهم في من  
يزعمونه من الأولياء... إلى غير ذلك.

(٢) (ص ٢١٧)، وقد أشار الألوسي إلى أن قصيدة ابن سند في إبطال الرابطة  
النقشبندية كانت قبل سلوكه الطريقة النقشبندية وتأثره بها!

النقشبندي - ودخل في طريقته".

وقال الشيخ محمد بهجة الأثري في ترجمته: "ولما قدم بغداد مال إلى دراسة التصوف، وسلك على الشيخ خالد النقشبندي الكردي المشهور، ودخل في طريقته، وكان الشيخ المذكور من أساطين التصوف يومئذ في العراق، قدم بغداد وتوطنها، فانقسم العلماء في أمره قسمين: فخاصمه ناسٌ وخرجوا في خصومتهم له إلى تأليف الرسائل في ذمه والتشهير به، ووقف بجانبه آخرون يُعظمونه ويُجلون قدره ويذبون عنه، فانضم ابن سند إلى هذا الفريق، ومدح الشيخ بالقصائد الطوال، وذَبَّ عنه، وألف كتابًا في الثناء عليه..."<sup>(١)</sup>

وقال محققا مطالع السعود: "إن أكثر مَنْ تأثر به ابن سند، بل وقع تحت تأثيره كان الشيخ خالد النقشبندي مُجدد الطريقة النقشبندية في العراق..."<sup>(٢)</sup>

---

(١) مقدمة "مختصر مطالع السعود" للحلواني، (ي).

(٢) مطالع السعود، (ص ١٧).

ولأجل منابذة ابن سند للدعوة السلفية؛ فقد حذّر علماءؤها من  
مَسلكه، ولاموا مَنْ ارتضى طريقته:

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله - في رده على عثمان  
ابن منصور: "فقصّد الزبير والبصرة، فوجد بالزبير محمد بن سلوم<sup>(١)</sup>  
وابن جديد<sup>(٢)</sup>، وكانا من أهل نجد، فتركاها كراهيةً لهذه الدعوة،  
وعداوةً لِمَن دعا إلى التوحيد، ووجد بالبصرة ابن سند، وهو أشد  
منهما عداوةً لكل موحد، وحبًّا لكل ملحد، فتلقّى عن هؤلاء الثلاثة  
هذه البلوى، التي ابتلي بها من عداوة شيخنا، ومَنْ استجاب له"<sup>(٣)</sup>.

وقال -أيضًا- عن ابن منصور بأنه "تردد إلى البصرة واجتمع  
بابن سند، وقرأ عليه، واتخذ له شيخًا، وهو من أشد الناس عداوة  
لهذا الدين، ومن دعا إليه، يُصرّح بسبهم وعداوتهم"<sup>(٤)</sup>.

وقال -أيضًا- بأنه كان في مجلس مع بعض الإخوان: "فانجر

---

(١) سبق التعريف به، وأنه من أعداء الدعوة السلفية.

(٢) سبق التعريف به، وأنه من أعداء الدعوة السلفية.

(٣) الدرر السنية (١١/ ٥١٤).

(٤) السابق (١١/ ٥٣٤).

الكلام إلى ذكر عثمان بن سند الكائن بالبصرة، فذكره بعض الإخوان ومدحه بما له به شهرةً، فقلت له: إنه اشتهر بالأشعار الخبيثة، ومدح الطريقة النقشبندية ووضعها، ومدح الظلمة والفجار، ومقامه مع أهل القباب واللواط وشرب الخمر والأشرار حاكمٌ بمعرفة حاله، إذ بالولاء والبراء يكون الاعتبار، ومصنفه في مدح خالد الخيث الذي أحدث الطريقة يُطلعك على حاله بالحقيقة"<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام: "إن الشيخ عثمان بن سند من كبار العلماء، ونوابغ العلم، وفي كل فن من فنون الأدب، فهو عالمٌ عصره، وعلاَّمُهُ مصره.

ونحن نشني عليه، وندعو له حينما تصدى للشاعر الهجاء الخبيث دعبل الخزاعي الذي تهجّم - قبّحه الله - على سادات الصحابة أبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة وأندادهم، فهجاهم وشتهم وازدراهم، فتصدى له الشيخ عثمان بن سند بالرد عليه بمجموعة شعره "الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الأصحاب" فكان في هذا الرد البليغ يشفي العليل ويروي الغليل.

---

(١) السابق (١١/٥٥٢). وانظر: "مصباح الظلام" (ص ٢١).

ونحن نعتب على الشيخ عثمان ونلومه، وهو النجدي الأصل، ونجدُ هي منبت السلفية أن ينحاز مع المنحرفين عن هذه الدعوة السلفية، ويكون مع أصحاب الطرق الصوفية، ثم لا يكفيه هذا حتى تناول بالسب والنقد شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب المدرسة السلفية مما جعل الشيخ عثمان بن منصور الناصري يرد عليه، وهو معاصرٌ له ومجاوِزٌ في العراق مدة الطلب<sup>(١)</sup>.

تنبيه:

قال الألوسي في ترجمة ابن سند: "وكان رحمه الله تعالى سلفيَّ الظاهر والباطن"<sup>(٢)</sup>! وقد علمت سابقاً أن هذا خلاف الحقيقة، إلا أن يقال بأن الألوسي يعني بالسلفية ما كان مقابلاً لبدعة الرافضة؛

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٥٣/٥ - ١٥٤)، وانظر: "دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب"، (ص ٤٨) حيث عدّه من ضمن معارضي الدعوة السلفية.

ورسالة الشيخ عثمان بن منصور في الرد على ابن سند عنوانها "الرد الدامغ على الزاعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية زائع"، وقد قمتُ بتحقيقها، وطُبعت عام ١٤٢٥ هـ عن دار التدمرية بالرياض.

(٢) المسك الأذفر (ص ٢١٦).



لأنه ذكر هذا القول بعد أن أثنى على رد ابن سند على الرافضي دعبل الخزاعي.

ولعل قول الألويسي هذا هو الذي حدا كاظم الدُجَيْلي أن يقول في ترجمته لابن سند: "نقل بعض العلماء أنه صار في آخر أيامه سلفيَّ العقيدة، وهذا غير صحيح؛ لأنه تكلم على الوهابية في كتابه "نيل السعود"، وذمَّ طريقتهم، بل شنع عليهم، وهذا الكتاب صنفه في السنة الأخيرة من عمره"<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ حمد الجاسر: "مما ينبغي أن يُلاحظ على ابن سند هذا عدم تجرده من الهوى؛ فهو ممن عادى الدعوة الإصلاحية، ومدح أعداءها، وتقرَّب إليهم بما يرضيهم من الواقعة فيها بغير حق"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) مجلة لغة العرب (٣/ ١٨١).

(٢) مجلة العرب: (مجلد ٥ / ص ٨٨١). وانظر أيضًا: (مجلد ٢ / ص ١٠٢٤).

## ترجمة الشيخ أمين بن حسن الحلواني<sup>(١)</sup>

هو أمين بن حسن بن محمد بن محمد أمين الحلواني المدني.

قال عبدالرحمن الأنصاري في " تحفة المحبين والأصحاب في ما للمدنيين من الأنساب "<sup>(٢)</sup>:

(بيت الحلواني: أصلهم الشيخ محمد أمين الهندي الكشميري الحلواني، قدم المدينة المنورة في سنة ١١٤٠هـ).

كان والدّه من أعيان المدينة النبوية وأفاضلها، حتى أن الشريف عبد الله بن عون أمير مكة أوفده سنة ١٢٧٩ في مهمةٍ إلى أمير نجد الإمام فيصل بن تركي، فكان موضع الإكرام من الإمام فيصل.

وقد نشأ الشيخ أمين في رعاية هذا الوالد الفاضل، فأمضى صدرَ حياته في طلب العلم، واقتناء المصنفات الجيدة، ولا سيما

---

(١) نقلاً عن ترجمة الشيخ محب الدين الخطيب له، في مقدمة مختصره لـ "مطالع السعود"، مع زيادات من كتاب "أعلام من أرض النبوة"؛ لأنس كُتبي (ص ١٣٨-١٤٦).

(٢) (ص ٩١).

المخطوطة، وقام بالتدريس في الحرم النبوي الشريف.

وللشيخ أمين الحلواني في هذا المختصر عبارة تدل على أنه كان حوالي سنة ١٢٧٣ في مصر، ولعله كان يطلب العلم في الأزهر، فقد قال عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب - كما سيأتي -: (أما الشيخ عبد الرحمن المذكور فقد أدركته في الجامع الأزهر يُدرّس مذهب الحنابلة، وكان شيخَ رواق الحنابلة سنة ١٢٧٣، وتوفي سنة ١٢٧٤، وكان عالماً فقيهاً، ذا سمّةٍ حسنٍ، يظهر عليه التقوى والصلاح). وهي عبارة صريحة في وجوده بمصر عامئذٍ، فيُحتمل أنه تلقى شيئاً من علومه في الأزهر.

وفي سنة ١٢٩٠ اختصر كتاب "مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود" للشيخ عثمان بن سند، ولعلّ ما حمله على العناية بهذا الكتاب: أن والده أدرك داود باشا مدة إقامته - أي داود - في المدينة شيخاً للحرم، وكان له اتصال به، ولا يبعد أن يكون الأصل الذي اختصره في جملة الكتب التي كان والده يقتنيها.

وفي سنة ١٢٩٢ ألّف الشيخ أمين رسالة يُنكر فيها صحة الآثار النبوية التي كانت الدولة العثمانية تتقرب بها إلى العامة؛ بدعوى

الحيازة لها، والاحتفال بها!

وعلى أثر ذلك قام الحلواني برحلةٍ إلى مصر وبعض بلاد الشرق العربي.

وفي مصر اتصل بالشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي، وأخذ عنه واستفاد منه، وخالط طبقة ذلك الوقت من علماء مصر وأعيانها.

وفي ربيع الأول من سنة ١٣٠١ ألف رسالته الصغيرة "جنى النحلة في كيفية غرس النحلة"، وأكبر الظن أنه ألفها في مصر؛ ليرشد المشتغلين فيها بالزراعة إلى تجارب أهل المدينة التي اقتبسوها من أهل القصيم في نجد - مثل بريدة وعنيزة والرس -، وهم أبرع مستثمري هذه الشجرة القديمة الحبيبة إلى المسلمين، والقائمين على تربيتها ورعايتها.

وفي تلك السنة: ذهب إلى ليدن وأمستردام بمجموعةٍ من المخطوطات العربية، كان اقتناها في السنين السالفة، فابتاعها منه مكتبة ليدن الغنية بنفائس مخطوطاتها العربية.

ولمخطوطات الحلواني هذه فهرسٌ خاص، وضعه المستشرقون ووصفوا فيه مفرداتها.

ورأينا الحلواني بعد ذلك في الهند يسعى في طبع بعض الكتب المهمة، وأهمها ديوان "لزوم ما لا يلزم" لأبي العلاء المعري، وقد طبعه على الحجر في المطبعة الحسينية في بومبي الهند سنة ١٣٠٣ بخط حسين البهائي الشيرازي، عن أصل صحيح مضبوط، بخط عبد الواحد بن عبد الرفيع، فرغ منه في أواسط صفر سنة ٦٣٩.

وكان الشيخ أمين الحلواني في مدة إقامته في الهند وفيًا لذلك الوطن الإسلامي العظيم، كوفائه لأداب العرب وتراثها، وقد حملة ذلك على طبع كتاب "سُبحة المرجان في آثار هندستان"؛ للبلكرامي، سنة ١٣٠٣.

وفي الهند أيضًا طبع مختصره هذا لكتاب ابن سند، عن حوادث العراق من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١٢٤٢، في شوال سنة ١٣٠٤ بالمطبعة الحسينية، بخط عبد الغني ابن الشيخ محمد الخطيب. واختصاره هذا لتاريخ ابن سند لا شك أنه قام به وهو في المدينة، قبل خروجه منها لرحلاته في الشرق وأوروبا.

وفي سنة ١٣٠٧ طبع الحلواني في بومبي الهند ردّه على جُرْجي زيدان، وسماه "نبش الهذيان، من تاريخ جُرْجي زيدان"، فهو أقدم

من كل الذين انتبهوا بعد ذلك لنواحي الضعف والتزوير في كتب جرجي زيدان التاريخية، وفي طليعتهم: الشيخ الهندي شبلي النعماني، ومن علماء مصر أحمد تيمور باشا، والشيخ أحمد الإسكندري.

وظهر للحلواني في سنة ١٣١٢ كتاب "السيول المغرقة، على الصواعق المحرقة" وهو ردٌ على أحمد أسعد المدني، من المُتَمِّين إلى طريقة الشيخ أبي الهدى الصيادي، لكن الشيخ أميًا لم يُصرح في هذا الرد باسمه، وانتحل اسمًا مستعارًا هو عبد الباسط المنوفي!

ومن المحتمل أن يكون المردود عليه في كتاب "السيول المغرقة" أحد الذين شنّوا على الشيخ أمين في سنة ١٢٩٢، بدعوى أنه أنكر صحة الآثار النبوية التي كانت الدولة العثمانية تزعم حيازتها، وكان ذلك سبب رحلة الشيخ أمين عن وطنه إلى مصر والهند وغيرها.

### مؤلفاته:

١- "مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود"؛ للشيخ عثمان بن سند البصري.  
وهو كتابنا هذا.

٢- "نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان"، طُبِعَ في الهند سنة

١٣٠٧هـ، ثم قام الدكتور مازن مطبقاتي بتحقيقه وطبعه سنة ١٤١٠هـ.

٣- "السيول المغرقة على الصواعق المحرقة"؛ وهو في نقد أحمد أسعد الرافعي أو المدني، وقد اتخذ لنفسه فيه اسمًا مستعارًا هو "عبدالباسط المنوفي".

٤- "ارتشاف الصَّرب في شرح عمود النسب" مخطوط.

٥- شروح لغوية على كتاب "لزوم ما لا يلزم"، طُبِعَ في بومباي بالهند.

٦- "جنى النحلة في كيفية غرس النحلة".

### وفاته:

قال الأستاذ محمود عبد الوهاب<sup>(١)</sup>: (ومن رحلات الشيخ الحلواني أيضًا رحلته إلى البلاد العثمانية الواقعة في شمال أفريقيا، فقد وصل إلى طرابلس المغرب، وهناك رآه بعض الأعراب، ونظرًا لبياض بشرته ووضع النظارات الطبية على عينيه ظنوه أوريًا جاء يتجسس عليهم لصالح بلاده! وبالرغم من تدخل كثير من أهل

---

(١) الرحالة أمين الحلواني، مجلة "المنهل" (مجلد ١٣ ربيع الأول ١٣٧٢هـ).

طرابلس في محاولة إقناع البدو بأنه رجلٌ مسلمٌ من المدينة النبوية،  
إلا أن الأعراب لم يقتنعوا، وقاموا بقتله!  
وكان ذلك سنة ١٣١٦هـ. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه  
فسيح جناته).



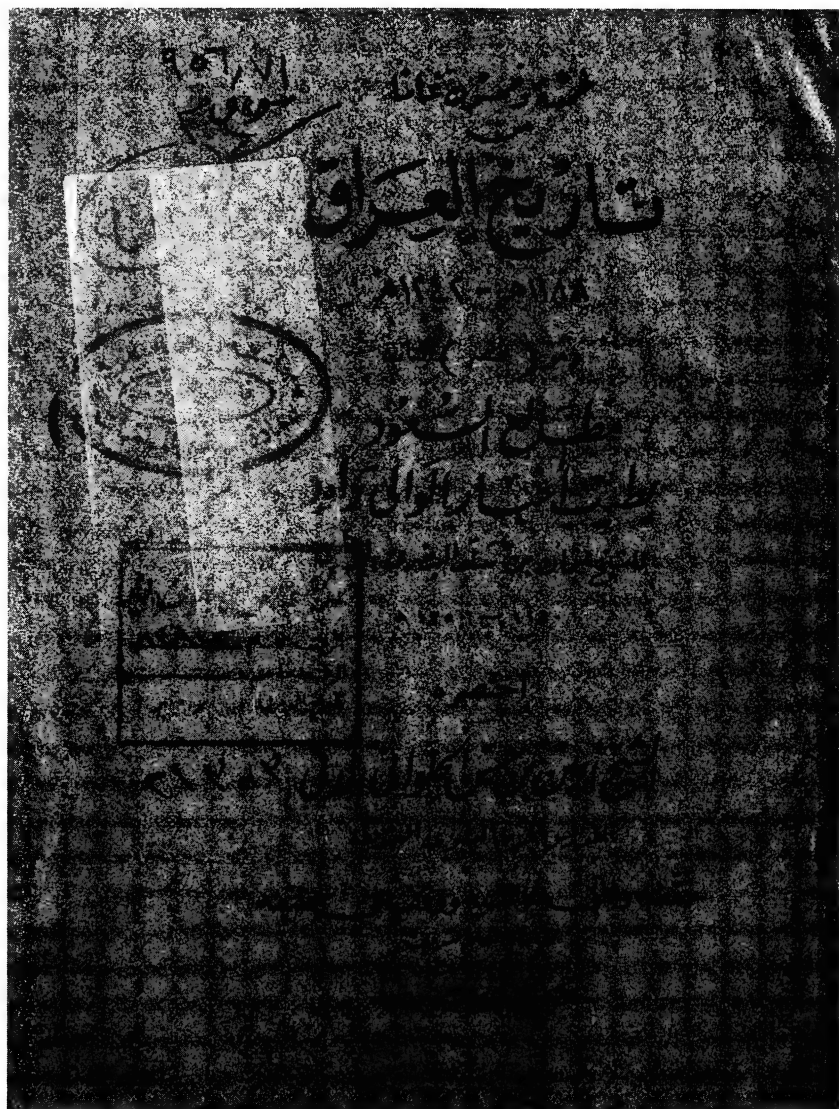


اجازة في طريق القوم باجازات كريمة من طوله السامع بابيهم في كريم  
 انظر الى العبد عن لود باشا واستفاد وامنه منهم طاعة بطول غرضهم وكان لا بد من كراهه لا بد من كراهه فيهم السيد الخليفة  
 بطنه المعزة السيد محمود العزيم في جميع العلوم وتخرج على يد يده الى صار هذا السيد من رباب كالات  
 المتاديه في العراق ومن اخذ في الوزير داود باشا في خدمته من رباب كالات المتاديه في العراق ومن اخذ في الوزير داود باشا في خدمته من رباب كالات  
 انصرح عن مقولة العلواء ومثل في مقولة الامراء والحكام وكان آسئ الوزير داود باشا و  
 كاتم حسن والوجه انهم تارخ العلواء في الشيخ عثمان بن سند الجعري الوائلي وما ذكر بعد  
 هذا العمل الاحكاميات على طريق الاحاسي والاعزاز فيكمها من القامات على لسان شخص مناه  
 في الجعري من زعيم وصار في كاديه واخا في العرب واشعلوا هوانا وهاوا لثأس جاسان مقامته  
 في الله على بالغة مفتحيان مغبته على قوة بلعه وسعة اطلاعه ولكن لا يجهل هذا المختصر فلهذا  
 فترت متفقا عن ذكرها هذا اما ليسر جمعه لكاتبه الفقير الى الله  
 فقال خادم العلم بالورقة الشريفة امين بن حسن حلواني الحلواني  
 على الله عنه وقد كتبت في سنة تسعين بعد الثلاثين والاربع  
 من الهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد  
 خاتمة النبيين وعلى آله واصحابه  
 هداة الدين وقوده  
 المسلمين  
 آم

تم طبع هذا الكتاب في مدينة ممبئي في المطبعة الحسينية في غرة شوال سنة ١٢٨٠ هجرية وقد  
 بعد مؤلفه امر الرعية من الحكومة بحيث انه صار الاقدام على طبع هذا الكتاب من ثمانية  
 باذن المؤلف لا غير ومن تمجاسر وطبعه بغير اذن مؤلفه ظلسولية عائنة عليه على  
 حسب قوانين الدول المتقدمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وسلم  
 كتبه الغريب عبد الغني بن الشيخ محمد القطيب  
 عفا الله عنه

هو الشيخ الامام العارف بالله تعالى في عثمان بن سند الدمشقي  
 من اعلام اوائل القرن الثالث عشر الهجري المتوفى في سنة ١٢٩٠  
 بيضاء ودفن بمقابر معروفين في روضه الحسينية في مدينة دمشق

صورة الورقة الأخيرة من مختصر الشيخ الحلواني



صورة غلاف طبعة الشيخ محب الدين الخطيب لمختصر الحلواني

وزارة الثقافة والإعلام  
مركز الوثائق والتراث والاعمال

٩٥٦/٧٠١  
٤٩٧

# مطالع السعود

الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ  
١٣٨٦

صورة غلاف الطبعة الأولى لمطالع السعود

مَطَالَعُ السُّعُودِ بِطَيْبِ أَخْبَارِ الْوَالِي دَاوُدَ

# تَارِيخُ الْعِرَاقِ وَنَجْدِ

سَنَةِ ١١٨٨هـ/١٧٤٧م إِلَى سَنَةِ ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م

تأليف

عثمان بن سنان الوائلي البصري

تحقيق

د. عماد عبد السلام

صورة غلاف الطبعة الثانية لـ "مطالع السعود"

**مُخْتَصَرٌ**  
**مَطَالَعِ السُّعُودِ بِطَيْبِ أَخْبَارِ الْوَالِي دَاوُدَ**  
**لِعُثْمَانَ بْنِ سُنْدٍ**  
**(ت ١٢٤٢ هـ)**

**اِخْتَصَرَهُ**  
**الْشَيْخُ / أَمِينُ بْنُ حَسَنِ الْحُلَوَانِيِّ الْمَدَنِيِّ**  
**(ت ١٣٣٠ هـ)**

**وَبِهَامِشِهِ تَعْلِيقَاتٌ لِلْعَلَّامَةِ مُحِبِّ الدِّينِ الْخَطِيبِ**  
**(ت ١٣٨٩ هـ)**

**عُنِيَ بِهِ**  
**سَلِيمَانُ بْنُ صَالِحِ الْخَرَّاشِيِّ**



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وصلى الله على النبي وصحبه وآله:

سألت - أيدك الله - أن أختصر لك تاريخ العلامة الرحلة  
الفهامة: الشيخ عثمان بن سَند البصري الوايلي (نسبةً إلى قبيلة من  
عنزة وهي وائل بن قاسط بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن  
عدنان) المتوفى سنة ١٢٥٠ خمسين ومئتين وألف من الهجرة؛ فتأملتُ  
منه فألفيته كتابًا جمع من تواريخ القرن الثاني عشر وبعضًا من أخبار  
القرن الثالث عشر غرائب وفرائد، كانت أَخْنَتُ عليها يدُ  
الزمان<sup>(١)</sup>، ولولاه لما كانت هذه الوقائع إلا في صندوق النسيان؛  
خصوصًا حيث أعرب وأطنب عن أخبار أعلم الوزراء وأفضل  
العلماء: حضرة الوزير المشير شيخنا وشيخ المشايخ: داود باشا، والي  
بغداد سابقًا - برّده الله مُضْجَعَه -.

ولكن الشيخ عثمان بن سَند لم يُكتب في تاريخه إلا إلى سنة  
١٢٤٢، مع أن الوزير داود باشا ظل في ولاية بغداد إلى سنة ١٢٤٧،

---

(١) أفسدته وأهلكته.



والشيخ عثمان ابن سند عاش في الدنيا إلى سنة ١٢٥٠، فيا عجباً له كيف أهمل هذه الخمس سنوات من تملك داود باشا على بغداد! مع أنه فيما أخبرني به والذي رحمه الله<sup>(١)</sup> أن داود باشا ما تمت سلطته وتناهد قوته إلا في هذه الخمسة السنين الأخيرة، الذي أطاعه فيها جميع أرض العراق، حاضره وباده، وكُرْدُه وعجمُه، وفيها على ما يُقال تافت نفسه لأن يكون سلطاناً مُستَقِلاً، وكان فيه الأهلية لذلك، وفيها جَلَبَ الصنایع والصُّنَاعَ إلى بغداد من أهل أوربا بل ومن سائر الأقطار، وأخذ في أسباب التمدن والعُمران، وأمر بصنعة المدافع والبنادق على الطرز الجديد، وفيها شكَّلَ جيوشاً عسكرية مُنظَّمة، بتعليماتٍ مخصوصةٍ اخترعها لهم، إلى أن بلغت جيوشُه إلى أكثر من مئة ألف، وبهذه الجيوش والاستعداد طَمَعَ في أنه يستولي على جميع آسيا الصغرى والكبرى، وكان دائماً مَطْمَحَ أنظاره الاستيلاء على بلاد العجم، وقد دخلهم الرعب والخوف منه ومن جيوشه ومن تعليماتهم الغريبة الأشكال والأوضاع، ولكنه لم تساعده المقادير كما ساعدت

---

(١) لأنه عاصر داود باشا، ولقيه في المدينة مدة ولايته مشيخة الحرم النبوي في آخر حياته. وفي البلدة الطيبة سنة ١٢٦٧ كانت وفاته. (الخطيب).

محمد علي باشا والي مصر، فإن داود باشا بينما هو في هذه الأبهة والسلطنة والاستقلال والخروج عن طاعة الدولة العلية؛ إلا وقد أرسل عليه السلطان محمود خان العثماني جيشاً نحو العشرين ألفاً، ورئيسهم علي باشا اللاّظ<sup>(١)</sup>، فلما قُرب من بغداد ضحك داود باشا واستهزأ بهذا الجيش الضعيف الذي يُريد أن يستولي على بغداد، فأخذه الغرور وقال: لو تُرسل على هذا الجيش نساء بغداد لما يطيق مقاومتَهُنَّ! إلا أن الوزير داود باشا لا يعلم ما هو محبوءٌ له في طيّاتِ القَدَر. فبينما هو يُعَبِّي في جيوشه ويستعد لمحاربة علي باشا اللاّظ، وأمله أسر جميع الجيش، ثم الاستيلاء على ما وراءه، إلا وقد دهمهُ الوباء الطاعوني داخلَ بغداد، الذي أفنى أكثر أهل بغداد، وقيل إنه كان يموت في كل يومٍ أكثر من عشرة آلاف نفس، هذا داخل بغداد، وأما جيش علي باشا اللاّظ فلم يُصبه شيءٌ من ذلك الطاعون، وذلك تقدير العزيز العليم، وانقلب الفرخُ حُرْنًا، وصار الصُراخُ في كل بيتٍ من بيوت بغداد، وقيل إن الذي مات بهذا الطاعون من أولاد داود باشا لِصُلبِهِ أزيد من عشرة أولاد يركبون الخيل،

---

(١) والي حلب. توفي سنة ١٢٦١هـ.

فانكسرت نفسُ داود باشا، ودخله الغمُّ والهَمُّ والحُزن، وانفَتَّ عَضُدُهُ، وانفل جيشُهُ: بعضهم بالموت، وبعضهم بالهرب والفرار إلى البوادي والقفار.

فلما طلب علي باشا اللاّظ المحاربة معه لم يَسْعُه إلاّ المصالحة، على أنه يُسَلِّم إلى علي باشا بغدادَ بما فيها، وداود باشا يسكن إسلامبول، فسافر داود باشا إلى إسلامبول، وظل فيها إلى سنة ١٢٦٠، وكان مُعَظَّمًا عند السلطان محمود، ثم عند ابنه السلطان عبد المجيد ورجال دولته؛ لِسِنِّ داود باشا وعلمه، حتى أن كِسْوَتَه الرِسمِيَّةَ يوم العيد كان مكتوبًا على صدرها: شَيْخُ الوُزَرَاءِ، هكذا بِالطِّرازِ المَذْهَبِ؛ لأن هذا كان لقبُه خاصَّةً، ثم إن السلطان عبد المجيد أرسله شيخًا على الحرم النبوي سنة ١٢٦٠، وبقي في المدينة مشغلاً بالعلوم والتدريس، ونفَعَ أهلَ المدينة من جهة العلوم نفعًا تامًّا، وكان أَمَلُهُ أن يفتح مدرسة حَقِيقَةً بأمر الدولة في المدينة لتعليم أهلها سائر العلوم والفنون، ولكن اخترمته المنية في سنة ١٢٦٧، ولم يتم مرادُه، ودُفِنَ بالبقيع الشريف تجاه قُبَّة سيدنا عثمان بن عفان، وأمر أن لا يُبنى على قبره بناءٌ ولا قُبَّة؛ اتباعًا للسُّنة، وإنما جعلوا شُبَّاكًا من الحديد حول قبره، وما أعلم هل كان ذلك بوصيةٍ منه أم لا ؟

ولكن: لو نظرنا إلى أصل السبب في منع البناء على القبور؛ وهو خوف احتكار مقابر المسلمين - خصوصًا هذه البقاع الشريفة - لنجد أنَّ الشُّبَّاك من الحديد هو أشدُّ احتكاريًا وأثبتُّ وأبقى من البناء، إلَّا أنَّ المرحوم داود باشا كان مُطلعًا على دقائق الشريعة، فلربما أنه يكون له وجهٌ في وضع الحديد على قبره<sup>(١)</sup>.

ومن آثاره بالمدينة: البستان المعروف بالداودية، خارج المدينة، بقرب ضريح سيدنا محمد الزكي، عند منهل العين الزرقاء، ولما أتمَّ بناءه وعرَّسه أرَّخه شاعر العراق بالاتفاق: الشيخ صالح التميمي<sup>(٢)</sup> بقصيدة، وجعل آخرها تاريخًا، وهو قوله: تاريخُهُ عرَّسه؛ فأعجب

---

(١) السبب في منع البناء على القبور ليس خوف الاحتكار، إنما منعًا لأسباب الغلو في الميت، الذي يؤدي للبدع والشركات.

(٢) هو الشيخ صالح ابن الشيخ درويش ابن الشيخ زيني، من بني تميم، وهو فوق كونه شاعرًا له تاريخٌ اسمه "شرك العقول وغريب المنقول" ذكره السيد محمود شكري الألوسي في "المسك الأذفر" ص ١٤٩، وقال: / إنه في مجلدين، مرتَّب على السنين من سنة ١٢٠٠ إلى سنة ١٢٤٠، ذكر فيه أيام الوزير داود باشا، وله كتابٌ آخر عن شعراء زمن داود باشا، اسمه "وشاح الرود والجواهر والعقود في نظم الوزير داود". (الخطيب).

داود باشا، وأعطاه جائزة ألف ريال.

وبموته ماتت العلوم والمعارف وراغبوها، فرحمه الله رحمة الأبرار.  
وأصلُ تاريخ الشيخ عثمان بن سند كبيرٌ؛ نحو الأربعين كُرَّاسًا،  
ألَّفَه في أخبار العراق وتراجم رجاله، وعلى الخصوص مناقب الوزير  
داود باشا، وكان سماه "مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود"،  
وهذا هو ابتداء تبييض التاريخ المذكور؛ فكان مجموع اسم الكتاب  
تاريخًا له (١٢٤٩).

والفقيه قد اختصرته، وذكرتُ الوقائع التاريخية فقط، وحذفت  
الأشعارَ والمدائحَ والشرطَ الطَّوَالَ، ولم أُخَلِّ بشيءٍ من وقائعه التاريخية،  
وكلُّ ما كان بين قوسين فهو من زياداتي؛ إما لتوضيح كلامٍ مُبْهَمٍ، أو  
لتفصيل أمرٍ مُجْمَلٍ، وقد وجدته يُعَبَّرُ ببعض عباراتٍ ليست مألوفةً  
عند المتأخرين، ولكن لم يمكنني إلا مجاراته كي لا أخرج عن المعنى  
الأصلي الذي أراده هو، وقد جعل أوله سنة ١١٨٨، وهي السنة  
التي وُلِدَ فيها المترجم داود باشا، وكان من الأسباب التي حَثَّتْ الشيخ  
عثمان بن سند على تأليف هذا التاريخ كما ذكره في الأصل: هو الأديبُ  
عبد القادر بن عبيد الله الحيدري قاضي البصرة، والحاج محمد أسعد

المشهور بابن النائب، فسوّده وجمعه، ثم إن الوزير المترجم دعا الشيخ عثمان بن سند إلى بغداد في سنة ١٢٤٠، وأكرمه، وأمره بتبييض تلك المسوّدة؛ لأجل أن يتخلد ذكره وعدله بين الأمم.

قال الشيخ عثمان بن سَنَد البصري - برّد الله مضجعه -:

وُلِدَ الوزير داود باشا والي بغداد سنة ١١٨٨، وذلك بشهادة التخمين؛ لأنه لما تولّى الخازندارية لسليمان باشا كان عمره سبعاً وعشرين سنةً، وأخبر هو بنفسه أنه لما أتى بغداد كان عُمره إحدى عشر سنة<sup>(١)</sup>، والوزير سليمان باشا محاصرٌ للحِسْكَة<sup>(٢)</sup> من أرض الخزاعل (في بعض الأماكن يُعبر عنها بخُزاعة والكُل واحد) ثالثَ مرة، وذلك في سنة

---

(١) الوزير سليمان باشا من ولاية بغداد، ذكره السيد محمود شكري الألوسي في ترجمة السيد أحمد الطبقجلي، بـ "المسك الأذفر" (ص ٩٠) وكان داود باشا في هذه السن من طفولته مملوكًا لسليمان باشا، ونشأ في بيته، وترقى في دولته. وولي بغداد بعد سليمان باشا ابنه سعيد باشا، فبلغ داود باشا في زمن سعيد باشا وظيفة (الدفتردار) وهي أعلى الوظائف المالية في الولايات العثمانية، ثم قتل سعيد باشا فُعِين داود باشا واليًا على بغداد كما سترى تفصيل ذلك في هذا التاريخ. (الخطيب).

(٢) تُعرف الآن بـ (الديوانية).

١١٩٩ (وحكى لي غير واحدٍ من ثقات بغداد أن أصل داود باشا مملوكٌ كُرْجِيٌّ<sup>(١)</sup>)، جلبه بعضُ النخاسين إلى بغداد؛ فاشتراه مصطفى بك الربيعي، ثم باعه على سليمان باشا والي بغداد، فربّاه سليمان باشا وعلمه القرآن، وأدّبه فأحسن أدبه، إلى أن وصل إلى ما وصل إليه من العلوم والمعارف والديانة، التي يشهد بها عدوه وصديقه، إلى أن انتهت إليه وزارة بغداد كما سيجيئُك مفصّلاً).

## فصل: في ذكر وقائع سنة ١١٨٨

منها: محاصرة كريم خان الزندي<sup>(٢)</sup> للبصرة بجنوده الروافض

(١) الوزير سليمان باشا من ولاية بغداد، ذكره السيد محمود شكري الألوسي في ترجمة السيد أحمد الطبقجلي، بـ "المسك الأذفر" (ص ٩٠) هكذا يقول شمس الدين سامي في "قاموس الأعلام" (ص ٢١١). (الخطيب).

(٢) كان كريم خان هذا من رجال دولة نادر شاه - الذي حاول التقريب بين الشيعة وأهل السنة بإجبار الشيعة على أن يعترفوا بفضل أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يحتبوا كلّ ما يعده المسلمون كفرًا، كما ورد تفصيل ذلك في كتاب "مؤتمر النجف" - فلما مات نادر شاه عن غير وارث يصلح لإدارة المملكة الإيرانية، انتهز كريم خان هذه الفرصة، وكوّن من قبيلة (زند) فرقةً عسكرية منظّمة، واستولى بها على جهة فارس وعراق العجم من مملكة

==

العجم، ومعاناة أهلها لشدة الحروب معه، إلى أن أكلوا الكلاب والهَرَر والفيران، وكان متسلّم البصرة إذ ذاك سليمان بيك، الذي آل إليه أمر بغداد فيما بعد، وصار يُسمى سليمان باشا أبا سعيد، وهو سيد داود باشا، وكان الوزير في بغداد عمر باشا، وكان سلطان الإسلام: السلطان عبد الحميد الأول<sup>(١)</sup>، ولم يمدّ السلطان متسلّم البصرة بشيء في هذه الشدائد، وقد حضر لمساعدة أهل البصرة: ثامر بن سعدون<sup>(٢)</sup> وثؤيني بن عبد الله<sup>(٣)</sup>، أول المحاصرة، فلما رأيا قوة عسكر العجم؛ فرّا إلى البادية بقومهما هاريين، وعمر باشا يستمد

==

إيران، واتخذ شيراز عاصمة له، وبقيت جهة خراسان في أيدي الضعفاء من ورثة نادر شاه، وسواحل بحر الخزر تغلب عليها حسن خان جد الملوك من أسرة قاجار، فحكم كريم خان مدة عشرين سنة (١١٧٣ - ١١٩٣)، وفي خلال هذه المدة هاجم البصرة على ما يذكره مؤرخنا ابن سند. (الخطيب).

(١) تولى السلطنة سنة ١١٨٧ عند وفاة أخيه السلطان مصطفى الثالث. (الخطيب).

(٢) أمير قبائل المنتفق، قُتل عام ١١٩٣ هـ.

(٣) أمير قبائل المنتفق، تولى الإمارة بعد ثامر، قُتل عام ١٢١٢ هـ.



من الدولة ويستغيث، فلا تمدُّه ولا تسمع نِداءه؛ لما هي فيه من أهوال الحروب مع الروس<sup>(١)</sup>.

وفي آخر الأمر أمدَّت الدولة العليَّة واليَ بغداد بجيشٍ جسيم، لكن لعدم الضبط والربط كان أكثر الوزراء خُونًا، وكان رؤساء ذلك الجيش ثلاثة: عبد الله باشا وعبدو باشا ومصطفى باشا (فلعلهم إما ارتشوا أو جبنوا)؛ لأنهم أشاعوا أن السلطان عبد الحميد اصطَلح مع ملك العجم كريم خان، وأنه عن قريبٍ تنفك المحاصرة عن البصرة، وذلك ليُثبِّطوا هِمة العسكر النيجارية عن القتال، والهجوم على العدو، للمغروز في طباعهم، وصَوَّروا فرمانًا عن السلطان بالكذب، مضمونه هذا الصلح، وعزل عمر باشا وتولية مصطفى باشا بدله، وكلُّ هذا افتراءٌ على السلطان، ولُبَّعد المسافة ما بين بغداد وإسلامبول، وعدم ارتباط البوسطات بينهما، كان يتعذر وصول

---

(١) التي انتهت سنة ١١٨٨ بإذعان الدولة للتوقيع على معاهدة قاينارجة، وتسليم بعض القلاع العثمانية للروس، والاعتراف باستقلال القرم الذي كان توطئة لاستيلاء الروس عليها بعد ذلك بثلاث سنوات. وكان من الدناءة والغدر والإسفاف: بغى الإيرانيين على البصرة والدولة العثمانية في مثل هذه الظروف! (الخطيب).

الخبر الحقيقي إلى محلّه، خصوصًا مع غِلْظِ حُجاب ملوك آل عثمان، فإنه ما أوْهَنَ الدولة وأضعفها إلا هذان السببان.

فأمّا ما كان من عمر باشا؛ فإنّه لما بلغه عزُّهُ خرج عن البلد وخيّم بالجانب الغربي منها، وتجهّز للسفر إلى إسلامبول، فبعد أيام هجم عليه رجال مصطفى باشا في الليل، وأخرجوا فرمانًا كذبًا ثانيًا بقطع رأس عمر باشا؛ لإهماله في أمر البصرة، وقطعوا رأسه علنًا؛ لأن مصطفى باشا ظهر أنه محبٌّ للعجم في الباطن ويظهر خلافه للعامة، فكتب إلى مُتسلّم البصرة سليمان بيك أن المددَ لكم بعيد من الدولة العليّة، فإما أن تصطَلح مع العجم، وإما أن تُسلم البلدة لهم، وكتب إلى الدولة بأنّ صُلحنا مع العجم انتظم، وأن جيوشهم تفرقت عن البصرة ورجعت إلى ممالكهم.

فلما ورد على سليمان بيك ما أرسله مصطفى باشا سَقَطَ في يده، وأحضر أعيان البصرة وقرأه عليهم، فحينئذٍ أيقنوا بالهلاك، فخرج جماعة من الأعيان طالبين من صادق خان رئيس عسكر العجم الأمان للنفوس والأعراض<sup>(١)</sup>، وأباحوا له ما سواهما، فدخل البصرة

---

(١) صادق خان أخو كريم خان ملك شيراز، ولما مات كريم خان سنة

بعسكره وهتكها وفضحها، ولم يبق مأثماً إلا ارتكبه هو وقومه، ولم يَفِ بشيءٍ مما وعد به من العهود، وما ترك نوعاً من الظلم إلا تجشّمه، أفعالٌ ولا أفعال التتار، وأمر الناس بسبّ الصحابة جهراً علناً على المنابر والمنابر؛ خصوصاً أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة، ونُودي بحيّ على خير العمل<sup>(١)</sup>، وهرب كلٌّ من له قدرةٌ من أهل البصرة إلى البراري والقفار، وبعضهم ركب البحر إلى ما شاء الله، لا يعلم أين يتوجه، فخربت البلاد وخلت، وتعطلت تلك المساجد والمشاعر والمدارس<sup>(٢)</sup>، وجميع أعيان البلد ومن يُظنُّ فيه الغنى في الأغلال والحديد يُعذَّبون لإخراج المال المدفون، على زعم العجم، والعصا

==

١١٩٣ خلفه زكي خان، وتوفي سنة ١١٩٣ فتولى صادق خان هذا حكومة شيراز مدة سنتين، وكان غير أهل لأمانة الحكم، وأساء السيرة في وطنه كما فعل في البصرة، فقُتِل سنة ١١٩٦، وتولى بعده علي مراد خان، وانتقل الأمر بعدهم إلى وزيرهم لطف علي خان، وانقرضت به الدولة الزندية سنة ١٢٠٨ باستيلاء الملوك من آل قاجار على إيران كلها. (الخطيب).

(١) وأي خيرٍ عملٍ يُنادي به مرتكبو شرِّ الأعمال! (الخطيب).

(٢) هذا؛ مع أن كريم خان يعدونه في الإيرانيين من أنصار العلم والإصلاح، فإذا كان هذا شأنه، فما هو حال قادة الجهل والفساد من قومه؟! (الخطيب).

والسياط تشتغل ليلاً ونهاراً على الأمراء وعلى حريمهم المخدّرات،  
وأمثال هذه الفظائع التي تقشعُر من سماعها الجلودُ.

وأما سليمان بيك مُتسلّم البصرة ومعه جملةٌ من أعيانها فنقلوهم  
إلى شيزار؛ لأجل أن يصير تعذيبُهم هناك بحضرة الشاه.

ولما سمع الأديب الشيخ عبد الله البيتوشي الكردي بما أصاب  
البصرةَ وأهلها من هذه الفئة الطاغية المتوحشة؛ كتب كتاباً وقصيدةً،  
وضمّنهما من البلاغة ما يلّين الصّخر، وأرسله إلى صاحب النخوة  
والإنسانية: الأمير سليمان بن شاوي الحِميري؛ لأنه كان من المعدودين  
إذ ذاك في بغداد، يَسْتَصْرِخُ ويستنجد منه نصرةً أهل البصرة، فلما  
وصل الكتاب إلى ابن شاوي، ضاقت الدنيا في عينه، ولم يمكنه لا  
المساعدة ولا المجاوبة؛ لأن ظروفَ الأحوال تقضي بذلك.

ثم إن عسكر العجم لَمَّا ملكوا البصرة وفعلوا فيها ما فعلوا،  
استَخَفُّوا بقبائل العرب، وازدروا بالدولة العلية كل الازدراء،  
فطمحت نفوسُهم لغزو بلاد المنتفق<sup>(١)</sup>، فجهّز صادق خان جيشاً

---

(١) بلاد المنتفق - أو المنتفك - مقاطعة من أربع مقاطعات كانت تتألف

عمرمًا من كل حَلوق اللّحية وله شاربان نحو شبر، وله عينان يتقاذف منهما الشرر، ومن كل فظٍ غليظٍ له لحيةٌ إلى عاتقه، وما كأَنَّهُم إلا مَرَاذِبُ كِسرى غاطسين في الحديد والزُّرد!

فتهيأَ عربُ المنتفق لهم في محلٍ يُسمى بالفضيلة، قريبًا من الفرات غريبه، والتقى الجمعان، فما كان إلا بُرْهة وقد اختلط العرب بذلك الجيش، ولعبت سيوف العرب كأنها مخاريق المشعوذين، فما استتم نصفُ النهار إلاّ والهزيمة على عسكر العجم، وولّوا الفرار، والتزمت العربُ منهم الأدبار، وأكثر هلاك العجم كان بالغرق، وسببه أنه اقتضى رأيُ رئيسهم أن يجعل الفرات خلفهم حتى لا يهجم عليهم العرب من خلفهم، فإنهم تعودوا بأن خيل العرب لها خِفةٌ شديدة في الالتفاف خلف العدو، فكان هذا هو السبب في هلاك عسكر العجم؛ لأنهم لما بدت فيهم الهزيمة لم يجدوا مفرًا إلا النزول في الفرات؛ لأجل أن يَقُومُوا إلى البر الآخر، فلحقّتهم العرب بخيلهم

==

منها ولاية البصرة، وهي في شهاها الغربي.

وفي شهاها الشرقي مقاطعة العمارة، وهما بين البصرة وبغداد. (الخطيب).  
قلت: انظر للزيادة عنها وعشائرها: "تاريخ المنتفق"؛ لسليمان فائق.

التي تسبق الرياح، وصاروا يطعنونهم وهم في الماء، فانظر كيف اجتهداً  
رئيس العجم هو الذي أورث قومَه الهلاك والدمار، وما أظن هذه  
الهزيمة والفشل والقتل الذي أصاب العجم إلا مجازاةً لما فعلوه في  
أهل البصرة، ومكافأةً للغدر بالعهود.

ثم إن باقي عسكر العجم دخلوا البصرة منكسين الرؤوس،  
رافعين ألوية الخزي، فحنق صادق خان وعزم على محاربة العرب مرةً  
ثانية؛ لأخذ الثأر وغسل العار، فجمع الجموعَ، وجدّد آلاتٍ غير  
التي تركوها عند العرب؛ من الأسلحة والخيول والعُدَد، وأرسل  
واستنجد بعسكرٍ جديدٍ من أخيه كريم خان سلطان العجم بشيراز،  
وكان كالباعثِ على حَتفه بظلفه، وما درى أن الدوائرَ على الباغي  
تدور، فخرج عسكر العجم من البصرة مرةً ثانية بجيشٍ جرار،  
غاطسٍ في الحديد والسيوف المجوهرة أضخم من الجيش الأول،  
ورئيسهم محمد علي خان، المشهور بينهم بالبسالة والظفر وإدارة  
الجيوش، وكان مع عسكر العجم عربٌ بني كعب الروافض،  
والذي جرّأهم على ذلك عِلَّةُ الدِّين والمِلَّة، وكان رؤساء المتفق:  
ثويني وثامر الشيبين، فالتقى الجيشان في أبي حِلانة، فعندما شأها.  
العربُ كثرةً جيش العجم وقوةً استعداده؛ جنحوا للصُّلح، وأرسلوا

لُمحمد علي خان في ذلك، فشرط عليهم شروطاً تأبأها شِيَمُ العرب، وتودُّ الموتَ والفناءَ والجلاءَ دونها؛ منها الإِثَاوَةُ، ومنها سُبُ الصحابة علناً على المنابر والمنابر، فما قبل منهم ثويني وثامر هذه الشروط، واستعدوا للموت، ثم إن محمد علي خان استشار شيخ الكثير علوان، فأخبره بمكيدة في تعبئة الجيش تضرُّ بالعرب، ولكن ثويني وثامر فهماها وتحذَّرا منها.

فلما التقى الجمعان ودار الضربُ والطَّعَانُ، وتطايرت الرؤوس عن الأجساد، وصاحت الأبطالُ على بعضهم صيحاتٍ يذوب منها قلبُ الجبان، فما كان إلا خمسُ ساعاتٍ وانفَلَّ جيشُ العجم وانهمز، وقُتل محمد علي خان رئيس جيش العجم، وتشتت جيش العجم شذَرَ مذر، وفرَّوا، وتركوا الأرض مصبوغَةً بالدماء، وجِيفَ العجم ظلت مطروحةً أشهرًا، إلى أن أنتن منها الجُثُ، وشبعت منها الطيور والسَّباع، وغنمت العربُ من هذه الواقعة غنائمَ من أسلحةٍ ومناطقَ مُرَصَّعةٍ بالجواهر لم يعرفوها ولم يسمعوا بها، خصوصًا والعجم متمولون من أموال أهل البصرة.

وهذه الهزيمة الثانية على العجم المسماة بواقعة أبي حِلَّانة كانت هي السبب في تقصير همة العجم عن أخذ جميع العراق.

فلما استقر عربُ المتفق في ديارهم وأوطانهم آمنين منصورين غانمين؛ وفدت عليهم الشعراء، فصاروا يجيزونهم بالعلب المجوهرة، والسيوف المرصعة، ومن حضر ذلك اليوم وأبلى فيه بلاءً حسنًا: حمود بن شامر، وكان شابًا ما طرَّ شاربه، ومحمد بن عبد العزيز بن مغامس. وهذه الواقعة كانت سنة ١١٩٧.

ولنرجع إلى أخبار الوزير عمر باشا والي بغداد؛ فإنهم بعدما قطعوا رأسه، وأفضت ولاية بغداد لمصطفى باشا - كما تقدم ذلك - : تحقق عند الخاص والعام أن مصطفى باشا جبانٌ خائنٌ غدارٌ، أولاً: لعدم إنجاده لأهل البصرة، وثانياً: لكذبه وافتراءه على السلطان بالفرمانات المزورة، فبناءً على هذا: خرج عليه عبد الله باشا ونابذه، واستولى على قُرى شرقي بغداد، وشرع في محاربة مصطفى باشا الوالي، فضاق الخناق على الوالي، فأرسل إلى الدولة الشكاية والسّعاية في عبد الله وما فعله من المخالفة، فصادف ذلك غضبَ الدولة على مصطفى باشا؛ لعدم مساعدته أهل البصرة، فانقلبت السّعاية عليه، فما مضت أيام إلا وقد ورد فرمان من الدولة بعزل مصطفى باشا عن ولاية بغداد، وتولية عبدي باشا بدله.



وأما عبد الله باشا فتهاذى على عصيانه وخروجه.

ثم في هذه الأيام بلغ السلطان استيلاء العجم على البصرة وما فعلوه فيها، وقتل عمر باشا (انظر لهذا السلطان الذي تؤخذ ممالكه ولا يبلغه خبرها إلا بعد أربع سنين!) فحالاً جاء فرمان من السلطان بقتل مصطفى باشا علناً، ولام الوزراء على كتمانهم هذه الأمور عنه، وتأسف على قتل عمر باشا؛ لأنه كان رجلاً صالحاً<sup>(١)</sup>.

ولما بلغ السلطان خروج عبد الله باشا واستيلائه على جانب من العراق بالسيف؛ أرسل فرماناً بعزل عبدي باشا وتولية عبد الله باشا بدله، وأمره أن يتوجه إلى البصرة.

فأما ما كان من عبد الله باشا فإنه لما استقر على كرسي ولاية بغداد أخذ الغرور والكبر، واشتغل باللذات والشهوات النفسانية البهيمية بجميع أنواعها، ولم يلتفت إلى أمر السلطان بمحاربة البصرة وفتحها، بل صار يوعده ويُسوّف ولم يمه أمر البصرة أصلاً، وظن أن وزارة

---

(١) وكيف يكون صالحاً وهو من رجال دولة متخومة بالفساد؟ وسترى قريباً أن رسن عمر باشا كان في يد مُحنثٍ إيراني يُسمّى عجم محمد! (الخطيب).

بغداد هي عبارة عن الاتكاء في صدر المجلس ودخول الناس عليه والتسليم بالوزارة، وارتكابه من الفسوق والفجور والظلم كل ما يريده، لا يُعارضه فيه معارضٌ، ولا يُنازعه منازعٌ، بل أغلب المنافقين يُحسّنون له جميع أفعاله؛ فاختلفت الأمور واثارت عليه العصبيات من كل وجهة، ومما ينبغي أن يُنبه له أن بطانة الملك هي المصلحة المُفسدة، وأن أدعية المظلومين كالسّهام المسدّدة، فمما أوجب في حكم عبد الله باشا الاختلال تقليده جميع أموره لعجم محمد العجمي الإيراني، الذي هو أدنى أوصافه القوادة، ويفتخر بها! ويقول: ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا بهذه الصّنعَة الشريفة!

وأما مناقبه؛ فهو عجم محمد العجمي الإيراني الرافضي، ورد من بلاد العجم وهو أمرّد، جميل الصورة، ومعه أخته وأمه، فصار يُغني وأخته ترقصان عند أكابر الدولة والأمراء، فنفق سوقه في بغداد، وأقبل عليه أهل الفجور والفساد من أمراء بغداد وأعيانها، ونَبّه وعظّم وصار يتوسط للناس في قضاياهم، ويُرثي ويهدى إليه الهدايا، وداهنه أرباب الحاجات، ونفع وضرّ، إلى أن صار يُعدّ من رجال الدولة وعظمائها، وتقرب من الوزراء، وجرى فيهم مجرى الدم من اللحم، ونادمهم، وكان فصيحًا منطيقًا، فإنه قبل عبد الله

باشا صار دُوادارًا<sup>(١)</sup> عند عمر باشا، ففتح له أبوابًا من الظلم، ووشى إليه على ناسٍ وأخرب بيوتهم، وهرب أكثر تجار بغداد من خوفهم من شرِّ عجم محمد، وشاب وظلمه وفجوره شباب، وكلَّما طال عمره زاد شرُّه، وعَلِّمته التجاربُ طرقًا يُضار بها أعداءه، يغفل عنها إبليس، حتى أنه لما قُتِلَ الوزير عمر باشا فرح الناس لظنهم أنهم خلصوا من شرِّ عجم محمد، وأن ناره قد خمدت، مع أن عمر باشا كان للخير أقرب، وله مآثر حسنة، ولكن لما قَرَّبَ عجم محمد حلَّ على الوزير شؤمُه، وكان من عاقبة أمره أنه عُزِلَ وقُتِلَ، فما فرح الناس بموت عمر باشا إلا لزعمهم أن نارَ عجم محمد خمدت، وأن نجمه قد أَفَلَ، ولكن حلم الله طويل، فما يشعرون إلا ومصطفى باشا قَرَّبَه إليه أكثر من قُرب عمر باشا، وصار هو مستشاره، وأوَّلَ داخلٍ عليه، وآخرُ خارجٍ عنه، وولَّاه خازنَدارية، وعكف الكل على الخمر والزنا واللواط، وجميع أنواع الفجور والمظالم؛ حتى أنه لما أرسل السلطانُ خَزَنَةً لصرفها على محاربة العجم وإخراجهم من

---

(١) أي: كاتبًا ومرافقًا ومستشارًا. قال الدكتور عماد رؤوف: (اسم وظيفة مُرَكَّب من لفظة "دَوَاة" العربية، و"دار" الفارسية، بمعنى صاحب، فيكون معناه "صاحب الدَوَاة").

البصرة، استحوذ عليها ذلك اللعين عجم محمد، ودار عليها من خلفها ومن بين يديها، وسرقها لنفسه، واحتوى على غالبها، وأبان للوزير عبد الله باشا حساباتٍ ودفاترٍ مسدّدة بأنه صرفها فيها.

ومن غفلة الوزير عبد الله باشا صدّقه واثتمنه؛ لأن هذا الوزير كان أبلهًا ومُغفلاً وألكنًا<sup>(١)</sup>، ولكن سبحان من أعطاه الوزارة! ومنه يُعلم أن الأرزاق ليست بالعقول والمعارف، بل بالجدود والحظوظ، ولو لم يكن دليلٌ على غفلة الوزير إلا أنه لما أرسل السلطان عبد الحميد جيشًا لمحاربة العجم وإخراجهم من البصرة، ووصل الجيش إلى بغداد، فقام عجم محمد وفرّق الجيش، وأرسل إلى الدولة مكتوبًا على لسان الوزير عبد الله باشا بأن العجم خرجوا من البصرة، لا حاجة إلى العساكر ولا إلى المصاريف، ومهر ذلك المكتوب بمهر الوالي وهو لا يدري ولا يفقه، وأظهر للوزير نصّحًا، مع أنه لوزيره وولي نعمته غادرٌ، وللدولة والإسلام خائنٌ، وهو مباطن للعجم، والمراسلة والهدايا جارية بينهم سرًّا، وكل هذا والوزير غارقٌ في الخمر، ومفوّضٌ زمامَ الأمور لعجم محمد.

---

(١) ثقیل اللسان، فیہ عُجْمَة.

وحين فُوض لعجم محمد تفريق العساكر ضَجِرَ والي كركوك حسن باشا، وكان مأمورًا بقتال العجم، ومعه عسكر من الدولة لحرب العجم، وإخراجهم من البصرة، فأرسل حسن باشا إلى نواحي بلاد العجم فرقةً من العسكر، فهجمت عليهم وغنمت ورجعت، ومعها أموالٌ وأغنامٌ وخيلٌ وأسارى من العجم، ثم إن حسن باشا أيضًا أرسل ثانية، ولكنها انهزمت تجاه عسكر العجم، فأرسل حسن باشا يطلب المدد من عبد الله باشا، فما أمدّه؛ لما أوقعه بينهما من العداوة: عجمٌ محمد. ولما رأى حسن باشا من عبد الله باشا عدم المساعدة كفَّ عن مناوشة العجم ومقاتلتهم؛ لأنه مأمورٌ من الدولة بعدم الخروج عن رأي الوزير عبد الله باشا.

ولما أبطأ خبرُ فتح البصرة على السلطان قال: إن عبد الله باشا إمّا جَبِنَ وإمّا خان، ولأم على مَنْ مدحه عنده حتى ولاه الوزارة، وهو أحد رجال الدولة المسمى بسليم باشا، فدبر سليمٌ حيلةً وتخلص بها من انتقام السلطان منه، بأن قال للسلطان: لو ترسلني إلى بغداد بصفة كوني مساعدًا لعبد الله باشا، فعليّ الضمان أن لا أرجعَ إلا بمفاتيح البصرة أو يحول الموت بيني وبينها.

فأرسله السلطان إلى بغداد، فلما سمع الناسُ بقدومه فرحوا

برجوع البصرة وإخراج العجم منها، فلما وصل سليم باشا إلى بغداد،  
فما كان من عجم محمد إلا أنه التفت عليه التيفاف السير بالقُبَاب، ونفث  
عليه بسحره وكهانتة، وأرسل له من الغلمان والنساء والخمور ما خامر  
به عقله، ويُن له أوجه جمع الصَفراء والبيضاء! فاتفق معهم على اللذات  
والشهوات، وجمع الذهب والفضة، وتركوا أمر السلطان نسيًا منسيًا!

فلما سَبَر عجم محمد من سليم باشا غوره، وعرف سوء نيته  
وحُبث طويته، وحبه اللذات والشهوات وجمع الدنيا، وكان قبلاً  
عرف حقيقة الوزير عبد الله باشا وما هو عليه من البلاء والغفلة؛  
طمحت نفسه لوزارة بغداد (لأن الوزارة كانت في ذلك الزمن هي  
لمن تميل معه أكثر الأهالي، ويكون غنياً ذا مال، وظالماً وغشوماً  
ويعرض في شأنه أكثر الأهالي إلى الدولة؛ فترسل الدولة فرماناً  
بذلك طبق مراد الأهالي).

فشرع عجم محمد يقتل في حبل هذه المسألة المهمة، ويدبر لتتميم  
هذه المدهمة، وكل هذا والوزير عبد الله باشا وسليم لم يشعرا بمُراده،  
وهو ساحرهما، يسبك عباراته وإغداقه عليهما بما ينهبه من العالم من  
الأموال، وما قوى عزم عجم محمد على هذا الأمر الخطير إلا مواعيد

كريم خان الزندي سلطان العجم له بأن يُساعده حتى يبلغ هذه  
الأمنية، إلى أن عَرَّه وتخلّى عنه -كما سيجيئك بيانه -.

ثم إن كريم خان الزندي سلطان العجم المقيم بشيراز طمع في  
الاستيلاء على بغداد كما استولى على البصرة؛ فجهّز جيشاً لفتح  
بغداد، فحينئذٍ تنبّه سليم باشا الذي جاء من طرف الدولة، وعَلِمَ  
سوءَ طويةِ عجم محمد، وأن هذه الفتن والمفاسد جميعها منه، ولكنْ  
بَعْدَمَا بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى لا ينفع الدوا.

وكان كتحدا بغداد رجلاً نبيهاً نبيلاً يُسمى إسماعيل بيك، ولكن  
ليس بيده من الأمر شيءٌ، بل كان عاميهِ وعامي جميع الأمراء، فتحرك  
كتحدا بغداد إسماعيل بيك وجهّز عسكرياً لمصادمة عسكر كريم  
خان.

ثم اتفق جميع أعيان بغداد وعقدوا مجلساً، واتفق رأيهم فيه على  
أن يطلبوا من كريم خان الصلح، وعيّنوا لهذه السفارة الأمير محمد  
بن عبد الله بن شاوي الحميري<sup>(١)</sup>؛ لِدَهاثه وعقله وفصاحته، فتوجه

---

(١) من أمراء قبيلة العبيد، كان داهيةً شهماً. قتله والي بغداد علي باشا عام  
١٢١٧هـ؛ متهمًا إياه بالميل للدعوة السلفية! - رحمه الله -

إلى شیراز للمكالمة مع سلطانها كريم خان، فلما وصل إلى شیراز فأَوْصَ كريم خان في الصُّلح وعدم سفك الدماء بين المسلمين، وَتَرَجَّاهُ فِي فَكِّ أُسَارَى البصرة، فَأَوَّلًا قَالَ لَهُ: إِنْ أُسَارَى البصرة وسليمان بيك لَا يُمكن فَكُّهُم ولو نزلت السماء على الأرض، ولكن من جملة الأُسارى أمراء من الأكراد فنحن نُطلقهم لأجل خاطرك؛ لأنك عزيزُ القَدر عندنا، وَأَمَّا تَسْيِيرُ العساكر إلى بغداد من طرف شیراز فقد أَرسلنا فِرَقًا لتأديب بعض قبائل الأعراب التي في محاكم الدولة العليَّة المُحارِبين لنا؛ فَإِنَّهم لِإِهْمَالِ الدولة أَطرافَ ممالكها صاروا يتعدون علينا وعلى ممالكنا بالنهبِ والسلبِ والخطف، فإذا طلبناهم يَكْثُرُوا راجعين وفارِّين، ويحتمون في داخل ممالك الدولة العليَّة، فما قصدنا إِلَّا تَأْديبهم فقط.

فلما سمع منه هذا الخطاب أيقن بعدم النجاح في سفارته هذه، ورجع إلى بغداد، فلما وصل قَريبَ بغداد بيومين بلغه وفاة عبد الله باشا الوزير؛ فحزن لأجله حزنًا شديدًا؛ لأنه كان صديقَه وله أيادي على محمد بن شاوي هذا، ثم إنه دخل بغداد والفتنة مشتعلة بين عجم محمد وحسن باشا والي كركوك، وسليم باشا معاضدٌ لعجم محمد، والبلدة مفروقة فرقتين، فرقةٌ تريد أن عجم محمد يكون هو وزير بغداد،



وفرقةً تريد أن حسن باشا والي كركوك يكون هو الوالي؛ فتحارب  
الفريقان، وعظمَ الضرب والطَّعان، وانشقت العصا بين المسلمين.  
فلما رأى الأمير محمد بن عبد الله بن شاوي الفتنة مضطربةً التزم  
الحِياد ولم يدخل مع أحد الفريقين، وأبقى رسالةً سلطان العجم إلى  
عبد الله باشا مكتومةً، ولم يبيِّنْها لأحدٍ ما.

وكان مع ابن شاوي رسولٌ من طرف كريم خان يُسمى حيدر  
خان، وهو كذلك لم يدخل مع أحد الفئتين، ثم إن أكثر المتحاربين لما  
رَأَوْا عدم تداخل ابن شاوي في هذه المفاصد، وأنه نزَّه عِرضه ودينه عن  
التداخل مع أحد الفئتين: ارتضوه أن يكون هو الحَكَمَ بينهما، فاختر أن  
يرسلوا كتخدا بغداد إسماعيل بيك إلى حسن باشا والي كركوك لأجل  
أن يُسَكِّنَ الفتنة؛ حتى أن يجيء أمر الدولة وتنفصل هذه المشكلة.  
فالكل رضى بذلك، إلا عجم محمد؛ لأن طبعه الخلافُ وزرْعُ  
الفساد ونشرُ الفتن كما قيل:

لَا يُحْكِمُ الصَّيَّادُ أَشْبَاكَهُ إِلَّا إِذَا عَكَرَ بَطْنَ الْغَدِيرِ!

فذهب إسماعيل بيك إلى حسن باشا والي كركوك وأكرمه، وقبلَ  
رأيه ورأى ابن شاوي، ولكون عجم محمد لم يوافق هذا الرأي: دام

منه الحرب داخل بغداد وخارجها، وجرت فتنٌ تُشيب الأطفال.

ولمّا عَظُمَ الأمرُ والبلدة محاصرة من طرف عجم محمد، والفقراءُ هَلَكُوا من طول الفتن واستمرارِ الحروب، راسل محمد بن عبد الله بن شاوي الوزير حسن باشا، وطلب منه أن يرّحل إلى بغداد بعسكره؛ لتسكين الفتنة ودرء الفساد، فلما وصلت ورقةُ محمد بن شاوي إلى حسن باشا قَبِلَهَا واستحسن هذا الرأي، وعَزَمَ على التوجه إلى بغداد، ولكن لأجل الفتنة التي بين قبائل الأكراد تأخر حتى يُصلح بينهم، فلما تأخر الجواب عن ابن شاوي من طرف حسن باشا، والشَّرُّ يَزْدَادُ يومًا فيومًا، والقتل والنَّهب واللصوص والهجوم على الدور ليلاً ونهارًا مستمرًّا، قامت فئَةٌ عربٍ نجد، المعبر عنهم بِعُقَيْل<sup>(١)</sup>، ودخلوا بين الفئتين المتحاربتين، وحجزوا بينهما على

---

(١) عُقَيْل : تجارٌ من نجد -القصيم خاصة- من قبائل شتّى ، يتاجرون في الإبل والخيل وغيرها من السِّلَع ، ما بين نجد والعراق وبلاد الشام ومصر والسودان ، واستمر عملهم هذا إلى عام ١٣٦٨ هـ . واختلف في سبب تسميتهم بِعُقَيْل ؛ فقيل : لأجل تميزهم بلبس العِقال ، وقيل : تشبيهاً لهم بقبيلة عقيل بن عامر ، التي كانت تُمارس هذه التجارة قديمًا . انظر : موسوعة "العُقيلات" ؛ للأستاذ عبداللطيف الوهبي .

الهُدنة، وقالوا: إن الفرقة المخالفة فنحن عليها، فحينئذٍ سكنت  
الفتنة بين الفتتين مقدار شهر، إلى أن ورد أمرٌ وفرمانٌ من الدولة  
بتولية حسن باشا وزارة بغداد؛ فاستتر عجم محمد، وأقل نجمه،  
وانكسرت شوكتُه، ودخله الرُعبُ والذُّل والهوان، وجاء الزمن  
الذي يمكن أن ينتقم منه كلُّ إنسان، وأراد الهروب ولم يمكنه.

ولما تبين لمحمد بن شاوي أن السلطان أمر بمحاسبة عجم محمد:  
أرسل إليه ناسًا، وحجزه خوفًا من الهرب، فتكفله أهل الميدان إلى أن  
يدخل الوزير الجديد بغداد ويسلمونه له، ووضعوه في القلعة التي  
بجھتهم وحرسوه، وكان الأمير ابن شاوي وكيلًا عن حسن باشا إذ ذاك،  
فحرّض على أهل الميدان بالتحفظ على عجم محمد إلى أن يحضر الوزير،  
وأهلُ الميدان مُضمِّرون الغدر؛ لأن أكثرَ كُبرائهم غرُسُ نِعَم عجم محمد.  
فبعد أيام وصل حسن باشا إلى بغداد، فانهزم عجم محمد خفيةً  
ولحق بأحمد بن محمد خليل، شيخ قبيلة اللاوند<sup>(١)</sup>، العاصي، القاطع

---

(١) عدّ الدكتور عماد رؤوف في مقدمة تحقيقه لـ "مطالع السعود" (ص ٥٤)  
هذا من أخطاء الحلواني؛ لأن اللاوند ليست قبيلة، وإنما (إحدى فِرَق  
الجيش المحلي في بغداد).

للطُّرُق من مدة مديدة، فتعاهدا على الإفساد وقطع الطُّرُق وهتك  
الحُرُمَات، وصار في كل يوم تُسمع لهم غارةٌ على جهة، كان شيطانًا  
واحدًا فصارا شيطانين! إلى أن عجزت الحكومة عن ردعهما، وكان  
أكثر نهبهما وسلبهما في الجهة الشرقية من بغداد.

فلما ضاق الخناق من حسن باشا أرسل محمد بن شاوي إلى أحمد  
باشا رئيس الأكراد على أنه يؤدب قبيلة اللاوند، فحينئذ انخزل<sup>(١)</sup>  
بعض اللاونديين عن عجم محمد، وعن ابن خليل، وقدم أكثر قبيلة  
اللاوند اللذين فاقوا الخوارج في الشجاعة والفساد، وأرسلوا إلى  
الوالي حسن باشا.

وكلُّ هذا ولم تنفك عزيمة العصاة عن الفساد، إلى أن حاصروا  
بغدادَ ونهبوا ضواحيها، فحينئذ أرسل الوالي محمد بن شاوي  
الحِميري إلى قبيلة آل عُبيد الحِميريين يستصرخهم في محاربة عجم  
محمد وابن خليل، فلما وصلهم رسولُ الوالي لَبَّوا دعوته، وقصدوا  
محاربة العصاة.

---

(١) ارتدوا عنه وضعفوا.

فلما قاربوا بغداد وسمع بهم الوالي؛ أخرج من طرفه كتخدا عثمان بيك ومعه عسكرٌ لأجل أن يساعد آل عُبيد في الحرب، فلما خرج من بغداد بلغ الخبرُ ابنَ خليل؛ فأخذ عسكره وفصل بين الكتخدا وبين آل عُبيد وهم لا يشعرون، وانعطف على الكتخدا وعسكره وكانوا قليلاً، فانتشبت بينهم الحرب، وانهزم الكتخدا ومن معه، ودخلوا بغداد مهزومين، وقيل إن عسكر الكتخدا خانوه ومالوا مع عجم محمد، والكل خائن!

ثم إن الوزير حسن باشا لما عرف أن آل عُبيد لا يُفرجون عنه، أرسل إلى أحمد باشا الكردي يسنجده، وأيضاً تباطأ عنه، فأرسل رُسلًا إلى أخيه محمود باشا أن يمدّه بعسكره، فوصل محمود باشا إلى بغداد ومعه عسكر الأكراد، فقوي عَضُدُ الوزير، فجهّز الوزير جيشًا مؤلفًا من محمود باشا وعسكره، ومن الكتخدا عثمان بيك وعسكره، ومن عرب نجد المعبرَ بعُقيل، ومن آل عُبيد ورئيسهم الأمير محمد بن شاوي الحميري.

فلما خرج الجميع من بغداد تلاقوا مع شردمة نحو الألف من عساكر العَصَاة، فهزموهم وولوا العصاة الفرارَ، فلما بلغ عجم محمد وابن خليل ما جرى لعسكرهما ارتحلا بمن معهما إلى البَنْدِيج،

وداخلهما الرعبُ والخوفُ، فقفاهم عسكر والي بغداد، والتقوا مرة ثانية بالبندنج، وأيضاً انهزم العُصاة وفروا، وقد أَسَرَ عسكر الوزير من العُصاة نحو المئتين، وهكذا على الباغي تدور الدوائر.

وأما سليم باشا فإنه لبس ثوبَ الخزي والعار، ورجع على قصدِ التوجه إلى إسلامبول، فلما بلغ السلطانَ خيائته وما انطوى عليه، وأن حركته إلى بغداد ما زادت إلاَّ خراباً وفساداً؛ أرسل فرماناً إلى والي ديار بكر أن يستصفي ماله ويحبسه في قلعةٍ إلى الممات، وقد كان، فسلبه وحبسه، وكذلك السلطان أخذ دارَه التي في إسلامبول بها فيها، وأعطاهَا لشيخ الإسلام، ثم بعد أيام جاء الخبرُ من السلطان بقطع رأس سليم باشا؛ فقطعوا رأسه، وهذا جزاءُ مَنْ يخون سيده ووليَّ نعمته.

ولنرجع إلى أخبار الوزير عمر باشا، فإنه أقام والياً في بغداد ثلاثة عشر سنة، ثم قُتِل في حدود التسعين ومائة وألف.

ومَن توفي في سنة ٩٠: العالم العلامة السيد صبغة الله ابن إبراهيم الحيدري الحسيني، فَمِنَ أخذ عنه العلومَ: العلامة زين الدين الهكاري، والعلامة محمد بن شروين، والفاضل أحمد المجلى، والجهبزي الملا شيخ الكردي الأشنوني ثم المدني، والعلامة الشيخ عبد الملك

العصامي في الحديث النبوي<sup>(١)</sup> بحق سماع عبد الملك من والده عن العلامة ابن حجر المكي.

وفي سنة وفاته تولّى الوزارة عبد الله باشا، وجلس في ولاية بغداد سنتين لا غير، ثم توفي سنة ١١٩٧، وبعده انتقلت الوزارة إلى حسن باشا، فملك سبعة عشر شهرًا، ثم أخرج أهْل بغداد منها قهْرًا، وذلك أنه بعدما هزم الخوارج العصاة بعساكره المجمعّة - كما تقدم لك - وكان ابن خليل وعجم محمد متحصنين في جبال اللورستان، وهي من ممالك أحد سلاطين العجم المسمى بزكي خان، الذي آلت إليه سلطنة شيراز العجم بعد كريم خان الزندي في سنة ١١٩٣، وكان كريم خان أرسل قبل موته أخاه صادق خان إلى البصرة واليًا عليها، فلما نُعي إلى صادق خان أخوه كاد أن يخرس من الحُزن والغم، خصوصًا لما بلغه أن العجم سلطنوا عليهم زكي خان، فعزم صادق خان على الهروب إلى ما شاء الله، من الخوف من زكي خان، ومن والي بغداد، فخرج من البصرة بمن معه من العساكر متوجّهاً إلى شيراز.

---

(١) في الهامش: "وهو أخذ عنه أيضًا".

فلما بلغ خبر خروج صادق خان من البصرة إلى والي بغداد وجه مُتسلِّماً على البصرة نعمان بيك، فسار إليها وملكها وحكمها؛ لعدم وجود من يعارضه؛ لأنَّ عسكرَ العجم أخلوها من لَدُنْ أنفسهم، ورَمَّ أسوارها، وأصاب أهلها من الفرح ما عدّوه من أعظم الفتوح.

ولما مات كريم خان وتولى زكي خان أطلق أسرى البصرة وسليمان بيك متسلِّماً الأوَّل، ولما فكَّه أنعم عليه بولاية البصرة، فخرج سليمان بيك من شيراز، ولما وصل إلى الحُويزة كاتب أهل البصرة بأنه هو والي البصرة من قديم، وأن هو الذي قاسى الشدائد فيها وفي حصارها، وأنه لم يعزله أحدٌ، على أن الذي كان مالِكها العجمي هو أيضًا ولأه عليها، فلم يقبل منه نعمان بيك، ولا ثامر: هذا الكلام، فبقي في الحُويزة منتظرَ الفَرَج، فلم يلبث إلَّا أيامًا قلائل حتى جاءه الفَرَج، وذلك أن ثامرًا أغزى عربَ الخِزاعل، فأصابه سهمٌ ومات به.

وكان سليمان بيك بعدما منعه ثامر ونعمان بيك من دخول البصرة كاتب والي بغداد واستعطفه في أن يرده على البصرة؛ فلم يُسعفه، فكتب إلى الدولة العلية وهو في الحُويزة يسترحم منها رد البصرة إليه، لما قاساه من الشدائد في حصارها وما قاساه من الضرب بالسياط والكَيِّ بالنار، وهو مأسور في شيراز عند كريم خان.



ولما لسليمان بيك في البصرة من المآثر والمشاهد والعدل والإنصاف: أجابه ثويني ابن عبد الله إلى ما طلبه من دخوله إلى البصرة واليًا عليها - وإن خالف رأي والي بغداد - وراسله بالقدوم عليه وهو يساعده على مطلبه، فبينما هو شارعٌ في السفر إلى البصرة إلّا وقد جاءه الفرمان من السلطان بولاية البصرة، وأنه أحق بها دون غيره.

فبعدما استقر فيها وأراح العباد بيثّ الأمنيّة فيهم: راسل الدولة العليّة وطلب ولاية بغداد، وأنه يؤمّنها ويقطع دابر الفساد منها، وصادف ذلك أن أهل بغداد نَقِمُوا على وزيرهم حسن باشا؛ لضعفه عن مقاومة عجم محمد وابن خليل، وذلك أن عجم محمد وابن خليل لما رجعا من اللورستان قَرِبا من بغداد، وأخافا السبيل، وقطعا الطُرق، وشنّا الغارة على بغداد مَسَاءً وصباحًا، فلما ضاق أهل بغداد ذَرعًا أخرجوا الوالي حسن باشا قَهْرًا من بغداد، فخرج من بغداد ليلاً ونزل بالجانب الغربي، وبقي أيامًا، وبعده سافر قاصدًا ديار بكر بن وائل، فلما وصلها وأَمِنَ على نفسه من القتل: أتاه داعي المَنون، فمرض ومات هناك.

ومن حين خرج من بغداد بقيت الولاية شاغرة؛ فاتفق أهل بغداد على أن يجعلوا إسماعيل بيك قائم مقام الوالي، إلى أن يحضر أمر الدولة العلية.

فما يشعرون بعد أيام قلائل إلا وقد وردَ الفرمان من الدولة بأن وزارة بغداد لسليمان باشا متسلم البصرة، ولا يعلمون بالمكاتبات التي كانت تدور بين سليمان باشا وبين السلطان، ووافق توجيه إيالة بغداد والبصرة وشهرزور لسليمان باشا في خمسة عشر شوال سنة ١١٩٤، وورد أمر آخر لسليمان باشا ابن أمين باشا الموصل أن يُحافظ أمور بغداد، ويؤمن طرقها إلى أن يأتيها وزيرها سليمان باشا والي البصرة.

فتوجه سليمان باشا والي البصرة إلى بغداد ومعه ثويني بن عبد الله بعشائره، وجملة من عسكر الزبير أهل نجد، فلما وصل إلى العرجاء من أرض المنتفق لاقاهم إسماعيل بيك الكتخدا ومعه عسكر أيضًا يشد عضدَهم، فما كان من الوالي إلا أنه أمر بقطع رأسه! وقيدَ مَنْ كان معه؛ لأمر ينقمها عليه قديمًا، وولّى على البصرة متسلمًا، رجلاً اسمه سليمان أفندي، وأرسل معه مهرداره أحمد الزكي، ثم ارتحل.

ولمّا وصل إلى كربلاء التمس منه ثويني الرجوعَ، فأذن له، ولمّا وصل الوزير إلى الحِلَّةَ لقيه الأمير سليمان بن عبد الله بن شاوي الحميري؛ لما بينهما من المودة القديمة، فأكرمه الوالي وأجلَّه، ولما وصل إلى المسعودي استقبله قايم مقامه والي الموصل المار ذكره، والعلماء وأعيان بغداد، وعزل نعمان أفندي عن الكتخداية ونصّب عبد الله أفندي وكيلاً فيها، وأذن لوالي الموصل برجوعه إلى بلده.

ولما نزل دِيَالَه ورد عليه من حاكم بابان أكبرُ أبنائه: الأمير عثمان بيك، ومعه خمسمائة خيَّال من الأكراد الموصوفين بالشجاعة والهجوم؛ لمساعدة الوالي، فحينئذٍ عزم الوالي على محاربة عجم محمد وابن خليل قبل دخوله بغداد، فقصدهما الوالي بعسكره الجرّار، وانتشبت الحرب بينهم، فما كان إلّا ساعة وقُطِعَ رأسُ ابن خليل وحُمِلَ رأسه إلى الوزير، وانهزم عسكر العصاة وتفرقوا شذَر مذر، ولم تقم لهم راية بعدها. وبقي عجم محمد مخذولاً مطروداً وحيداً منفرداً، لا ناصر له.

وشرع الوزير في الصّلات والعوائد لمن بانت شجاعته من المحاربين في ذلك اليوم، وأقام الوزير في ذلك المحل شهراً يأمر وينهى، ويدبر في سياسة؛ لإرهاب المفسدين.

وبعده دخل بغداد، فحصل هناءً كبيراً وسرواً لأهل بغداد،  
ولما جاورها من القرى، بعدما ذاقوا النكال والوبال من السراق  
واللصوص وقطّاع الطريق، وذلك في رمضان سنة ١١٩٤.

وبعدما استقر في بغداد أظهر بعض الأعراب العصيان والخروج  
على الوالي، وهو حمّد بن حمود، أمير خُزاعة، فحدّره الوالي عاقبة  
الطغيان وهدده، فلم يرجع عن غيه وطغيانه، ولما لم ينفع فيه التحذير  
خرج إليه الوزير وحاربه في أعز الأماكن لديه، وهزمه وفلّ جموعه،  
وعزله وولى على تلك القبيلة محسن بن محمد بدله.

فلما نزل الوالي بعسكره غربيّ الفرات مقابلاً للديوانية: خافت  
منه قبائل خزاعة بأجمعهم، فكسروا الجسور حتى يُفرّق بلادهم الماء؛  
لأنهم يعيشون في الأهوار، ويجعلونها معقلاً لهم (والأهوار هي الغُدُر  
التي تتكور من ماء الفرات)، وحيث لا يمكن لعسكر الوالي الوصول  
إليهم إلا بعُسْرٍ.

فلما بلغ الوالي مكيدتهم: أمر بالإقامة على تلك الجسور، وهمّ  
بسدّها كما كانت، وشغّل فيها كلّ من يمضي عليه أمره، فسدّها في أقرب  
مدّة بسدٍّ كأنه سدُّ إسكندر ذي القرنين، وقوّة تُبهر العقول، فحيثُ تيقن

عرب خُزاعة أن المياه التي هي حُصونهم لا بدّ أنها تنشف عن قريب، ويُغير عليهم الوالي بخيله، ويُهْلِكهم عن آخرهم، فما كان مِنْهم إلا أنهم أذعنوا إلى الطاعة، وأرسلوا حَرِيمَهُم يترجون لهم عند الباشا (وهذا كان عند أهل العراق من علامات الدُّل والانخضاع والطاعة).

فعفا عنهم الوزير سليمان باشا، ورقّ قلبه عليهم، وكانت شيمته العفو عن المجرم إذا اعترف بذنبه.

ولمّا عفى الوالي عن قبيلة خُزاعة وعن شيخهم حمد بن حمود: استوفى منه الخراج المنكسر عليه، وردّه شيخًا على قبيلته كما كان، وألبسه خِلعةً، وخرج من عند الوالي مُعَزَّزًا مُكْرَمًا، وهذه الغزوة كانت سنة ١١٩٥.

وبعدما دخلت سنة ١١٩٦ بدا من متصرف بابان محمود باشا بعضُ مخالفةٍ للوزير، فبدا للوزير محاربته وتأديبه، فبينما هو مصمّمٌ على النهود للحرب، إذ ورد عليه من ديار بكر كتحدا حسن باشا والي بغداد سابقًا، وهو عثمان بيك، وافدًا يشتكي من ضَعْف الحال، وهو من ذو البيوت القديمة؛ فأعطاهُ قصبة البندنج يستغلها، وأكرمه لِيُضَعِّفُ به همة متصرف بابان؛ لأنه كان عَضُدَهُ.

فلما أقام بالبندنج مدةً: استقلها، وأعرض للوزير بأنها لا تفي بمصاريفه! فولاهُ متسلمية كركوك، فمئذ دخلها لا زال عثمان بيك متصرف سنجاغ يُراسله ويوسوس له في العصيان على الوالي، فتحسن لديه العصيان والخروج عن طاعة الوزير وكُفران نعمة المُنعم؛ فتحالف مع عثمان بيك المذكور على الغدر والإفساد.

فلما سمع بذلك محمود باشا متصرف بابان انضم إليهما، وكان عنده عيداً من الأعياد، وحين علم الوزير سليمان باشا بتجمعهم وعصيانهم، وما أضمرُوا عليه: خرج عليهم بعسكرٍ جرّار، وقصد معاقلهم - وهي بلاد الأكراد -، فلما وصل كركوك كاتب بعض أمراء الأكراد غير العصاة، على أن يوليهم بدلهم، فوفد عليه كلُّ طُماعٍ في الرئاسة، وأول من ورد عليه: حسن بيك بن خالد بن سليمان، شيخ بعض قبائل الأكراد، فرَّح به الوزير وأكرمه، وعزل عمّه محمود باشا عن متصرفيه بابان، ونصّب حسن بيك بدله.

فلما سمع عمّه محمود باشا بذلك: استشاط غضباً، وانشقت العصا بين قبيلته.

ونصَّب أيضًا محمود بيك بن تمر بيك على كوي وحريرا<sup>(١)</sup>.

فخضع متصرف بابان للوزير، وأرسل له جملة من العلماء والسادة يتشفعون له عند الوزير في رد منصبه إليه، بل أرسل نسائه وأطفاله أيضًا للرجاء والشفاعة (كما هي عادة عشائر العراقيين).

فقبل منه الوزير ذلك بشروط: منها دفع الخراج المنكسر عليه، وأن يُرسل بعض ولده وحريره إلى بغداد رهينةً عند الوالي، بأن لا يعود للفساد ولا يؤوي المفسدين، وأن يُبعد الكتخدا عثمان بيك عن دياره ومملكته.

فقبل الشروط أجمع، وعزم على أن لا يعود إلى المخالفة. فلما تحقق الوزير إطااعته أعاده إلى متصرفيه بابان، إلا كوي وحرير.

والذي كان سفيرًا بين الوزير وبين محمود باشا هو الأمير سليمان ابن عبد الله بن شاوي الحِميري.

---

(١) هذان الموضعان سيتكرر ذكرهما بهذا الرسم، وفي مقاطعة (راوندوز) من أعمال (كركوك) ناحية أسمها (ديرة حرير) ولا ندرى إن كان لها علاقة بهذا الاسم أم لا؟ (الخطيب).

فوفي محمود باشا بما التزم، وبعث سليمان ابنه مع بعض نسائه إلى بغداد رهناً، وأبعد عثمان بيك عن ممالكه.

فأرسل الوالي إليه خِلعة الحُكم.

وبعدما رجع الوزير بعسكره إلى بغداد نقض محمود باشا العهد، ولم يفِ بما التزم به! وجَهَّز جيشاً لمحاربة كوي وحريرا، وحاصر ابن تمر أميرها.

فلما بلغ الوزير هذا الخبر: أرسل مدداً لوالي كوي وحريرا: خالد بيك ومصطفى بيك، بعسكرهما، فلما وصلا كركوك: خاف محمود باشا ورجع عن كوي وحريرا، وأرسل واستشفع إلى الوزير مرة ثانية، وطلب العفو منه وتاب.

فقبل الوزير انخضاعه، بشرط أن يعطي اللوامين لإبراهيم بن أحمد باشا، لا لابنه عثمان بيك، فامثل محمود باشا خوفاً من الوزير. وأقبل ابن تمر إلى بغداد.

وفي سنة ١١٩٧: عاد متصرف بابان محمود باشا إلى ما جُبل عليه من العصيان والعسف والظلم والفجور، وأخذ في قطع الطرق والهجوم على قُرَى الدولة، وإلزامهم بالمغارم الباهظة، وما جرَّاه على



ذلك إلا شدة حلم الوزير، كما قيل:

وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَا

مُضَرٌّ كَوَضَعَ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

وبعدما بلغ الوزير غَدْرُهُ هذه المرة، عزم على غزوه، وأن لا يقبل فيه شفاعاً أبداً، وأرسل إلى والي كوي وحريراً إبراهيم بيك أن يستعد للمساعدة، وسافر الوزير بجيشه، ولما وصل كركوك طلب أمير كوي وحريرا، فقدم إليه بأتباعه وعشائره، فألبسه خلعة بابان، فتفرق عن محمود باشا أكثر عساكره، وانضموا إلى المتصرف الجديد، ولم يبق عند محمود باشا إلا شرذمة قليلة لا تُجديه شيئاً.

وكان محمود باشا متحصناً بجبال الدربند، فقصده الوزير بجنود، فلما سمع بقرب الوزير من معاقله، وعلم أنه لا طاقة له بمقاولة عسكر الوزير، فرّ هارباً إلى ممالك العجم، هو وعياله وأتباعه، وانضم إليه عثمان بيك ضيفه القديم.

فرجع الوزير وإبراهيم باشا إلى بابان، وبقي عثمان باشا في بابان، ووصل الوزير إلى بغداد مقرّ ملكه ومنبع عزّه.

وفي سنة ١١٩٧ قُتِلَ محمود باشا، وسببه أنه صارت بينه وبين العجم محاربة، وذلك لِأَنَّ طَبْعَهُ الشَّرَّ والفساد حيثما حلّ، فقتل في

تلك الواقعة، وفرَّ عثمان بيك من بلاد العجم ودخل بغداد، والتجأ إلى الوزير، وقبَّل يده، وطلب منه العفوَ والسَّاح، فعفى عنه وأعطاه بعضَ قرى خارج بغداد يستغلها ويتعيش منها.

وفي تلك السنة ارتكب محسن الخزاعي العصيان، فلما بلغ الوزير عصيائه، وأنه بنى قلعةً وتحصَّن فيها، قصده الوزير بعساكره، وهَدَّم عليه قلعته بالأطواب<sup>(١)</sup>، وشتت جموعه، وعزل محسنًا وولى بدله حمد بن حمود إمارة خُزاعة، وأضاف إليه إمارة الشامية علاوة، ورجع الوزير إلى بغداد.

ودخلت سنة ١١٩٩، وفيها ارتكب حمَّد بن حمود العصيان، وكَفَّر نعمة الوزير وإلباسه بالأمس خِلعتين في يومٍ واحد، وما أغراه على ذلك إلَّا حِلْمُ الوزير وكرمه، وما غرَّه إلَّا أهواره داخل المياه ظنًّا منه أنها تحميه وتَحْفَظُ قومه من عساكر الدولة؛ فهجم عسكر الوزير على قبائل خُزاعة داخل الأهوار والمياه، وشتتوهم، وهرب حمد بن حمود إلى الحِسْكة.

ثم إن عجم محمد العاصي القديم المتقدم الذكر، لما بلغه عصيان حمد بن حمود: التحق به ليساعده على المفاسد والتخريب!

---

(١) قذائف المدافع. (الخطيب).

ودخلت سنة ١٢٠٠: وفيها سعى بعض المنافقين الحساد - وهو أحمد بيك المهردار - بين الوزير وبين سليمان بيك بن عبد الله بن شاوي الحميري، حتى ملأوا قلبَ الوزير منه، فخاف من الوزير وفرَّ هاربًا خارجًا عن الطاعة.

ويا عجبًا لهذا الأمير الأصيل! بعد أن مضى عُمره في الإصلاح وفي السفارات بين الملوك؛ لوفور عقله وشدة ذكائه وفطنته وفصاحته وحُسن نيته وطويّته وشهرة صدقه وأمانته، أصبح من المفسدين قُطّاع الطريق، المنضمين إلى عجم محمد وأمثاله<sup>(١)</sup>!

فلما تحقق انضمامه إلى المفسدين: أرسل الوزير إليه عسكريًا

---

(١) المؤلف معترفٌ بأن سعاية نفاق وحسد وقعت من أحمد بك المهردار؛ لإفساد قلب الوزير على هذا العربي الحصيف. وكان ينبغي للوزير أن يحتفظ بأمثال ابن شاوي وأن لا يخسر صداقتهم، والشيطان إذا تمكن من الميل بالناس عن طريق الصواب ذهب بهم أبعد المذاهب. والمؤلف من دأبه في هذا الكتاب أن يكون رقيقًا بالوزير سليمان باشا لأنه ألّف كتابه لتلميذه وصنيعته الوزير داود باشا! ومثل ابن شاوي لا ينضم إلى من هو دونه، ولكن عجم محمد هو الذي يُسارع إلى كل ناحية يشم منها ريح الشيطان! (الخطيب).

يقوده أحمد بيك المهردار<sup>(١)</sup>، وإبراهيم باشا، ومعهم عسكر الأكراد، فلما عَلِمَ بِقُرب العسكر منه انتقل إلى تكريت، فلم يُطق الاطمئنان، ففرَّ إلى الخابور، وترك أمواله وأثقاله غنيمةً للعسكر، ورجع العسكر إلى بغداد.

وفي ذلك العام مَنَّ الله على المهردار بأن ولاه الوزير كتحداية بغداد؛ لما فيه من الكياسة والدَّهاء.

وفي ذلك العام: وقع قحطٌ شديدٌ على بغداد وما حولها، فصار الفقراء يصرخون عند سراية الوالي، ويبكون ويتضرعون، ويستغيثون من الجوع، فرحمهم الوالي وأخرج جميعَ ما عنده من الشعير الذي كان مُعدًّا لخيله، وفرَّقه على الفقراء، ورضي بتلافٍ خيله وبهائمه، ولا النوع الإنساني، فلم يُجِد ذلك، وتمادى الغلا، ولم يُرسل الله مطرًا في ذلك العام على جميع البوادي، حتى هلك أكثر العُربان جوعًا، وبعضهم هاجر إلى أن أوغل في بلاد الروم لطلب الكلاء، وأكل الدماء والجيف والكلاب والهرر.

---

(١) وهو الرجل الدساس الذي أفسد قلبَ الوزير سليمان باشا على ابن شاوي، وأوجد هذه الفتنة بعد أن لم تكن. بل الواقع أن ابن شاوي اكتفى بالانسحاب، فاستعدوا هم للبغي عليه. (الخطيب).

فقام بعض السفهاء من الغوغاء، وتجمّع عليه خلق كثيرٌ من  
أضرابه، وأخذوا علّم الشيخ عبد القادر<sup>(١)</sup>! وصاحوا في بغداد:  
أخرجوا هذا الوالي فإنه بسبب ظلمه وإهماله للرعية وعدم الأمانة  
في الطرقات رفع الله القطر عن البلاد!

فانضم إليهم أهل القهاوي والأراذل وأكثر العوام، وأثاروا  
فتنةً شديدةً في البلدة، سُفكت فيها الدماء، فأرسل الوزيرُ عسكريًا  
لصدّهم وكفّهم، فانهزموا وتفرقوا، وحبس من رؤسائهم أشخاصًا،  
وصلّب بعضهم، وغرّب البعض، فانطفأت الفتنة.

ودخلت سنة ١٢٠١: وفيها رجع سليمان بن شاوي إلى الخابور،  
وانضم إليه كلٌ مفسدٍ ومغرور، وصاروا يُغيرون ويغزون حول  
بغداد، ويلتجئون إلى الغابات<sup>(٢)</sup>، فلما بلغ الوزير ذلك: أرسل

---

(١) هو الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ) كان من علماء أهل السنة،  
غلا فيه بعض الصوفية. انظر عنه: رسالة "الشيخ عبد القادر الجيلاني  
وآراؤه الاعتقادية والصوفية"؛ للدكتور: سعيد بن مسفر القحطاني.  
وفعلهم من البدع.

(٢) قال الدكتور عماد رؤوف في مقدمة تحقيقه لـ "مطالع السعود" (ص

إليهم عسكرياً يقوده محمود بيك بن تمر بيك، وخالد آغا كتخدا البوابين، فالتقوا مع عرب ابن شاوي، وكان رئيسهم أحمد بن سليمان بن شاوي، فنشب العسكران في القتال، فما كان إلا بُرْهة حتى انهزم عسكر الوزير، وأُسِرَ محمود بيك وخالد آغا، وأُرسلا إلى رئيس الجيش سليمان بن شاوي.

فأما محمود بيك فأعطاه سلبه، وأذن له في الانصراف.

وأما خالد آغا فاستصحبه في الحديد معه.

وقد طمع ابن شاوي في محاصرة بغداد، فكَرَّ عليها بِكُلِّهِ وَكَلِيلِهِ، وهجم على شريعة الكاظم، وغنم أموالاً وخيلاً، إلى أن وصل إلى الحلاج، فقامت عرب نجد المعروفون بِعُقَيْلٍ وصدّوه عن بغداد، وحَفَظُوا الجانب الغربي منها، فشكرهم الوزير على ذلك، وكافأ أكابرهم على غيرتهم وهِمَّتْهم.

ولما انكسر ابن شاوي من عسكر عُقَيْلٍ: رجع متقهقراً خذولاً، لا يعرف له مأوى، ونَصَحَهِ إِخْوَانُهُ على أن يطلب الأمان والعفو

==

(٥٤): (ليس في الأصل إشارة إلى هذه الغابات، وأنه لا غابات حوال بغداد أصلاً).

من الوزير؛ لأنه أهلٌ للعفو، فلم تساعده نفسه الأمّارة على الذل والخضوع لوليّ نعمته<sup>(١)</sup>.

فأمّا إخوته؛ فإنهم فارقوه والتجأوا إلى الوزير، وتشفعوا إليه وتذللّوا، وخضعوا لديه، فقبلهم الوزير وعفى عنهم، وأذن لهم بالإقامة في بغداد.

وأما سليمان بن شاي؛ فإنّه فرّ إلى الدّجّيل، ثم منه إلى الشامية من العِراق، ثم نزل الأُبيرة، وشرع في الإفساد والغارات وقطع السُّبل، فلما بلغ الوزير أحواله: أرسل خلفه الكتخدا بجيش عَرَمَرِم، وقصده، فلما علم أنه لا طاقة له بجيش الكتخدا مَهَدَ فارًّا إلى شيخ المتنفّق ثويني بن عبد الله، وأغراه على الإفساد، وعلى خَلْعِ هذا الوزير؛ فانخدع ثويني من كلامه، ووافقه على الضلال والباطل، وسفك دماء المسلمين، الذي لا سبب له إلاّ البَطَرُ والأَشْرُ، وأرسلوا إلى حمد بن حمود شيخ خِزاعة يساعدهم على مشروعهم؛ فوافقهم، ووفد عليهم،

---

(١) لا يعرف التاريخ في سيرة ابن شاي نعمة كان وزير بغداد وليّها، بل ابن شاي هو الذي كان يُخرج الدولة ورجالها من المآزق، بشهامته ونُبْله، والله هو ولي النعمة لعباده جميعًا. (الخطيب).

فاجتمع الكل، وغزوا البصرة، وملكوها بدون طعن ولا ضرب.

فإن متسلّمها إبراهيم بيك تيقن أنه لا طاقة له بهذه الجموع،  
فسلّمها لهم، فملكوها واستولوا على خارجها وداخلها، وأراضيها  
ومزارعها، وجبّوا الأموال، وأخذوا غراماتٍ من التجار وأهل  
الأموال، وأَصْرُوا بكلّ من يُشْتَمُّ منه رائحةُ الغنى، وأَسْرَوْا متسلّمها  
إبراهيم بيك، ونهبوا جميع ما تحت يده، وحبسوه مدةً ثم نفوه إلى  
مَسْقَط، وكان<sup>(١)</sup> قبل استيلاء ثويني عليه أقامَ لِلْفُسُوقِ سُوقًا بالبصرة،  
خصوصًا ترقية الأولاد، والفواحش من كلّ نوع علنًا، إلى أن  
اقتدى به جميع أعيان البلد وصاروا يتفاخرون بذلك، فكأنَّ الله  
عاقبه على سوء فعله.

فلما بلغ الوزير ما فعله ثويني وابن شاوي، وقطعهم خراج  
الدولة، بل تحقق عند الوزير أنهم كتبوا إلى الدولة محضراً مضمونه  
أنه لا يصلح لولاية العراق عمومًا ولوزارة بغداد وتأمين الطُّرُق إلّا  
ثويني بن عبد الله، فإنه هو الأسد الذي يحميها من كلاب العجم<sup>(٢)</sup>!

---

(١) أي: المتسلّم التركي إبراهيم بك. (الخطيب).

(٢) معنى هذا: أن ثورة ابن شاوي وثويني واستيلاءهما على البصرة لم يكن



فحينئذٍ استعد الوزير لمحاربتهم وقطع دابرهم؛ فأرسل إلى متصرف بابان من بلاد الأكراد وكوي وحريرا إبراهيم باشا، ومتصرف باجلان عبد الفتاح بيك؛ فأقبلا عليه بعساكر من فرسان الأكراد وشجعانها بما يُهدّ به الجبال (وذلك أن الدولة العلية ورجالها من عاداتهم أنهم لا يغضبون ولا تأخذهم الحمية الجنسية إلا إذا علموا أنه ستُشكّل دولةٌ عربيّة، فحينئذٍ يجتهدون بإخماد شرارتها من أول الأمر؛ لما يعلمونه من عاقبة أمرها)<sup>(١)</sup>.

إلا أنه لما أبطأ عن مدّده عزلهما عندما وردا، ونصّب مكان إبراهيم باشا: عثمان باشا بن محمود باشا، ومكان عبد الفتاح بيك:

==

فسادًا وبطراً وأشرًا كما كان يصفه المؤلف، وإنما كان البطر والأشر من الوزير سليمان باشا، الذي كان ألُعبوبة في يد الكتبخدا عندما حمّله على مقابلة إحسان آل شاوي بالإساءة، وكانت حالة الحكام الأتراك كما ذكره المؤلف عن مُتسلم البصرة. ومع ذلك فإن الثورة لم تكن على الدولة نفسها، بل على ممثليها وعمالها في هذه الديار. (الخطيب).

(١) هذه الفقرة وكل ما هو بين القوسين من قلم مُختصر "مطالع السعود": العلامة الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني، الذي كان مُدرّسًا بالروضة النبوية الشريفة أيام سلطنة السلطان عبد الحميد. (الخطيب).

عبد القادر بيك، فأتياه بجيشٍ فيه ألفا دَارِع ما عدى الحاسر، فلما تمت للوزير كاملُ العساكر والآلات الحربية؛ توجَّه أولاً على قبيلة خزاعة وسقاها كأس الردى، وطحنها، وفرَّق شملها، بسبب أن أكثرهم وشيخهم مع العصاة.

وكان الوزير قبل خروجه من بغداد راسل حمود بن ثامر بن سعدون؛ فوفَّد على الوزير مخالعة لعمه ثويني، ومنابدًا له.

ثم إن الوزير قصد المتنفق؛ فلما وصل إلى أم العباس خيم فيها وأقام ثلاثة أيام، وذلك في غرة محرم سنة ١٢٠٢، وقد ظهر عسكر المتنفق صفوفًا خيالة، ومعهم الأطواب، وانشبك الحرب بين الفريقين، فما مضت إلا ساعاتٍ وانكسر عسكر ثويني، وولوا الأدبار، ولزمت خيالة الأكراد ظهورهم، ونادى منادي الوزير: أن كلَّ مَنْ أتى برأسٍ فله كذا، فتساقطت عليه الرؤوس كالطر، إلى أن بنى من رؤوس عرب المتنفق ثلاث منارات! وأذن عليها طائر السفر يحيى على خير العمل!

وولَّى على المتنفق حمود بن ثامر، وعلى البصرة مصطفى آغا الكردي خازن داره، وبعد ذلك رجع إلى بغداد ودار الخلافة، وجعل عسكر اللاوند في البصرة لحمايتها، ورَّيسَ عليهم إسماعيل بيك.

وكان خروج الوزير من بغداد الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٠١، ورجوعه إليها في ربيع الأول سنة ١٢٠٣.

ثم دخلت سنة ١٢٠٣: وفيها طلب سليمان بن شاي العفوّ والمساحّة من الوزير، فعفا عنه وردّ عليه أملاكه، وشرط عليه أن لا يدخل بغداد، ولا يسعى بعدها في الفساد، ولا يختلط بالمفسدين.

وفي ذلك العام: عصى متسلّم البصرة مصطفى آغا الكردي، ومنع الحّراج، وراسل عثمان باشا الكردي متصرّف بابان، وأغراه ووسوس له أن يساعده على هذا الأمر المهم، وأن كلّاً منهما يكون سلطاناً مستقلاً في جهته، ووافق المتسلّم أيضاً عسكريّ اللاوند المقيمون في البصرة؛ لكونهم أكراداً من جنسه.

وراسل المتسلّم ثويني بن عبد الله، وضّمّه إليه، وكتب محضراً للوزير بأن حموداً لا يليق بالإمارة، وأنه لا يليق لها إلا ثويني، ففهم الوزير باطنَ مراد المتسلّم، ووافقه على مراده، وعزل حموداً، وولّى ثويني بدله، وأرسل له خِلعة الإمارة، وهذا كلّه تغافل من الوزير يستدرج به المتسلّم إلى أن يأخذه بلا حرب.

هذا؛ ومصطفى آغا الكردي مجتهدٌ في تميم مراده، ويراسل عثمان باشا، ويجدد معه العهد، وراسل أيضاً كبير اللاوند المقيم في

زنكباد، وضمّه إليه، وكلّ هذا ومصطفى آغا الكردي يظن أن الوزير لا يعلم بدسائسه.

ثم إن الوزير أرسل محمد بن شاوي - ظاهرًا - إلى متسلّم البصرة ينصحه ويحذره عاقبة العصيان، وأرسل - باطنًا - مكاتيبَ معه إلى رئيس المراكب الحربية للدولة العليّة المقيمة بالبصرة، وهو مصطفى آغا ابن حجازي، وأمره فيه بأن يتحايل على مصطفى آغا الكردي، ويقتله.

فكأن الكردي استشعر بهذا المكتوب، وتحذّر من ناظر البحرية، وأضمر قتل ناظر البحرية مصطفى آغا ابن حجازي.

فيومًا ركب المتسلّم للتنزه على حافة الشط، وتقرب من المراكب بخيله، ونزل هناك، ونصب خيامه، فاشتاقت نفس مصطفى آغا ابن حجازي إلى أن ينزل من المراكب ليزور المتسلّم، فلما وصل إليه قطع المتسلّم رأسه في الحال، وركب خيله ورجع. فكأن ناظر البحرية جاء يصيدُ فاضطيد!

فلما بلغ الوزير أفعال المتسلّم، وقتله لناظر البحرية: عزم على غزوه جهازًا.

ثم إن الأمير سليمان بن شاوي أرسل رسولا إلى الوزير يقول له: قبل أن تُرسل العسكر إلى البصرة، أريد أن تُرسل لي رجلاً أميناً من طرفك؛ لأخبره عن كلام شفاهاً.

فأرسل الوالي له سليمان آغا معتمد الكتخدا، فلما وصل إلى ابن شاوي أخبره أن عثمان باشا متعاهدٌ هو والمتسلّم، وأراه كتاب عثمان باشا إليه يطلبه فيه أن يرجع إلى ما كان عليه من الفساد، ويَعِدُّه ويُمَنِّيه، ومقصده أن عثمان باشا نيته يطلب وزارة بغداد بالسيف، فلربما لو خرج الوزير بنفسه من بغداد يعقبه فيها عثمان باشا، ثم يكون إخراجُه منها عسراً جداً.

فرجع الرسول بكتاب عثمان باشا إلى الوزير، فمِنذَ عِلِمَ ما فيه آخر السفر وقال: إن الأناة خيرٌ من العجلة.

فدخل الوزير على عثمان باشا من باب الاحتيال، ووجده أنفع من القتال، وأبدى لعثمان باشا كمال المودة، ولاطفه وهاداه، وأرسل إليه كتخداه عبد الله بيك، وقال له: أريد أن أستشيرك في أمرٍ مهم، ولكن أريده مشافهةً.

فاغترَّ من كلام الوزير، فلما وصل إلى بغداد: بالغ الوزير في

إكرامه وإنزاله، والإحسان إليه، وتكلم معه في أن يزوجه أخت  
الكتخدا! فقبل ذلك، وأمره بالرجوع إلى وطنه، وأن يعودَ في فصل  
الربيع للدخول على مخطوبته، فرجع إلى وَطَنِهِ فَرِحًا مسرورًا، وما  
يدري أن كلَّ هذه المداهنة لأسبابٍ خفية.

فلما أقبل الربيعُ قدم عثمان باشا بعشيرته وبنى عمه وأكراده،  
وفاءً بالوعد، فلما وصل إلى بغداد انحلت عُرَى كُلِّ مَنْ عاهد المتسلَّم.  
فأمَّا الوزير فجمع عساكره واستصحب معه عثمان باشا، وقصد  
البصرة لمحاربة مصطفى آغا الكردي، فلما وصل إلى العرجاء فرَّ ثويني  
وعشائره إلى البادية والصحراء، وأمَّا المتسلَّم مصطفى آغا الكردي  
فإنه فرَّ إلى الكويت.

فلما بلغ الوزير فرارُ أعدائه أسرع في السير إلى البصرة، ونزل  
خارجها، ثم جعل عليها متسلِّماً الأمير عيسى المارديني، ونصَّب  
شيخاً في باديتها حمود بن ثامر، ثم رجع إلى بغداد في رمضان، ومُذ  
دخلها عزل عثمان باشا عن إمارة بابان، وأقام مقامه إبراهيم باشا،  
وفي كوي وحريرا محمود باشا.

ولمَّا قيَّد عثمان في الخزانة أراه كتاب خيانتته إلى ابن شاوي؛ فعراه  
من الخجل ما أدنى أجله، ولما زاد مرضه أُخْرِجَ إلى دار محمد سعيد

الدفتردار، فمات، ومشى في جنازته الأكابر، حتى الكتخدا أحمد بيك، وقيل إنه هو الذي سَمَّه.

وفي هذه السنة: ورد خبر وفاة السلطان عبد الحميد الأول ابن السلطان أحمد خان العثماني<sup>(١)</sup>، وهو من السلاطين الذين قام بهم قِسْطاسُ العدل والدين، إلا أنه لِعَلَّظِ حُجَّابَهُ كعادة أسلافه صار أكثرُ رجاله خَوَنًا، بل صارت الخيانة والكذبُ على الملوك عادةً لهم، يفتخر بها رجال دولته في مجالسهم الخاصة.

---

(١) وُلد سنة ١١٣٧. وتولى السلطنة عقب وفاة أخيه مصطفى الثالث سنة ١١٨٧. والسلطان مصطفى هو السلطان السادس والعشرون من سلاطين آل عثمان، وعبد الحميد الأول هو السابع والعشرون. وكانت الدولة العثمانية في حالة حربٍ خاسرة مع الروس في آخر سلطنة مصطفى وبداية سلطنة عبد الحميد الأول، وانتهت باضطراب الدولة إلى التوقيع على معاهدة قاينارجه التي تقدمت الإشارة إليها. ومما يُلَفَت النظر في هذه الفقرة من الكتاب قوله: وفي هذه السنة ورد خبر وفاة السلطان، وهي تُشعر بوهن الصلة أو انقطاعها بين العراق والقسطنطينية، وقد كانت الصلة بين الدولة وممالكها في زمن الراشدين والأمويين ومن بعدهم تُطوى فيها شواسع الزمان والمكان فتصل الأخبار عن الحوادث في أوقاتها. (الخطيب).

وفي أيامه أُخذ القَرْمُ من يد الدولة<sup>(١)</sup>، وكان فيه من النفوس  
تسع ملايين.

وفي زمانه وما قبله: تسلطت شوكة الدَّرِيكَات<sup>(٢)</sup>؛ يعني  
العائلات القديمة في ممالك العثماني؛ مثل باشوات الأكراد والموصل  
وبغداد وعكة والشام، والوهابي بنجد، وأشراف اليمن، وأشراف  
مكة، وشيوخ المتفق، والغز بمصر، وبيكوات القَرْم؛ فاختلفت داخلية  
الدولة العلية، وصاروا دائماً مشغولين بالحروب الداخلية مع رعاياهم،  
ولم يمكنهم أن ينتفعوا من هذه الدَّرِيكَات التي في ممالكها، لا بمالٍ  
ولا برجال، بل وباليتمهم لم يَشُقُّوا عصا الإسلام!

فاختلفت الدولة وانحطّت بعد أن كانت منذ مئتي سنة هي أول

---

(١) واعتبرت بلادًا مستقلة عن العثمانيين والروس معًا. إلا أن روسيا  
واصلت السعي حتى أقامت أحد أنصارها - المدعو شاهين كراي -  
أميرًا على القرم، ثم أخذت تُمدّه بجنودٍ من جيشها، إلى أن انتهى الأمر  
باستيلائها على هذه المقاطعة. (الخطيب).

(٢) أي: أمراء الإقطاع؛ أمثال أبي الذهب في مصر، وأحمد الجزار في بعض  
الديار الشامية، ومن هذا القبيل: الوضع الإداري في العراق والمقاطعات  
الكردية على ما يراه القارئ في هذا الكتاب. (الخطيب).



دولة قوية على وجه الكرة الأرضية، ونَحْشَى بِأَسْهَاجِ الدُّولِ  
 الإِفْرَنْجِيَّةِ، وَأَنْتِ تَعْلَمُ أَنَّ الدُّولَةَ وَضَخَامَتَهَا مَا هِيَ إِلَّا بِكَثْرَةِ  
 عَسْكَرِهَا، وَالْعَسْكَرَ لَا يَكُونُونَ إِلَّا بِالْمَالِ، وَقَدْ فُقِدَ الْمَالُ، وَتَعَطَّلَتْ  
 أَسْبَابُ مَنَابِعِهِ فِي سَائِرِ مَمَالِكِ الدُّولَةِ الْعَلِيَّةِ؛ لِعَدَمِ الْأَمْنِيَّةِ الْعُمُومِيَّةِ،  
 فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَ هَذِهِ الدُّولَةَ الْعُثْمَانِيَّةَ الرُّشْدَ، وَأَنْ يُوفِّقَهَا لِلصَّوَابِ،  
 وَلِمَا فِيهِ صَلَاحُ الْعُمُومِ، وَأَنْ يُقَيِّضَ لَهَا سُلْطَانًا يُبْطِلُ لَهَا الْعَادَاتِ  
 الْقَدِيمَةَ، وَيَمْحُو جَمِيعَ الدَّرِّيكَاتِ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ؛ لَتَتَّوَحَّدَ كَلِمَةُ  
 الْمِلَّةِ (وَانْظُرِ الْآنَ فِي زَمَانِنَا لَمَّا شَرَعَتِ الدُّولَةُ فِي مَحْوِ بَعْضِ الدَّرِّيكَاتِ  
 كَيْفَ صَلَحَ مُلْكُهَا، وَانْتَفَعَتْ مِنْ مَمَالِكِهَا بِالْمَالِ وَالرِّجَالِ، وَتَجَدَّدَتْ لَهَا  
 قُوَّتُهَا نَوْعًا مَا، بِالنَّسْبَةِ لِحَالَةِ مَحْوِهَا وَانْدِرَاسِهَا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ،  
 وَفِي أَوَائِلِ الثَّلَاثِ عَشَرَ).

ثم لما انتقل السلطان عبد الحميد إلى جوار الكريم: تولى بعده  
 السلطان سليم خان<sup>(١)</sup> وكان من حُسن السيرة ومحبة العلم والعلماء

---

(١) هو ابن السلطان مصطفى الثالث، ولد سنة ١١٧٥، وتولى عقب وفاة  
 عمه عبد الحميد الأول، وفي زمنه احتل بونابرت مصر، واتسعت  
 الحركة السلفية في نجد، وقد حاول سليم الثالث إصلاح الجيش إلا أن

على جانبٍ عظيم، إلاَّ أن كانت أيامه كلها كدُورَاتِ بالحروب  
الداخلية، وبفتن عسكر الينجارية<sup>(١)</sup>.

فإنه في زمانه أخذ الفرنسيُّ مصرَ القاهرة، وظلَّ السلطان  
يعالجهم بالحروب مُدَدًا هو ودولة الإنكليز، تُساعده لا حُبًّا فيه، ولا  
رَغْبَةً في الإسلام! لكن لخوفها على بلاد الهند، وأنَّ الفرنسيَّ لو تَمَّ  
مُلكُ مصر له لكان يأخذ الهندَ من يد الإنكليز قَطْعًا، إلى أن أخرجوه  
منها لهذه العلة، أو لِيُسَمَّنُوا الكبشَ ثم يأكلونه في يومٍ ما!

وقد ثارت على السلطان سليم حروبُ الوهابي من نجد إلى  
الحرمين إلى اليمن، ومات ولم يُصَفَّ تلك الممالك، إلى أن صَفَّاهَا  
مُجَدِّدُ القرن الثالث عشر، فحلَّ بني عثمان بلا منازع: السلطان محمود  
بن عبد الحميد - كما سيجيئك بيانه مُفَصَّلًا -.

==

ذلك لم يتيسر له، وتنحى عن العرش سنة ١٢٢٢. وقُتِل سنة ١٢٢٣،  
وتولى بعده سنة ١٢٢٢ مصطفى الرابع ابن عبد الحميد الأول، ومات  
بعد ١٤ شهرًا وهو في الحادية والثلاثين من عمره، فتولى السلطنة أخوه  
محمود الثاني سنة ١٢٢٣. (الخطيب).

(١) أي: الانكشارية؛ وهو الجيش العثماني القديم.

ودخلت سنة ١٢٠٤: وخرج الوزير سليمان باشا أبو سعيد إلى البَنْدِيجَ للتَّنْزَهِ والصَّيْدِ ظَاهِرًا، وأما باطِنًا فمقصده أن يُرْهَبَ الأعرابَ والأكرادَ، ويُطْلَعَهُمْ على قوته وعدِّه.

وفي تلك الأيام: ورد عليه كتابٌ من عبد الرحمن باشا أخي عثمان باشا متصرّف بابان، يطلب فيه العفوَ والسماحَ من الوزير إِيَّاهُ، ودعاهُ إلى بغداد وولّاهُ متصرفيّة بابان وكوي وحريرا، بدل أخيه عثمان باشا، فسافر من بغداد، وقبل وصوله إلى محل إمارته أرسل أخاه سليمان من قبَلِهِ، فلما سمع إبراهيم باشا بذلك أرسل أخاه عبد العزيز ليصدّ سليمان عن دخوله إلى بابان، إلى أن يُوصَلَ أهلُه المأمَنَ، حَذَرَ عليهم من سليم (كَيْتَ شِعْري ما الذي كان يصنعه سليم مع أهل إبراهيم باشا، ولكنّ العادات القديمة في تَسَرُّ الحريم كانت إفراطًا)، وما أحسنَ في هذا الرأي، فإن عبد العزيز وسليمان التقيا على غير ميعاد، ووقعت بينهما مقاتلةٌ أفضت إلى أن عبد العزيز جُرِحَ وأُسِرَ، فهرب إبراهيم باشا بأهله إلى بلاد العجم، وأرسل أخوه مُكَبَّلًا بالحديد إلى بغداد.

وفي سنة ١٢٠٥: أُطْلِقَ عبد العزيز بِيك أخو إبراهيم باشا الكردي من أسره، عندما أرسل إبراهيم باشا يطلب لنفسه الأمانَ من الوزير، فقبل الوزيرُ أَعذاره وأرسل له مكتوب الأمان صُحبة الأمير

محمد بن شاوي إلى بلاد العَجَم، ورده معه إلى بغداد، ودخل على الوزير، فقابله وأكرمه بالصِّياع والْقُرَى، وبقيَ آمناً في ظل وزير بغداد. وفي هذه السنة كذلك: طلب العفوَ والسماحَ ثويني بن عبد الله، وطاح في رحاب الوزير، فقَبِلَه وأَمَّنَه بأن يسكن حيث شاء، وهذه السنة حقَّها أن تُسمى سنة العفو!

وَمِنَ الاتِّفَاقِياتِ أن الوزير لما عفى عن سليمان ابن شاوي وأَمَّنَه، وردَّ عليه أملاكه على أن يسكن خارج بغداد، وقد كان -كما مر ذكره- إلاَّ أنَّه في هذه السنة وفَدَّ على سليمان بن شاوي من بلاد العجم عَجَم محمد، العاصي القديم، والتجأ إلى جوار سليمان بن شاوي.

فطلب الوزيرُ من سليمان بن شاوي أن يُرسله إليه في السلاسل والأغلال؛ فامتنع سليمان بن شاوي من ذلك وقال: إن تسليم الضيف للهلك أكبرُ عارٍ عند العرب، بَلْ لَوْ فَعَلَهَا ابن شاوي لكانت العرب يعدُّونه من قبيلة هتيم أو صُليب هو وذريته إلى أبد الأبدِين<sup>(١)</sup>.

---

(١) الصليب أو الصلبة من (القبائل المتحيرة) كما سمّاها صديقنا العالم المحقق الأستاذ عباس العزاوي في كتابه "عشائر العراق" (١: ٣١١)، ويرى أن أصلهم بدو، قضت عليهم الحروب في أبعد الأزمان،

فلما عَلِمَ الوزير أنَّ ابن شاوي أبى أن يُسلم في ضيفه: أمره أن يُعده عنه، وما فعل أيضًا، فعزم الوزير على غزو ابن شاوي، ونَقَضَ عهده؛ فأرسل له عسكريًا ورئيسهم الكتخدأ أحمد بيك؛ ليأتي به مقتولاً لا مُقَيِّدًا.

==

فانقرضوا وبقوا متفرقين، فهم بقاياهم المنتشرة. ونرى العرب يعدون من أظلم الظلم الاعتداء عليهم. ولا يُتصور أن يغدروا بتائه ضل الطريق. والعرب لا تعترف بسمو نسبهم، لكنهم أنفسهم يعتقدون أنهم (صَبَّة، صليبية) أي من العريقين في النسب، ولكنهم نُسي أصلهم أو أخفوه لأمرٍ سياسي أو حربي لحقهم، وكنمو نسبهم حتى عن أولادهم، فبقي مجهولاً. وما قاله بعضُ الكتاب من أنهم من الصليبيين! فهذا من أبعد الأمور وأغربها، فلا علاقة لهم بالصليبيين ولا باليونان أو الرومان. أما ديانتهم فلا يسع المرء إنكار أنهم مسلمون، وأن النقولات عن أصلهم عبارة عن إذاعاتٍ من النصارى، وانظر لأحوالهم وبيان عشائريهم: كتاب «عشائر العراق» للأستاذ العزاوي، و«قلب جزيرة العرب» للأستاذ فؤاد حمزة. و (هَتيَم) التي ضرب ابن شاوي المثل بها هي من عشائر الصلبة. (الخطيب). قلت: نسب أبو علي الهَجَرِي في كتابه "التعليقات والنوادر" (ص ١٨٩٩) الهتمي إلى عمرو بن كلاب. قال الشيخ حمد الجاسر: (وبنو كلاب هؤلاء كانوا أقوى قبيلةٍ تُسيطر على وسط نجد). مجلة العرب (ج ٩ ص ٣ ص ٨٦١).

فلَمَّا سَمِعَ بِقَرَبِ عَسْكَرِ الْوَزِيرِ مِنْهُ رَكِبَ مَتَنَ الْفِرَارِ هُوَ وَعَجْمُ  
مُحَمَّدٍ، وَتَرَكَ أَمْوَالَهُمَا وَأَثْقَالَهُمَا وَنَجَّوْا، فَغَنِمَ الْكَتْخَدَا جَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ.  
وَلَمَّا عَصَى تَيْمُورُ الْمَلِيَّ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ، وَأَخَذَ يُفْسِدُ وَيَقْطَعُ  
الطُّرُقَ فِي مَمَالِكِهَا: أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ عَسْكَرًا وَعَلَيْهِمْ بَاشَا مِنْ إِسْلَامْبُولَ،  
فَلَمْ يُجِدُوا مَعَهُ شَيْئًا، وَعَجَزُوا عَنْ مَسْكَه أَوْ تَأْذِيهِ، فَحِينَئِذٍ أَمَرَ  
السُّلْطَانُ سُلَيْمَانَ بَاشَا وَزِيرَ بَغْدَادَ بِمُحَارَبَةِ تَيْمُورِ الْمَلِيَّ وَإِرْجَاعِهِ إِلَى  
الطَّاعَةِ، فَعَزَاهُ الْوَالِي بِعَسْكَرٍ جَرَّارٍ، وَشَتَّتْ شَمْلَهُ، وَنَهَبَهُ وَسَلَبَ  
عَشَائِرَهُ، وَفَرَّ تَيْمُورٌ إِلَى الْفِيَاثِيِّ وَالْقِفَارِ.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ١٢٠٦: وَفِيهَا أَرْسَلَ الْوَزِيرُ عَسْكَرًا مَعَ لُطْفِ  
اللَّهِ أَفَنْدِي؛ لِيَقْطَعَ دَابِرَ الْأَكْرَادِ الْمَلِيَّةِ، فَوْصَلَ إِلَى جِبَالِهِمْ، وَحَارَبَهُمْ،  
وَنَهَبَهُمْ، وَأَتَى بِجُمْلَةٍ رُؤُوسٍ إِلَى الْوَزِيرِ، ثُمَّ أَلْبَسَ الْوَزِيرُ إِبْرَاهِيمَ  
بَاشَا أَخَا تَيْمُورِ الْمَلِيَّ، وَوَلَّاهُ مَكَانَهُ، وَتَوَجَّهَ الْوَزِيرُ إِلَى مَارْدِينَ،  
فَصَلَبَ مِنْ أَتْبَاعِ تَيْمُورِ رَجُلَيْنِ؛ أَحَدَهُمَا يُسَمَّى حَسَنَ آغَا، وَالثَّانِي  
حُسَيْنَ آغَا، وَقَتَلَ مِنَ الْيَزِيدِيِّينَ جُمْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ فِي ٢٧ مِنْ  
رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ خُرُوجُهُ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا.

قَالَ فِي الْقَامُوسِ: الْكَرْدُ: الْعُنُقُ وَطَرْدُ الْعَدُوِّ، وَبِالضَّمِّ جَبَلٌ

معروف، جمعه أكراد، وجدّهم كُرد بن عمرو مُزيقيا بن عامر بن ماء السماء. انتهى.

فدَلَّ ما في القاموس صريحا على أن الكُردَ من عَرَبٍ قَحْطَان. ثم دخلت سنة ١٢٠٧: ولما لم يجد عجم محمد ملجأ ولا عفوا من الوزير: توجه إلى مصر القاهرة، ومات فيها غريبا فريدا طريدا. وأمّا سليمان بن عبد الله بن شاي رقيقه؛ فإنه بقي في الخابور على تلك المشاكسة والمعاكسة، فأرسل إليه الوزير عسكريا ورئيسهم أحمد بيك الكتخدا، فلما سمع بقرب عسكر الكتخدا فرّ إلى البادية. وأمّا الوزير فإنه طلع إلى القلوجة، ونصب خيامه هناك لأجل التنزه والاصطياد في الظاهر، وأمّا في الباطن فلإزهاج الأعداء.

ثم دخلت سنة ١٢٠٨: عصى أمير خُزاعة محسن بن محمد، فأرسل إليه الوزير عسكريا ورئيسهم الكتخدا أحمد بيك، فلما قُرب من ديار خُزاعة جنحوا إلى الطاعة، وطلب أميرهم العفو من الباشا، فقَبِلَه بشرط أن يؤدّوا جميع الخراج المنكسر والحال، وأن يُعطوا رَهائِنَ من كبارهم؛ لعدم الاعوجاج فيما بعد.

ورجع الكتخدا إلى بغداد، ولكن بعدما رجع الكتخدا نقض

محسَنُ بن محمد العهد، فلما بلغ الوزيرَ معاكستهُ ومشاكستهُ ونقضهُ للعهود: عزَلَه من مشيخة خُزاعة، ونصَّب بدله حمد بن حمود.

ثم دخلت سنة ١٢٠٩: وفيها قُتِلَ سليمان ابن شاوي الحِميري، قتله محمد بن يوسف الحربي من عشيرته<sup>(١)</sup>، وهو جدِير بالرثاء على ما كان من سيرته؛ لأنه كان من أفراد الدهر عقلاً وِجْلاً وِكرَماً وشجاعةً (وقد رثاه المؤرخ الشيخ عثمان بن سند بمرثية بليغة، متضمنة أكثر من قُتِلَ أو خُلِعَ مِنَ الأمراء والملوك، على نسق قصيدة ابن عبدون الأندلسي في رثاء بني الأفطس<sup>(٢)</sup>)، وتلك شَرَحها ابن

---

(١) ابتدأ الوزيرُ أبو محمد عبد المجيد بن عبدون اليابري الفهري، المتوفى سنة ٥٢٩، قصيدته العُظمى "البسامة" من زمن دارا الفارسي، وأنهاها إلى زمن المقتدر بالله العباسي "سنة ٣٣٣".

ومطلعها:

الدهرُ يَفْجَع بعد العَيْن بالأثر      فما البكاء على الأشباح والصُورِ  
(الخطيب).

(٢) قال الدكتور عماد رؤوف: (الحربي فرغ من فخذ البوشاهر، ومن هذا الفخذ: الرؤساء من قبيلة العبيد آنذاك).



بدرّون الأندلسي<sup>(١)</sup>، وهذه حَقُّها أن تُشرح، فلا شك أنها تكون أبلغ وأبدع وأشمل من شرح قصيدة ابن بدرّون، وعسى الله أن يوفّقني لشرحها؛ لأنّ وقائعها وأسماء رجالها إلى زمان المؤلف، وأمّا قصيدة ابن عبدون فقاصرةٌ إلى سنة ٤٢٠ هجرية<sup>(٢)</sup>.

ثم دخلت سنة ١٢١٠: فيها عصى شيخُ خِزاعة حمد بن حمود، فأرسل الوزير إليه عسكريًا ورئيسهم الكتخدا أحمد بيك.

وفيها قَتَلَ علي بيك الخازندار أحمد بيك الكتخدا، وهذا بإشارة من الوزير، ولذلك زوّج الوزيرُ عَلِيًّا، الخازندارَ المذكورَ، على ابنة أحمد بيك المقتول، ثم ولّى الخازندارَ الكتخدائيّة.

---

(١) هو الوزير أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله بن بدرّون، من أدباء شلب بالأندلس، وكان موجودًا في صدر القرن السابع الهجري. (الخطيب).

(٢) تقدّم أن "البسامة" للوزير ابن عبدون تناولت تاريخ العبر في سقوط الممالك ومصارع الملوك إلى زمن المقتدر بالله سنة ٣٣٣. أما عام ٤٢٠ هذا الرقم الذي ذكره الشيخ أمين الحلواني المدني فلعله أراد به تاريخ بني الأفطس، الذين أسس دولتهم جدُّهم أبو محمد عبد الله بن مسلمة في أوائل القرن الخامس، وانتهت بثالثهم المتوكل أبي حفص بن المظفر أبي بكر بن عبد الله بن مسلمة في سنة ٤٨٣. (الخطيب).

ودخلت سنة ١٢١١: نَصَبَ شيخًا على المتفق: ثويني ابن عبد الله، وعزل حمودًا، وتوفي شاه العجم محمد خان، ونُصِبَ مكانه: فتح علي خان.

ودخلت سنة ١٢١٢: وفيها غزا الكتخدا علي بيك حمد بن حمود شيخ خُزاعة، فمِنذُ أُنَاخَ بِسَاحَتِهِ انْهَزَمَ المومى إليه، فأحضر علي بيك الكتخدا محسنًا آل قائم ونَصَّبَهُ شيخَ الشامية، وسَيَّيْتُ بن محسن شيخ الجزيرة، وألزمهما الحراج، ورجع إلى بغداد.

وفيها: عزل الوزير عبد الرحمن باشا عن إمارة بابان، ونَصَّبَ مكانه إبراهيم بيك ابن عمه، إلا كوي وحريرا، فَمَا زَالَتَا تحت حكم عبد الرحمن، وبقي بعد عزله في دار السلام معاملاً من الوزير بالإنعام والإكرام.

وفيها: غزا علي بيك الكتخدا آل سَعِيد من رُبَيْد؛ لعصيانهم، وفي غزوه ذاك وصل إلى الجوازر من ديار ربيعة، فولَّى عليهم شيخًا يأمر وينهى، تبعًا للوزير، ورجع من آل سعيد بغنائم جَمَّة، ثم رجع إلى بغداد. وفي تلك السنة: قَتَلَ طُعَيْسُ الشَّقِي ثويني بن عبد الله، فمات غريبًا شهيدًا، وذلك أن ثويني حشد بجموعه وعرب المتفق وقصد محاربة الوهابيين في نجد، بعدما استأذن الوزير في ذلك.

فإن الوهابيين لما ملكوا الأحساء وانتزعوها من شيخ بني خالد؛  
اشترأبو إلى غيرها من البلدان ليملكوها، ويظهروا بدعتهم فيها،  
ويذبحوا أمراءها وعلماءها، كما فعلوا في الحساء، على أنهم مشركون في  
زعمهم<sup>(١)</sup>!

ثار إليهم ثويني بجنوده، وانقاد له أكثر العرب الذين أعطوا  
الطاعة لابن سعود؛ لأنهم ضجروا؛ لكثرة ما يكلفهم به من المشاق،  
ويجبرهم على محاربات المسلمين، فما زال ثويني يسير في تلك الفياقي،  
إلى أن نزل ماء يُسمى الشباك، وأول ما نزل به نُصبت له خيمةٌ صغيرةٌ  
هناك، فجاءه طُعيسٌ - والناس في أشغال النزول - وطعنه بحربةٍ  
كان بها انتهاءٌ أجله؛ ففزع الناس وقتلوا طُعيسًا، ولكن هل يسدُّ  
الكلب في الأسد!

فحمل ودُفنَ في جزيرة العماير، وعند ذلك سُقطَ في أيدي  
الجيوش التي معه، وانفلوا راجعين؛ فتبعهم جيش ابن سعود، وما  
زالوا معه في مكابدة الشدائد حتى نزلوا ماءً يُسمى سفوان، فأَمَلَّ

---

(١) الصواب: ليظهروا التوحيد والسنة. وهم لم يُقاتلوا إلا من قاتلهم أو  
حال بينهم وبين نشر الدعوة الإصلاحية.

إخوان ثويني أن يَلُمُّوا الجيش مرةً ثانية ويَعُودُوا لغزو الوهابيين -  
كما كان في نية ثويني -، إلاَّ أنَّ الباشا صَرَفَ نظرهم من هذا الفكر،  
وولَّى شيخاً على المتنفِّق حمود بن ثامر.

وأما ترجمة ثويني المذكور: هو ثويني بن عبد الله بن محمد بن مانع  
القُرشي الهاشمي العلوي الشيببي، تولى مشيخة المتنفِّق، كما تولّاها  
أبوه وجَدُّه، وكان أحدَ أجواد العرب المشهورين، وكان له في حكومته  
الأولى أيامُ تُعَدُّ غُرَرًا في وجه الدهر، منها يوم دُبِيَ الموضع القريب  
من البصرة - كَرْبَى - وذلك أن كَعْبًا غَزَوْا أخاه صَقْرًا بجيشٍ عَرْمَرِمٍ؛  
فصدمهم وكسرهم تجاهه، وكان هو الأمر الناهي في ذلك اليوم، إلى  
أن ملأَ الفضاءَ بجُثث القتلى من قبائل كعب الروافض، ومن ذلك  
اليوم وهم في ذلٍّ تحت المتنفِّق إلى الآن.

ومن أيام ثويني الشاهدة له بالشجاعة والإقدام: يوم ضَجَعَة،  
ويحرفونه العوام ويقولون جَضْعَة، وسبَّه أن عبد المحسن ابن سرداح  
لما اشتاقت نفسه لغزو بني خالد شيوخ الحسا؛ فرَّ إلى ثويني لِيُنْجِدَهُ  
ويُساعده على مرامه، فساعده ثويني بالرُمح والسيف والمال والجسم  
والجاء، وشيخ بني خالد إذ ذاك سعدون بن عَرَعَر، أحدٌ من يُذَكَّرُ

بِمَحَاسِنِ الشَّيْمِ، فلما تحقق ذلك من ثويني أمر شجاعانه أن يشنوا  
 الغَارَات على عرب ثويني، بعدما ألقى إليهم الإنذارات، فثار بين  
 القبيلين الشرُّ، وتواعدوا المقاطعةَ والمقاتلةَ، فلما ذهب الصيفُ وجاء  
 الشتاءُ حشدَ كُلُّ منهما بعسكره، فالتقيا في أرض بني خالد، فبقيا  
 أيامًا والفرسان في جِلَادٍ وطَعَانٍ من الصباح إلى الليل، إلى أن امتطى  
 الخيانةَ بعضُ قبائل سعدون، فهرب هو وأتباعه، وتولى بيوتَه ثويني.  
 فأما سعدون بن عَرَعَر لما رأى أمورَه في إدبار، وجيوشه ستؤول  
 للبوار؛ فَإِنَّهُ فَرَّ وَلَحِقَ بعبد العزيز بن سعود، وعاهده على نصره، فصار  
 يومٌ وروده عند ابن سعود يُعد عيدًا من الأعياد، وأيقن ابن سعود بأنه  
 سيملك الأحساء بهذا السبب.

ولما رجع ثويني إلى داره ومقر حكومته: أجمع عشائُر بني خالد  
 على أن يُؤمِّروا فيهم داحسَ بن عرعر؛ لأنه هو أكبرُ إخوته.  
 ومن أيام ثويني المشهورة: يوم التَّنَوُّمة، القرية المعلومَة بالقصيم،  
 وذلك أنه لما انتصر على بني خالد، تطاولت نفسه إلى أن يغزو  
 العارِض<sup>(١)</sup>، وأمَّ القَصِيمَ، ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن،

---

(١) إقليم العارض بنجد، يضم الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى،

وكان أول ما وصل إليه من أرض القصيم: التَّوَمَّةُ، فحاصرها بعسكره وفتحها عنوةً، وأهلك أكثر أهلها<sup>(١)</sup>، ثم لما كاد أن يطيعه جميع قَبَائِلِ نجد، بل وقراها ومدنها، ودخلهم الرعب والخوف منه: رجع إلى البصرة بلا سبب، وحاصرها وفتحها وملكها، وكان ما كان من الأمور المشؤومة العاقبة - كما مر ذكره -.

واعلم أن أتباع ابن سعود لما قَتَلَ طُعَيْسَ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ ثوينيًا مدحوه وحمدوه بقتل ثويني؛ لكونهم يعتقدون كُفْرَ ثويني! بل وكُفْرَ جميع مَنْ على وجه الأرض من المسلمين الذين لم يعتقدوا معتقدَهم<sup>(٢)</sup>! وأكثروا من الأشعارِ في مدح تلك الواقعة، وجعلوها من الفتوحات الإسلامية المعدودة عندهم.

==

ويضم أيضًا غيرها؛ كالرياض وضرماء والعُيَينة والجُبَيْلة وسدوس والعمارة وحريملاء. وسيتكرر هذا الاسم الموجه لابن سند في هذا الكتاب!

- (١) لماذا أهلكهم وهم مسلمون موحدون؟! هوى ابن سند يُعْمِي وَيُصِمُّ!  
 (٢) هذا من أكاذيب المؤلف الحاقِد على الدعوة الإصلاحية وأتباعها. قال الإمام المُجَدِّد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: (ما ذُكِرَ لكم عني أَنِي أُكْفِرُ بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء) "مجموع مؤلفات الشيخ" (٥ / ٥٨).

وبعده - كما ذكرناه - أفضت إمارة المنتفق لحمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشيببي، ابن أخي ثويني لأمّه؛ لكون ثامر أخا ثويني من أمّه، وهو ابن عم له كما هو معلوم.

وحودٌ هذا من فرسان العرب المعدودين، ومن أهل الذكاء والدهاء، وله وقائع وأيام مشهودة، أقرّ له فيها أخصامه، وله أحوال لم تكن في سواه.

فمنها: أنه غاية في الأناءة، وربما أنه أقام في كُتُبِ المكتوب الموجز أيامًا بل شهورًا، ومن أناءته الخارقة للعادة: أن من إليه شكى ظلامه من أحد عماله أقام شهورًا ينتظر قضاءها، ولربما أكل من طعامه تلك المدة أكثر مما يطلبه أضعافًا مضاعفة!

ومن نوادره: ما ابتلاه الله به من الوسواس، إلى أن يُقيم في قضاء حاجته ووضوئه سبع ساعات أو أقلّ بقليل، حتى أدى به ذلك إلى تأخير الصلوات عن أوقاتها، بل ربما صلى صلوات الماضي في اليوم الذي بعده.

ومن مثالبه: أنه لا يرضى إلا برأيه.

ومنها: أن كاتبه رافضيّ غالٍ في رفضه، فمن رشاه قضى شغلَه، وإلاَّ يُعطلَّ شغلَه، وحودٌ لا يسمع فيه شكوى أحدٍ ما.

ومنها: تعظيمه لكلِّ مَنْ عُرِفَ بالظلم.

ومنها: رضاه بظلم قومه لرعيته.

ومنها: رضاه بكلِّ مفسدةٍ من كُلِّ باغٍ على وُلاةِ الأمور (يعني الدَّولة العليَّة!).

ومنها: أنه لا يولي على كلِّ قريةٍ إلا أظلمَ أهلها وأفسدهم وأفسقهم.

ومنها: أنه على غايةٍ من الحقد!

ومن محاسنه: الشجاعة التي لا تُوجد في أمثاله.

وله أيامٌ ومشاهد؛ فمن أيامه وهو شاب في حياة والده يوم الرُّضيمَة وهو يومٌ لسعدون بن عرعر على ثامر؛ فإنه في ذلك اليوم طاعن طِعَانِ الأسود.

ومن أيامه: يَوْمُ أَبِي حِلَّانَةَ، وذلك يومٌ للمتفق علي محمد علي خان الزندي، فإنَّه ما عُرِفَ حُودُ وَذِكِرَ اسْمُهُ بين الشجعان إلا في ذلك اليوم - كما ذكرناه سابقاً -.

ومن أيامه: يوم سَفَوَانَ، له على ثويني عمّه، ومصطفى آغا الكردي متسلّم البصرة، فإنه في ذلك اليوم عنترته.



ومن أيامه: يوم عَلَوِي، ماءً قريبٌ من البصرة القديمة؛ فإنه فارسُ الكتيبة.

وله أيامٌ سوى ذلك.

ومن محاسنه: إطعامُ الطعام، حتَّى أن من ضيوفه مَنْ يُقيمُ أعوامًا.

ومنها: ذكاؤه المُفْرِط، حتَّى إنه إذا لقيَ الرجلَ مرةً، وغاب عنه سنين ثم لقيه، عَرَفَه.

وَمِنْ دَيْدَنِهِ سؤَالُهُ عَنِ الْأَخْبَارِ الْجَلِيلَةِ وَالْحَقِيرَةِ.

ومن ذكائه: أنه لما عميَ بصرُه، يعرف مَنْ لقيه ولو مرّةً بصوته.

ومن محاسنه: الحِلْمُ الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثَالِهِ.

ومن محاسنه: يُحِبُّ الْأَكْلِينَ مَعَهُ وَيُلَاطِفُهُم بِالْحِكَايَاتِ الْمُنَاسِبَةِ لِلْحَالِ، وَأَنَّهُ يَشْتَدُّ غَضَبُهُ عَلَى خُدَامِهِ إِذَا قَصُرُوا فِي حَقِّ ضَيْفِهِ.

ولمَّا ابتلاه الله بِالْعَمَى ازدادت أُبْهُتُهُ وَوَقَارُهُ، وَعَظُمَ مُلْكُهُ وَسَطَوَتُهُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، وَاسْتَمَرَّتْ حُكُومَتُهُ الثَّانِيَّةُ مِنْ سَنَةِ ١٢١٢ إِلَى سَنَةِ ١٢٣٢ لما عزله الوزير داود باشا ونصب مكانه ابن أخيه عَقِيلًا - كما سيأتي ذلك -.

ومن وقائع سنة ١٢١٢: أن سعودَ بن عبد العزيز بن محمد بن

سعود غزا في تلك السنة أطراف بني المنتفق، فصَبَحَ القريةَ المعروفة بأُمّ العباس، وقتل منها ومما حولها خلقًا كثيرًا، وَهَبَ وَحَرَّقَ، ثم كَرَّ راجعًا، وحمود في البادية، فلما بلغه الخبرُ جدَّ في السَّير ليُدرِكه، فما أدركه.

وبعدما كَرَّ سعودٌ راجعًا، ووصل إلى أطراف نجد، عطف وأغار في سنته تلك على بادية العراق، وكان مطلقً بن محمد الجربا الشَّمْرِي نازلًا في بادية العراق مع عربيه شَمَر، فلَمَّا صَبَّحَهُم سُعودٌ؛ فَرَّ مَنْ فَرَّ مِنْهُمْ، وثبت من ثبت، فَمَمَّنْ ثبت وقاتل جيشُ سعود: مُطلقُ الجربا، فكَرَّ على الفرس مرةً، فكلَّمَا كَرَّ على كتيبةٍ هَزَمَهَا، فحاد عن مطاعنته الشجعانُ.

وكان من قَدَرِ الله تعالى الذي لا يُرَدُّ أنه كَرَّ عليهم في بعض كَرَّاته؛ فعثرت به فرسُه في سَاقٍ، فسقط من ظهر فرسه، وَقُتِلَ، وكان قَتْلُهُ عند سعود من أعظم الفتوح، إِلَّا أَنَّهُ وَدَّ أَسْرَهُ دون قتله.

هذا؛ ومطلق من كرماء العرب، عريق النجار، شريف النسب. ومن أيامه المشهورة: يوم العُدُوَّة؛ لسعود بن عبد العزيز عليه، وفي ذلك اليوم قُتِلَ ابنُه مِسْلَطٌ، كان شجاعًا مِقْدَامًا، قاتل في ذلك

اليوم قتال الأسود، فلما ضاق الحناق على سعود: خان ابن هذال، وتنحى عن مطلق، فانكسر مطلق وقومه.

ثم إن مطلقاً لازال يرتع في بادية العراق، ويتمنى من يساعده على ابن سعود، إلى أن سار من العراق إلى الشام، وتوجه مع أحمد باشا الجزار إلى الحج، فلما رجع من الحج، ورأى ذلك الصلّال المين الذي عليه الوهابيون؛ من تكفير الأمة المحمدية بأسرها؛ رجع وقد عاهد الله على أنه لا يرجع عن الجهاد والقتال مع الوهابيين إلى أن يموت!

وقد برّ الله قسّمه رحمه الله.

ثم دخلت سنة ١٢١٣: غزا الكتخدا علي بيك بأمر الوزير سليمان باشا الحسا من البحرين، بعدما تولّاها سعود بن عبد العزيز وبنى فيها القلاع المحكّمة، وسام أهلها الخسف، وأظهر بدعته فيها، وهو تكفير من لم يدخل في طاعته من المسلمين<sup>(١)</sup>، ووافقته من أهلها من طبع الله على قلبه وسمعه وبصره!

---

(١) هذا من أكاذيب ابن سند - كما سبق -.

وغزا معه من جانب الوزير شيخُ بن المتفق مُحودُ بن ثامر بن سعدون بن مانع، بِعَرَبِهِ، وبَادِيَةِ الْعِرَاقِ عُرْبُ عُقَيْلٍ، وَأَمِيرُهُمْ إِذْ ذَاكَ نَاصِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشُّبَلِي، وَفَارَسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَرَبَا الشَّمَّرِي بِعَرَبِهِ، وَأَصْحَبُ الْوَزِيرِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ بَيْكٍ الْكَتْخَدَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَاوِي الْحَمِيرِي، أَحَدَ دُهَاهَا الْعَرَبِ فِي أَيَّامِهِ، وَمَعَهُ مِنْ أَهْلِ الزَّبِيرِ جَمٌّ غَفِيرٌ، وَأَمِيرُهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ ثَاقِبِ بْنِ وَطْبَانَ<sup>(١)</sup>.

فسار العسكر قاصدين الأحسا، إلى أن نزلوا المبرّز، وحاصروا القلاع، ولم يقاتل أحدٌ من عسكر الكتخدا ولا من العرب سوى النجديين وعُقَيْلٍ؛ حتى أطاع الكتخدا غالبُ سُكَّانِ الْمُبَرَّزِ.

وفي أثناء الحصار: غزا مُحودُ نَجْدًا، فَأَغَارَ عَلَى سُبَيْعٍ - قَبِيلَةٍ مَعْرُوفَةٍ -، وَالظَّاهِرَ أَنَّهَا فِي مُضَرٍّ؛ فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَغَنِمَ إِبِلًا وَشَاءَ جَمًّا،

---

(١) (ت ١٢٣٧هـ)، والوطبان أبناء عمومة لآل سعود، قال الشيخ حمد الجاسر في "جمهرة الأسر المتحضرة في نجد" (ص ٨٦٠): (وهم بنو وطبان بن ربيعة بن مَرخَانَ بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة ابن مانع المريدي، من المردة، من وائل.. وسبب نزول وطبان بن ربيعة بن مَرخَانَ بِلَدِّ الزَّبِيرِ أَنَّهُ قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ مَرخَانَ بن مقرن بن مَرخَانَ، فَهَرَبَ مِنْ نَجْدٍ..).

ومعه في تلك الغزاة فارسُ الجربا، وابنُ أخيه بُنيَّة الجربا بن قُرَيْنِسْ -تَصْغِيرِ قِرْناس-، والقِرْناسِ شَبْه الأنف يتقدم الجبل.

وبُنيَّة هذا أحدُ مَنْ اشتهر بين العرب بالكرم والشجاعة والنخوة. ولما رجع حمودُ من تلك الغزوات وورد على الكتخدا بالغنيمة، قويت همة الكتخدا وحاول فَتَحَ القِلاع، لكن -كما ذكرنا- لم يكن في عسكره مَنْ يباشر القتالَ سوى مَنْ ذكرناهم أولاً؛ وهُم باقي العسكر، والتَحَفُّظُ خوفاً مِمَّنْ يخرجُ عليهم من القِلاع، وأما الأطوابُ فإنها لم تَعْمَلْ شيئاً في أسوارِ الأحسا؛ وذلك لمتانة أسوارها.

وقد ذاع بين العسكر أنَّ تَثَبُّطَ العساكر خيانة.

فلما طالت مدةُ الحِصار، ولم يمكن الكتخدا الفتحَ وهدمُ القِلاع، واشتد القحطُ على العسكر؛ فَرَّ الكتخدا هارباً مع عسكره، قاصداً العراقَ، وترك أهلَ الأحسا ييكون دَمًا لرحيل الكتخدا عنهم<sup>(١)</sup>، وفَرَّ أكثرُ أهلِ الأحسا مع جيشِ الكتخدا، خوفاً على أرواحهم وأَغْرَضِهِم من الوهابيين!

---

(١) في الأحساء عنصرٌ شيعيٌّ كان مخامراً على حكومته السعودية، ولا يبعد أن يكون هو المقصود بهذه الإشارة. (الخطيب).

وَقَرُّوا فِي أَسْوَأَ حَالٍ، مِنْ تَشْتِيتِ الْحَالِ، وَعَدَمِ وَجُودِ رَوَاحِلٍ،  
فَكَانُوا مُشَاةَ حُفَاةٍ جَائِعِينَ عَطَشَى، يَجِدُّونَ فِي السَّيْرِ خَوْفًا مِنْ أَنَّ ابْنَ  
سَعُودٍ يُدْرِكُهُمْ، تَارِكِينَ الْأَمْوَالَ وَالْدِيَارَ، سَالِكِينَ الْمَهَامِهِ وَالْقِفَارِ،  
خُصُوصًا مَنْ تَدَاخَلَ مَعَ عَسْكَرِ الدَّوْلَةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ.

وَلَمَّا قَفَلَ الْكَتَخْدَا هَارِبًا: جَدَّ فِي طَلْبِهِ سَعُودُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
بِجَيْشِهِ، فَأَدْرَكَهُ فِي مَحَلٍّ يُسَمَّى ثَاجَ، وَنَزَلَ سَعُودٌ الْحِنَاءَةَ، وَانْشَبَكَ  
الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَقُتِلَ خَالِدُ بْنُ ثَامِرٍ أَخُو حَمُودَ، فَبَيْنَمَا الْفُرْسَانُ  
تَتَطَارَدُونَ إِلَّا وَقَدْ جَنَحَ الْكَتَخْدَا لِلصُّلْحِ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ كُتَبَاءِ  
عَسَاكِرِ الْكَتَخْدَا مِنْ أَقَارِبِ سَعُودٍ وَعَلَى مَذْهَبِهِ! فَصَارُوا يُهَوِّلُونَ أَمْرَ  
سَعُودٍ لِلْكَتَخْدَا؛ فَدَاخَلَهُ الْخَوْفُ -كَمَا فَعَلُوا بِهِ لَمَّا كَانَ فِي الْحَسَا-.

وَالسَّبَبُ الثَّانِي: أَنَّ مَتَوَلِي مَصَارِيفِ جَيْشِ الْكَتَخْدَا: اخْتَلَسَ  
أَمْوَالَ أَجْمَعَةٍ، وَقِيدَهَا فِي الدَّفَاتِرِ كَذِبًا وَزُورًا! فَاقْتَضَى رَأْيُهُ أَنَّ الْعَسْكَرَ إِذَا  
رَجَعَ مَهْزُومًا وَمُصَالِحًا عَلَى الْمَغْلُوبِيَّةِ، فَلَا يَصِيرُ عَلَيْهِ شِدَّةُ الْحَاسِبَةِ  
عَلَى الْمَالِ التَّالِفِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَمْوَالِ وَالذِّخَائِرِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ تُعَدُّ  
مِنْ جُمْلَةِ الْهَالِكِ، وَيُقَطَّعُ النَّظَرُ عَنْهَا!

وَأَمَّا الْمَتَهُومُ بِهَذِهِ الْخِيَانَةِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يُشِيرُ عَلَى الْكَتَخْدَا

بالحزيمة، ويهْوُلُ أمرُ سعودٍ والوهابيين: هو إبراهيم بن ثاقب بن وَطْبَانَ؛ لأنه كان رجلاً فصيحاً منطيقاً من دُهاة العرب، ويُظَنُّ فيه مثلُ هذا الكلام، ومُتَّهَمٌ ببعضٍ من عقائدهم، يعني أنه يُكَبَّرُ أمرُ الوهابيين عند بعض أُمَنَاءِ الكتخدا، فينقلون له ذلك الخبر، إلى أن دخله الخوف، وكان ما كان، خصوصاً أن ساعده بمثل هذه الأفكار متولي الخزينة؛ بناءً على خيانتِه المَالِيَّةِ.

ولذلك أَكْثَرُ الناصحين للكتخدا؛ مثلُ حمود بن ثامر وأمثالُه، ما كانوا راضين بالصُلح.

وأما قولُ المؤرِّخ التركي إن سبب انهزام الكتخدا في هذه الواقعة وطلب الصُلح هو نفاذ الزاد من العسكر، فهو غَلَطٌ مُحَضٌّ، مبنيٌّ على إشاعة الخائنين، بل الخبرُ الصحيحُ: أن الذين نفذ زَادُهُمْ هُمُ الوهابيون، وَلَوْ تَأَنَّى عنهم الكتخدا يومين؛ لَفَرُّوا من أَمَامِهِ طلباً للقوت (والذي أراه من فحوى الكلام أن سَبَبَ انهزام عسكر الكتخدا من الأحسا مع مساعدة الأهالي لهم، وطلب الصُلح في البادية، هو من سوء الضبط والربط، ومن كثرة تعدد الرؤساء في ذلك الجيش، وقوله: المؤرخ التركي، هكذا وجدته في أصل النسخة، ولم أدرِ أيَّ تركي عناه المصنِّف، وما اسم هذا التركي ؟ وما اسمُ

تاريخه ؟ وإلى أيِّ بلدٍ يُنسب ؟<sup>(١)</sup>.

ولنرجع إلى أخبار الصُّلح الذي مَن رضي به فقد لَبِس ثوب  
الخزي والعار إلى آخر الدهر!

ثم ورد على الكتبخدا كتابٌ من سعود يقول فيه: من سعود بن  
عبد العزيز إلى علي: أمّا بعد؛ فما عرفنا سَبَبَ مجيئكم إلى الحسا، أمّا  
أهل الحسا فإنهم روافِضُ<sup>(٢)</sup>، ونحن جعلناهم بالسيف مُسلمين<sup>(٣)</sup>،  
وهي قريةٌ ليست بداخلة تحت حكمكم، والذي يحصل منها قليلٌ،

---

(١) سبق في مُقدمة الشيخ محب الدين الخطيب أنه: رسول الكركوكلي،  
صاحب "دوحة الوزراء".

(٢) الحديث عن الشيعة منهم؛ لَصَرَف علي باشا عن عزمه. وإلا فإنَّ الغالب  
على أهل الأحساء أنهم سُنّة، والله الحمد.

(٣) أي أنهم صاروا مسلمين تقيّةً عندما صاروا في مواجهة قوة الحق. وهذه  
عادتهم، كما تظاهروا بموالاة أبي بكر وعمر وأعلنوا ذلك على منبر  
الكوفة يوم الجمعة ٢٦ شوال سنة ١١٥٦ لما تبين الحقُّ لنادر شاه،  
وجنح إليه. (الخطيب). قلت: انظر تفاصيل ذلك في رسالة "مؤتمر  
النجف"؛ للشيخ عبدالله السويدي-رحمه الله-، وهو صاحب المناظرة  
مع علماء الشيعة، التي انتهت بغلبتهم أمام حاكم فارس "نادر شاه".



بالنسبة إلى تعبكم وإلى مصاريفكم، ولو أن جميع أهل الأحسا وما يليها تؤدي إليكم دراهمها، لم تعادل مصاريفكم في هذه السفرة فقط، وما كان بيننا وبينكم من المضاغنة إلا ثويني، وقد لقيَ جزاءه، فالآن مأمولنا المصالحة، وهو خيرٌ لنا ولكم، والصُّلح سيد الأحكام. انتهى.

فكتب الكتبخدا جوابًا لكتابه: من علي باشا إلى سعود بن عبد العزيز، أما بعد: فقد أتانا كتابك، وكلُّ ما ذكرته من أمر المصالحة صار معلومًا، لكن على شروطٍ نذكرها لك، فإن قبلتها وعملت بها؛ فحسنٌ، وإلا فما نحن عاجزون عنك! حيث لنا مدة أربعة أشهر نجوبُ بلادك، وما قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة، وأيضًا: اغتررت بقول ابن عَفِيصَانَ (وابنُ عَفِيصَانَ هذا كان أميرَ الحسا من طرف ابن سعود زمن الوهابيين)<sup>(١)</sup>.

فأمَّا الشرط الأول: فهو أن لا تقرب الحسا بعد الآن، وأما الثاني: فهو أن تُرجع الأطواب التي أخذتها من ثويني، وأما الثالث:

---

(١) المتوفى في عنيزة عام ١٢٢٩هـ. انظر عنه وبطولاته: رسالة "إبراهيم بن عفيصان - القائد والأمير والداعية في الدولة السعودية الأولى"؛ للأستاذ: عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحصين.

فهو أن تُعطينا جميع ما صرفناه على هذا السفر، وأما الرَّابِع: أن لا تتعرض للحجاج الذين يأتون إليك من طرفِ العراق مع الأُمْنِيَّة العموميَّة في جميع الطُّرُق، فهذه الشروط التي أخبرناك عنها، والسلام على من اتبع الهدى.

فكتب إليه سعودٌ ما نصَّه: جاءنا كتابُكُمْ، وفهمنا معناه: فأَمَّا الحسا فهي قريةٌ خارجةٌ عن حُكْم الرُّوم<sup>(١)</sup>، ولا تساوي التعب، وما فيها شيءٌ يوجب الشَّقَّاق، وأما الأطوابُ فهي عند والدي بالدرعية، إذا صدرتُ إليه أعرُضُ الحال بين يديه، والوزيرُ سليمانُ باشا أيضًا يكتب له، فإن صحت المصالحة وارتفع الشَّقَّاق من الطرفين فهي لكم، وأنا الكفيل بها، حتى أوصلها إلى البصرة، وأما مصاريقُكُمْ فإني لم أملك من هذا الأمر شيئًا، والشَّورُ في والدي، وأما ما ذكرتم من عدم التعرض للحُجاج؛ فحُبًّا وكرامةً، وأما الأُمْنِيَّة؛ فهي التي لازِلْنَا نُقاتِلُ النَّاسَ عليها، حتى جعلنا الأرضَ كُلَّها لله، وجميعُ المسلمين مشتركون فيها، وصار الذُّبُّ لا يقدر يضُرُّ الشاةَ في أحكامنا. انتهى. (انظر إلى هذا الكتخدا الذي يَشترط

---

(١) الأتراك.

شروطاً مع كونه مغلوباً مهزوماً، ما هذا إلا نوعٌ من الوقاحة! وانظر إلى هذا الشيطان<sup>(١)</sup> ابن سعود كيف أجابه بأجوبةٍ، وترك بيت القصيد مخلّوً، أعني أخذ مصاريف الحرب وردّ الأطواب، وألعن من هذا كله لما قال له في جوابه الأول: من سعود بن عبدالعزيز إلى علي، ولم يذكر لعلي أباً، إشارةً إلى كونه لا يُعلم له أب!).

ولما تم الصلح على هذه الكيفية؛ رجع الكتخدا إلى بغداد، ولم يفِ سعودٌ بواحد من الشروط، بل طغى وتمرد، وتلاطمت أمواج بدعته.

ثم دخلت سنة ١٢١٤: وفي هذه السنة أقبل عبد الله آغا متسلّم البصرة السابق، الذي كان عصى ثم فرّ منها إلى بغداد؛ فأكرمه الوزير سليمان باشا، وأرجعه متسلّمًا إلى البصرة.

وفيها: تولى قضاء البصرة الشيخ عبد الله الرحبي، ثم البغدادي الحنفي - وستأتيك ترجمته -.

وفيها: أغارت عتزة على الدليم، قيل إنهم يُنسبون إلى حمير، وقيل إنهم من كهلّان، ولما غنم العنزّيون منهم ومن غيرهم من عرب

---

(١) بل الداهية! - رحمه الله -.

العراق: أَمَرَ الوزيرُ شَيْخَ الْعَنْزَيْنِ فَاضِلاً أَنْ يُوْدِيَ مَا غَنِمَتْهُ قَبِيلَتُهُ مِنْ أُمُورِ الدَّلِيمِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَمَّا أَرَادَ فَاضِلٌ الْأَدَاءَ مِنْهُمْ لَمْ يُطِيعُوهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الْكَتْخَدَا عَلِي بَيْكٌ بِعَسْكَرٍ، وَأَحَاطَ بِهِمْ عَلَى غِرَّةٍ، فَالْتَجَأَ الْعَنْزِيُّونَ بِآلِ قَشْعَمٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ عَرَبِ الْعِرَاقِ، فَتَشَفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ الْكَتْخَدَا، فَقَبِلَ شَفَاعَةَ الْقَشْعَمِيِّينَ لَهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطُوا الْكَتْخَدَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ بَعِيرٍ، وَخَمْسِينَ فَرَسًا - هَكَذَا نَقَلَهُ الْمُؤَرِّخُ - وَالَّذِي أَحْفَظُهُ: أَنَّهُمْ - أَعْنَى الْعَنْزَيْنِ - خُدِعُوا، فَجَرَى عَلَيْهِمْ مَا جَرَى مِمَّا ذَكَرَهُ.

وفيها: غَزَا الْكَتْخَدَا عَلِي بَيْكٌ آلَ قَشْعَمٍ وَالدَّلِيمِ؛ فَأَغَارَ أَوَّلًا عَلَى آلِ قَشْعَمٍ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ؛ لَانْهَزَامِهِمْ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا جَدَّ فِي طَلِبِهِمْ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى شُفَاثَى، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى الدَّلِيمِ، فَانْهَزَمُوا، فَغَنِمَ مِنْ أَغْنَامِهِمْ، وَعَادَ إِلَى الْفُلُوجَةِ، فَرَأَسَلَ آلَ قَشْعَمٍ ثُمَّ الدَّلِيمِ، وَأَمَّنَ كَلًّا مِنْهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى دِيَارِهِمْ، وَعَادَ هُوَ إِلَى بَغْدَادَ.

قال في القاموس: قَشْعَمٌ كَجَعْفَرٍ: الْمُسِنَّةُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَةِ وَالْأَسْدِ، وَلَقَبَ رُبَيْعَةُ بْنُ نَزَارٍ. انْتَهَى. لَكِنِ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ، يَعْنِي مِنْ قَحْطَانٍ.

ثم دخلت سنة ١٢١٥: فِيهَا تَمَرَّدَ آلُ سُلَيْمَانَ مِنْ خُزَاعَةَ، وَعَصَوْا عَلَى الْوَالِي؛ فَأَمَرَ الْكَتْخَدَا أَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهِمْ بِعَسْكَرٍ، فَخَرَجَ، وَلَمَّا وَصَلَ

إليهم تحصَّنوا في قلعتهِم؛ فرمى عليهم بالأطواب، ففرُّوا منها إلى  
الأهوار، وكانت الأهوارُ مَعْقِلَ العُصاة، فما زال العسكرُ في آثارهم؛  
حتى أخرجوهم من أهوارهم، وغنموا من أموالهم شيئًا كثيرًا،  
وأرسلوها إلى الوزير.

فلما ضاقت بهم الأرضُ بما رَحِبَتْ سألوا الوزيرَ العفوَ عن ما  
مضى، واعترف كُلُّ بِذَنْبِهِ، وأدَّوا المطلوبات المنكسرة عليهم، ورجعوا  
إلى أوطانهم.

وفيها: توجه عبد العزيز بن عبد الله بن شاوي الحِميري إلى  
حج بيت الله الحرام، وأَمَرَهُ الوزيرُ بأن يَمُرَّ على الدرعية في عودته،  
ويُلاقِي سُعودَ بن عبد العزيز، ويكلِّمه في دِيَاتِ مَنْ قُتِلَ مِنْ خُزَاعَةَ  
وَسُكَّانِ النَجَف؛ أي الذين قتلهم الوهابيون ظُلْمًا وَعُدْوَانًا!

فلَمَّا أَتَمَّ حَجَّهُ: قَصَدَ الدِّرْعِيَّةَ، وتلاقى مع سُعود بن عبد العزيز،  
وكلَّمه في هذا الشأن؛ فَضَحِكَ وقال له: أَمَا كَفَى الوزيرُ أَنَا تاركونه  
يحكم في بَغْدَاد! والله عَن قَرِيبٍ تَرَى جَمِيعَ عَرَبِيِّ الْفُرَاتِ لَنَا، وَشَرْقِيَّةَ  
له!

فانقلب ابن شاوي بغير مَا أَمَّلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا شَرِبَ مِنْ مَائِهِمْ،

وجلس بين دُعائهم مازجَهُ مِنْ بَدْعَتِهِمْ شُبَّةً وَنَزَغَاتٍ، ضَلَّ وَأَضَلَّ  
بِهَا بَعْضُ الْعَوَامِ<sup>(١)</sup>!

ولمَّا وصل ابن شاوي إلى بغداد، وأعلم الوزير بمراد سعود بن  
عبد العزيز، وبمنتهى أمنيته: استعدَّ الوزيرُ لمحاربة الوهابيين - إن  
وفقه الله كما سيجيئك -.

وفي هذه السنة الماضية - أعني الخامسة عشر بعد المائتين  
والألف -: تشفَّع الوزير عند السلطان سليم أن يُرْجِعَ تَمْرِيكَ الْمِلِّيَّ  
إلى أوطانه وأملاكه؛ فأرجعها إليه.

ودخلت سنة ١٢١٦: فيها أغار سعودٌ بأهل نجد الوهابيين على  
العراق، سرايا وركبانا؛ فنهبوا وسلبوا وحرَّقوا بعض القرى، وسَبَّوْا  
وَأَسْرَوْا؛ فأرسل الكتخدا علي بيك لمقاتلتهم، ومحمد بن عبد الله بن  
شاوي الحِميري، وفارس بن محمد الجربا الشَّمَّري، ومعهم عسكر،  
فلما التقوا معهم، ووجدوهم قد تحصَّنوا بالرواحل، أي أنهم قرَّنوا  
الإبلَ ودخلوا وَسَطَهَا، وجعلوها متَارِيسَ، وصاروا يرمون عليهم  
بالبنادق الرصاص من وسط الإبل، فَجَبَّنَ الْعَسْكَرُ وخافوا من الهجوم

---

(١) بل وفقه الله لاتباع الحق لما بان له - رحمه الله -، وليس كمن عاند واستكبر!

عليهم، ورجعوا إلى شَفَائِي - كَحُبَالِي -، وما بهم من عَطَشٍ، ولكن  
أَدْعُوهُ كَذِبًا! إنما هم كَرِهُوا النَّزَالَ في الحروب خوفًا على أرواحهم،  
وكان يُمكنهم أن يَقْرَنُوا الإِبِلَ ويدخلون وسطها كما فعل الوهابيون،  
ويهجمون مع الإبل سَوِيَّةً، ولكن ما أَكْثَرَ أَعْدَارِ الجبان!

وفي تلك السنة: عصت قبائل عِفْكِ وَجُلَيْحَةَ، ومنعوا الحَرَّاجَ  
وَقَطَّعُوا الطريق؛ فخرج عليهم الكتخدا علي بيك بعسكرٍ جرارٍ، فسار  
إلى أن نزل نهر اليُوسُفِيَّةِ فأعطاه سُيُوخُهَا الحَرَّاجَ وأذعنوا للطاعة،  
وأعطوا رَهَائِنَ بَأَن لا يعودوا لمثلها.

وفيها: عَزَلَ عبدالرحمن باشا الكردي وأخاه سَلِيمًا عن كَوِي  
وَحَرِيرَا (قوله كَوِي وَحَرِيرَا، هكذا وجدته في الأصل بهذا الضبط،  
وكذلك وجدته يُعبر ببعض عباراتٍ ليست مألوفةً عند المتأخرين،  
ولكن لم يُمكن إلا مجارأته كَيَّ أَتَحْرَى الصدق ما أمكنني)؛ لمخالفتها  
لأوامرِ الوزير، وأَتَيَ بهما إلى بغداد، ثم غُرِّبَا إلى الحِلَّةِ، وَحُبِسَا في القيود،  
وولَّى الوزيرُ محمودَ بيك ابنَ تَمَر بيك كَوِي وَحَرِيرَا.

وفيها: غزا سعودُ بن عبد العزيز الوهابي العراقَ، وَحَاصَرَ  
كَرْبَلَاءَ، وأخذها بالسيف عُنُوةً، وَغَنِمَ جميعَ ما كان في مشهد الحسين

من الذهب والجواهر التي أهدتها الملوكُ وشيعةُ الهند إلى ذلك المقام المُقدَّس<sup>(١)</sup>، وقتل أهلها قتلاً ذريعاً، واستباحها، ونهبَ من المال والذهب والفضة ما لا يتصوره العقل، وبه تقوى واستعد لِتَمَلُّكِ الحرمين، ثم رجع إلى عارضه، مُتَبَجِّحاً بما صدر من عسكره، ويقول: لو لم تكن على الحق لما انتصرنا! وما عَلِمَ أن ذلك استدراجٌ، وأنه على الباغي ستدور الدوائر، وأنَّ مَنْ قال: لا إله إلاَّ الله؛ فقد حَقَّنَ دمه وماله، ولكن الهوى إذا استولى أعمى البصائر<sup>(٢)</sup>.

---

(١) قال ابن كثير: (وأما قبر الحسين رضي الله عنه فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه في مشهد علي بمكان من الطفّ عند نهر كربلاء، فيُقال: إن ذلك المشهد مبنيٌّ على قبره، فالله أعلم. وقد ذكر ابن جرير وغيره: أن موضعَ قتله عُفي أثره حتى لم يطلع أحدٌ على تعيينه بخبر) "البداية والنهاية" (٢٠٣/٨).

(٢) وهل كان الغوري وطومانباي لا يقولان «لا إله إلاَّ الله» لما وجّه السلطان سليم جيوشه للاستيلاء على مصر والشام والحجاز، ومحاربة مَنْ يعارضه من أهلها والحاكمين عليها. والسلطان سليم لم يكن صاحب دعوةٍ إلى سُنة، أو استنكارٍ لبدعة! (الخطيب). قلت: طومانباي والغوري آخر حكام دولة المماليك في مصر، قبل سقوطها في يد الدولة العثمانية الغازية.



وبأموال كربلاء استفحل أمرُ سعودٍ، وطَمِعَ في مُلكِ الحرمين،  
وشرع في محاصرة المدينة المنورة، فصار من أمره ما سيأتيك بيانه.

ولنذكر نبذةً من أخبارِ جَيْفِ الشيعة؛ المُعَبَّرُ عنها عندهم  
بالتواييت التي يدفنونها في كربلاء، وهي أنه إذا مات الشَّيْعِيُّ في أقصى  
المشرق أو المغرب، فيوصي بأنهم يدفنونه في كربلاء، ويَنذِرُ على ذلك  
النذور، فيتحمَّلُ أهله بِجِيفَتِهِ وينقلونه إلى كربلاء، وهناك تأخذ عليهم  
الحكومة شيئاً معلوماً من الدراهم، في مقابلة دفن الميت في كربلاء،  
وهناك صَهَارِيحٌ كبار لبعض أهالي البلدة من الشيعة، مُعَدَّة لطح  
تلك الجَيْفِ فيها! ولهم شيءٌ معلومٌ أيضاً على كل جَيْفَةٍ، فيطرحون  
الميتَ داخل الصَّهْرِيجِ، ويسدون عليه، وكلما وردت جَيْفٌ أيضاً  
يطرحونها داخل تلك الصَّهَارِيحِ! وربما تتكلف الجَيْفَةُ الواحدة من  
حيدر أباد الدكن إلى كربلاء مثلاً نحو الألف روبية، هذا مع الأواسط،  
وأما مع أغنياء الشيعة، فربما تتكلف الجَيْفَةُ أُلُوفاً، ثم إنه إذا امتلأ  
ذلك الصَّهْرِيجُ من الجَيْفِ والتواييت، تجد لتلك الأماكن وما جاورها  
عُفُونَةٌ ونتاجَةٌ تُشَمُّ من مسافةٍ، لا يُطَيِّقها إلا أهل تلك الجهات الذين  
أَلْفَوْها! ولذلك كلَّما امتلأت الصَّهَارِيحُ فصاحب الصَّهْرِيجِ يبيع ما  
فيه من تلك الجَيْفِ المُعَبَّرِ عنها بالتواييت على صاحبِ الحَمَّامِ بَشْمَنِ

معلوم! فيُحضر صاحبُ الحَمَامِ آلاتِ الحمل، وينقل جميع تلك الجِيف، ويَقْد بها حَمَامَه!

فانظر لحماقة هؤلاء الشيعة: كيف يصرفون الذهبَ والفضةَ لأجلِ حَرْقِ آبائهم! ويا ليت شعري! ما الفرقُ بينهم وبين مجوس الهند، الذين يُحرقون موتاهم!؟

وأيضًا: من عجائب كَرْبَلَاء أن هناك حفرةً صورةَ قبرٍ، وعليها غِطاء من حجر الرُّخام، ويزعم شيعة أهل تلك البلدة أنه إذا هَلَّ شهر المحرم يفيض الدُم من تلك الحُفْرة، وبه يعرفون ظهورَ الهلال! مع أنها بطول السنة ناشفةٌ، يعني أنهم لَيْلَةَ الشَّك يذهبون إلى تلك الحُفْرة، ويمدون فيها عَصَا؛ فإن ظهر رأسُ العصا وفيه صورةٌ دمٍ ممسك، فيعرفون أن هذه الليلة هي أول شهر المحرم! فتَضجُّ البلدة بالصُّراخ جميعها، ولا يحتاجون إلى النظر في الأفق لرؤية الهلال، بل يكتفون بمد العصا في تلك الحُفْرة! وهذا أيضًا من حيلهم لنصرة مذهبهم.

فلما بلغ الوزير ما صنَّع في كربلاء: أمر الكتخدا علي بيك أن يخرج بعسكره، ويتبعه إلى مقرِّ مُلكه العارِض، فما وصل الهندية<sup>(١)</sup>

---

(١) قال الدكتور عماد رؤوف: (أرضٌ معروفةٌ في محافظة الحلة اليوم، سُميت

حتى نجا سعود على المهرية القود<sup>(١)</sup>، والتحق بالففار والصحاري،  
فَجَبُنَ الكتخدا، ولم يمكنه أن يلحقه.

وفي هذه السنة: عَزَلَ الوزيرُ سَلِيمَ بيك صهره عن متسلِّمة  
البصرة.

ثم دخلت سنة ١٢١٧: وفيها توفي الوزيرُ سليمان باشا أبو  
سعيد، ذو الآثار، التي من أعظمها هذا البَطْلُ المجعولُ له هذا  
التاريخ (يعني داود باشا)، وذكر المؤرخ التركي أنه قبل وفاته جعل  
وليَّ عهده علي بيك الكتخدا، وأنه أوصى داود بيك بالمصافاة معه،  
وكذلك أوصى بذلك نصيفَ بيك وسليمَ بيك، ودُفِنَ رحمه الله  
تعالى بجوار الإمام أبي حنيفة.

ومن آثاره الجميلة: أَنَّهُ عَمَّرَ سُورَ دارِ السَّلَام، وأنشأ سورَ غربيَّها،  
وهدم دار الإمارة وعَمَّرَها عمارةً لائقةً بالوزارة، وأنشأ المدرسةَ  
المعروفةَ بالسليمانية، وشحنها بالكتب الحديثة والفقهية والأدبية،

==

بهذا الاسم لوقوعها على ضفَّتَي نهر الهندية، الذي أنفق على حفره: أحد  
الأمراء الهنود عام ١٢٠٨ هـ؛ لإيصال الماء إلى مدينة النَّجَف!

(١) القود: الخيل السريعة. والمهرية: نسبةٌ لقبيلة مهرة بن حيدان في اليمن.

وعَمَّرَ جامع القَبْلَانِيَّةَ وجامعَ محمد الفضل وجامعَ الخلفاء، ونقصه  
عَمَّا كان في الأصل، وزَوَّقَ جامعَ منارة الإمام الأعظم، وعَمَّرَ وأنشأ  
سوقَ السَّرَّاجِينَ والخان الذي فيه قُرب دار الإمارة، وقَنَطَرَتِي دَلِّي  
عَبَّاسَ على نَمَطٍ اختارَهُ، وأنشأ على نهر نارين قَنَطَرَةً، وعَمَّرَ كُوتَ  
العِمَارَةِ، وسورَهُ، وعَمَّرَ سورَ البصرة وقرية سيدنا الزبير وسُورَ الحِلَّةِ  
وسُورَ مَاردِينَ، وأنشأ قُرب الموصل قلعةً حَصِينَةً، وأَحْيَا في طريق  
ماردين موضعًا معروفًا بِجَلَاغَةِ عند الصادرين والواردين.

وبعد دَفَنَهُ أَجْمَعَ أَهْلُ الحُلِّ والعَقْدِ في بغداد بأن الكتخدا علي  
باشا هو الأليق بوزارة بغداد، وكتبوا محضراً، وأرسلوه إلى الدولة  
بذلك، إِلَّا أَنَّ أحمدَ آغا آغاَةَ الينجارية داخله الحَسَدُ، وأراد أن يُفسد  
هذا الأمرَ، فاجتمع بسليم بيك ووسوسَ له، وقال له: إِنَّكَ أَنْتَ  
أولى من علي بيك، خصوصاً وَأَنْتَ صِهر الوزير الأَسْبَقِ، فَأَمَّا لَهُ  
إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى علي بيك الكتخدا المذكور وقال له: إِنَّ أَهْلَ بغداد  
أَهْلُ نِفَاقٍ وَإِثَارَةٍ فَتَنٍ مِنْ قَدِيمِ الأَزَلِّ، وَأَخْشَى أَنْ يُبَيِّجُوا عَلَيْكَ  
الغوغَاءَ والأوباشَ، فَالأولى أَنْ تَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أَضْبِطَ القلعةَ  
بِالينجارية؛ لَنَكُونَ آمِنِينَ مِنْ أَهْلِ بغداد. فوافقه على ذلك، وما  
يدرِي أَنَّهُ مُضْمِرٌ لَهُ الخِيَانَةُ.

فبعد أن استقرّ في القلعة شرع في المحاربة مع علي بيك وطلب  
الوزارة لنفسه، فبينما اشتدّ الأمر على علي بيك إلّا وجاء الفرّج والمُبشّر  
بقتل أحمد آغا المذكور؛ ففرح واطمأن وملك القلعة، وعفى عن  
أكثر مَنْ فيها، وهدأت الفتنة.

ثم وصل الفرمان من الدولة العلية بتوجيه إيالة بغداد لعلي  
باشا المذكور.

وبعده غزا علي باشا الوزير البلباص من بلاد الأكراد، فأطاعوه  
بعد العصيان والفساد، ودفعوا الخراج المنكسر الذي عليهم، وانقلب  
منهم، وعبر الدجلة من الموصل؛ لمقاتلة أهل سنّجار، الجبل الشاهق  
المعلوم، وأكثر أهله كفاراً<sup>(١)</sup>، فقاتلهم وطوّعهم.

ومن أظهر الشجاعة والبسالة في ذلك اليوم، وبذل الهمة تجاه  
الوزير: محمد باشا والي كوي، وانتصر.

وأما إبراهيم باشا فإنه قاتلهم في يوم، وهُزِمَ فيه، ومن شدة  
قهره مَرَضَ ونُقِلَ إلى الموصل، ومات هناك.

---

(١) لعله يريد "اليزيدية"، وانظر لنحلّتهم وتاريخها: كتاب "اليزيدية"؛ لأحمد  
تيمور باشا، الصادر من مطبعتنا. (الخطيب).

ولما بلغ الوزير وفاته نَصَب مكانه عبد الرحمن باشا.

وقد وَفَدْتُ على الوزير علي باشا وهو محاصرٌ جبلَ سِنْجَار،  
ومدحته بقصيدة؛ فأكرمني وأجلّني، والتمست تولية المدرسة  
المَغَامِسِيَّة؛ ففضل بها عليّ.

وبعد رجوعه من سِنْجَار: غضب على محمد وعبد العزيز ابني  
عبد الله بن شايي، وأمرَ بِخَنْقِهِمَا؛ فَخُنِقَا رحمهما الله، ودُفِنا بقُرب  
الموصل.

وأما مناقبُهُما:

فأما محمد؛ فكان في أيامه من ملوك العرب، وأهل النجاة  
والمروّة والنخوة، ومضَى عُمُرُهُ وهو جليس الملوك ونَدِيمُهُمْ وسفيرُهُمْ  
وأَمِينُهُمْ ومستشارُهُمْ؛ بحيث يُضرب به المثل في اللطافة والأدب  
والمحاضرات في المجالس وطلاقة اللسان وبديهة الجواب، وإلى غير  
ذلك من الصفات التي لا توجد في أقرانه، وكان يشارك العلماء في  
كل فن، وخَدَمَهُ الدَّهْرُ مُدَّةً ثم غَدَرَ به كما هي عادته<sup>(١)</sup>، وكان رحمه  
الله كلما زاد رِفْعَةً وقبولاً عند الأمراء ازداد تواضعا، وَرِثَ الرياسة عن

---

(١) قال ﷺ: "لا تسبوا الدهر" أخرجه مسلم (٥٨٢٧).

أبيه وجده، وكان له شَغَفٌ بقضاء حوائج الناس، ولو لم يعرفهم<sup>(١)</sup>،  
إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا أَرْسَلَهُ الْوَزِيرُ سَلِيمَانَ بَاشَا إِلَى الدَّرْعِيَّةِ سَفِيرًا إِلَى الْوَهَابِيِّينَ؛  
فَكَأَنَّهُمْ أَعْوَوْهُ<sup>(٢)</sup>، وَسَرَى بَعْضُ عَقَائِدِهِمْ فِيهِ! إِلَّا أَنَّهُ كَانَ كَرْمُهُ  
وَشَمَائِلُهُ مُغَطِّيَّةً عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ.

### فصل في بعض أخبار الوهابيين:

فمن اعتقادهم: تكفيرُ عموم المسلمين الذين على الكرة الأرضية  
إِلَّا مَنْ اعْتَقَدَ اعْتِقَادَهُمْ! وَسَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّلَفِ وَالْمُحَمَّدِيِّينَ،  
وَيُبْغِضُونَ وَيَلْعَنُونَ جَمَلَةً مِنْ عُلَمَاءِ السَّنَةِ<sup>(٣)</sup>؛ مِثْلَ أَبِي الْحَسَنِ  
الْأَشْعَرِيِّ! وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَسَّسُوا قَوَاعِدَ الْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينِ  
فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ، وَمِنْهُ نَشَأَتِ الْفِرْقُ وَالْخِلَافُ بَيْنَ الْأُمَّةِ الْمَحْمُودِيَّةِ،  
وَالْأَقْبَلَةِ كَانَتِ الْأَدْلَةُ هِيَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ لَا غَيْرَ.

---

(١) فِي الْهَامِشِ: "وَأَخُوهُ مَا هُوَ بَبْعِيدٍ مِنْهُ".

(٢) أَي: أَزَالُوا عَنْ عَيْنِيهِ الْغِشَاوَةَ الَّتِي أَسْدَلَهَا عَلَيْهِ وَعَلَى أَمْثَالِهِ هَؤُلَاءِ  
الْحُكَّامُ الطُّغَاةُ، الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ اللَّهَ فِي خَنْقِ النُّجَبَاءِ الْكَمَلَةِ، مِنْ أَمْثَالِ  
ابْنِي شَاوِي. (الْخُطْبِ).

(٣) لَا يُعْرَفُ فِي كُتُبِهِمْ لَعْنٌ لِأَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْهُمْ يَحْكُمُونَ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ  
بِمَا تَوَجَّهَ النَّصُوصُ. (الْخُطْبِ).

وأيضًا: يُكْفَرُونَ الإمامَ ابنَ السبكي الشافعي! ولكن ما أعلم  
السَّبَبَ في تكفيره دون سائر المصريين! ويا ليت شعري! ما ذنبُهُ  
معهم؟ وأظنه لكونه كان يُغري الملوكة على ابن تيمية وجماعته  
الحنابلة، حتى حَبَسَهُمُ الناصرُ محمد بن قلاوون في إسكندرية - كما  
هو مذكور في الدرر الكامنة لابن حجر -.

والحاصل: أنَّ الوهابيين آذوا الأحياء والأموات<sup>(١)</sup>!

ومن محاسن الوهابيين<sup>(٢)</sup>: أنهم أماتوا البدعَ ومحوها.

ومن محاسنهم: أنهم أمَّنوا البلادَ التي ملكوها، وصار كلُّ ما  
كان تحت حُكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجلُ وحدهُ  
على حمارٍ بلا خَفَرٍ، خصوصًا بين الحرمين الشريفين.

---

(١) لم يؤذوا إلا مَنْ يريد طريق المسلمين عِوَجًا بالبدع والشركيات!

(٢) لم أجدُها في مخطوطة أو مطبوعة "مطالع السعود". فالأقرب أنها من  
زيادات الحلواني. وكنت وغيري نستغرب هذا الإنصاف من ابن سند!  
والحلواني - عفى الله عنه - حاول أن يكون مُنصفًا؛ لكنه لم يستطع!  
حيث خلطَ صالحًا وآخرَ سيئًا؛ إما لتصديقه أكاذيب المناوئين، أو  
لِحِمِيَّةِ جاهلية.



ومنعوا غزو الأعرابِ بعضهم على بعضٍ، وصار جميعُ العرب  
على اختلاف قبائلهم من حضر موت إلى الشام كأنهم إخوانٌ، أولادٌ  
رجلٍ واحدٍ، وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل والسارق والناهب،  
إلى أن عُدِمَ هذا الشرُّ في زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاقُ الأعراب  
من التوحش إلى الإنسانيّة.

وتَجِدُ في بعضِ الأراضي المخصّبة: هذا بيتٌ عَنَزِي، وبجَنِبِهِ بيت  
عُتَيْي، وبُقُرْبِهِ بيتٌ حَرَبِي، وكلُّهم يرتعون كأنهم إخوان (ولا تجد أحداً  
يقول هذه دِيرَتِي ولا يطؤها الغريبُ مثلاً، كما هو مُشاهدٌ الآن).

وبِهَاتَيْنِ الدسيستين<sup>(١)</sup> خَدَعُوا جميعَ العوام؛ يعني بِمَحَوِ البدعة  
وتأمين الطُرُقَات والسُّبُل، خصوصاً بين الحرمين، وأَحَبَّهُمْ سائرُ  
الأمم<sup>(٢)</sup>، وَغَفَلُوا عن باقي عقائدهم!

---

(١) المؤلف يعرف الحقائق، ويريد أن يُنَوِّه بها؛ لكنه يخشى نظامَ البغي  
والجبروت الذي يعيش في ظله، فيضطر إلى أن يقول غير ما يريد. وإلا  
كيف تكون إزالة البدع دسيسة؟ وكيف يكون بسط جناح الأمن  
والأخوة والمحبة دسيسة؟! (الخطيب).

(٢) هذا اعترافٌ مهم! والحق ما شهدت به الأعداء. وأما تعليله لسبب ذلك  
فعَلِيل!

ورأيت لهم عَقِيدَةً منظومةً يحفظها حتى رُعاةُ غنمهم؛ ومنها:  
وما الدين إلا أن تُقامَ شعائرُ      وتَأْمَنَ سُبُلُ بَيْنَنَا وَشِعَابُ

فكأنهم جَعَلُوا تَأْمِينَ الطُّرُقَاتِ رُكْنًا مِنْ أركان الدين!

ويُفْهَمُ عَقْلًا من سياستهم أنه إذا فُقِدَ القاتل والسارق والناهب  
فأتى سببٌ يَمْنَعُ عُمُومَ الناس من الاشتغال بالزراعة أو التجارة أو  
اقتناء المواشي في البادية المَخْصِبة للتكسب من ألبانها وأصوافها  
وجلودها، وإذا اشتغلوا بالكسب الحلال فلا يسرقون ولا ينهبون  
ولا يقتلون، فكأن المسألة شَبِيهَةٌ بالدَّورِيَّة؛ أي أنه متى وُجِدَ الأمانُ:  
ارتفع السارق والقاتل؛ لاشتغالهم بمعاشهم الحلال، ومتى اشتغلوا  
بالمعاش الحلال وُجِدَ الأمانُ، وَلَكِنَّ هذا الدَّورَ مُنْفَكُّ الجِهَةِ.

ولولا ما في الوهابيين من هذه التَّزَعَّة؛ أعني تكفيرَ مَنْ عَدَاهُمْ؛  
لَمَلَكُوا جميعَ بلاد الإسلام، وأدخلوهم تحت حُكْمهم بطوعهم  
واختيارهم، ولكن بسبب هذه التزعزة بغضتهم الأُمم، وتسلمت عليهم  
الدول، وغزاهم أسدُ الدِّيَارِ المصرية: إبراهيم باشا بن محمد علي باشا،  
بأمر السلطان محمود سنة ١٢٢٨، ومَلَكَ بلادهم، ومحا آثارهم وأبادهم،  
وأَسْكَنَ عائلةَ المُقرن؛ أي بيتَ المُلِك، وعائلةَ عبد الوهاب الديارَ المصرية

(وما رجعوا إلى بلادهم إلا بعد أن عادَ الحجازُ إلى الدولة العليّة).

وهذه الفرقةُ المعبرُ عنها بالوهابيين؛ هم أتباعُ محمد بن عبد الوهاب النجدي، ولكنهم في الحقيقة يُسمَّون أهلَ الحديث؛ لأنه كان نظيرُهم مَوْجُودًا في زمن الدولة العباسية، ويُنكرون المناكيرَ بِالشَّدَّةِ والغِلظةِ مثل الوهابيين، ويثورون على الخلفاءِ بِسَبَبِ أَنَّ الجهادَ في اعتقادهم ركنٌ من أركان الدين، انظر تاريخ "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" من سنة ٣٠٠ هجرية.

وكانوا يُسمونهم الحنابلةَ وأهلَ الحديث في ذلك الزَّمن، ويقولون: قام الحنابلةُ، وثارَ الحنابلةُ، وكَسَرَ الحنابلةُ حاناتِ الخُمور، وأدَبُوا مَنْ شربها.

وكان بينهم وبين العباسيين مقاتلاتٌ وحروبٌ، ثم ثارت منهم فِرْقٌ بالشرق وبجزيرة الأندلس، وَيُسمَّون الظاهرية، وهم أيضًا أهلُ الحديث، وكانوا يُنكرون المناكير مع الغلاظة، ويثورون على الملوك، وأكثرُهم يَمُوتُ بينَ قَتيلٍ وطَرِيدٍ.

ثم في دولة يوسف صلاح الدين ظهر لهم فِرْقٌ، وكانوا يُسمَّون أهلَ الحديث، ولهم ثَوَرَاتٌ وعداواتٌ مع الملوك - أيضًا -، ويُنكرون

المنكر مع الغلاظة والفظاظة، وتَسَلَّسُوا إلى زمن ابن تيمية الحرَّاني وتلاميذه: ابن مفلح وابن القيم وابن عبد الهادي.

ثم ظهرت هذه الفِرْقَةُ التي عَمَّت وطَمَّت في القرن الثاني عشر، ويُسمَّون بالوهابيين؛ نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي، وإِلَّا ففي الحقيقة فأفعالهم وآثارهم هي أفعال الحنابلة الأقدمين، وهي أفعال أهل الحديث في القرون المتوسطة، وأفعال الظاهرية، فالمعنى واحد، إنما في كل عصرٍ يُسمَّونَ باسمٍ على اصطلاح أهل ذلك العصر<sup>(١)</sup>.

وكان لِسُلْطَانِ الوهابيين سعود بن عبد العزيز سياسةٌ عجيبةٌ في تسيير الجيوش وجمعها، وسنين لك نبذة من سياسته في تجنيد

---

(١) اسم «الوهابية» أو «الوهابيين» أطلقه عليهم خصومهم من العثمانيين ومن ساهم في الدفاع عن بقاء البدع في المجتمع الإسلامي. أما أهل نجد الذين تبعوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب فحنابلةٌ في عباداتهم وفقههم، وعلى مذهب السلف في عقائدهم وإيمانهم. انظر التحقيق الوافي عن ذلك في مقالٍ من قلم ناشر هذا الكتاب: محب الدين الخطيب في مجلته "الزهراء" (المجلد ٣ سنة ١٣٤٥ صفحة ٨١-٩٩). (الخطيب). قلت: وقد طبعته مع مقالين آخرين للشيخ في رسالة مستقلة بعنوان "ثلاث مقالات للشيخ محب الدين الخطيب".

الجنود، وكيف استولى على ذلك الملك الكبير بِحِيلَةٍ نَشَرَ الدِّينَ،  
وإماتة البدع!

### فصل في تجنيد الجنود عند دولة آل سعود، وكيفية جمعها وتسييرها:

كان آل سُعودِ أُمَّةً ضَعِيفَةً فَقِيرَةً، وبِلادُهُم ناشفَةٌ، ليست  
مُحَصَّنَةً كَرِيفِ مِصرَ والعِراقِ، حتَّى يَمَكُنَهُم جَبَايَةُ المَالِ مِنْهَا، وكان  
لَهُم رِياسَةُ على العارِضِ فقط؛ فلما اجتمع بِهِم عالِمُهُم مُحَمَّدُ بنُ عبدِ  
الوهابِ النَّجْدِيِّ في القرنِ الثَّاني عَشَرَ: حَسَّنَ لَهُم نَشْرَ الدِّينِ المُحَمَّدِيِّ،  
وإماتةِ البدعِ، وَدَسَّ لَهُم دَسِيسَةً، وَهِيَ أَنَّ هَذِهِ الحَرَكَاتِ مِمَّا تَجْعَلُكُمْ  
مُلُوكَ الإِسْلامِ عُمُومًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ في مِلُوكِ الإِسْلامِ مَنْ يُنْكَرُ المَنْكَرَ،  
فطاعوه، وكان رَجُلًا ذَاهِيَةً، ذا عِلْمٍ وَمَكْرٍ وَدَهَاءٍ وَخِدَاعٍ<sup>(١)</sup>!

---

(١) هذا الأسلوب في الكلام عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يظهر أن المؤلف كان مضطراً إليه في زمانه وبيئته. وانظر عن حياة هذا المصلح العظيم مقالةً لناشر هذا الكتاب في مجلته "الزهراء" (المجلد ٣ صفحة ٤١٧-٤٣١). (الخطيب). قلت: وهو أحد المقالات الثلاث التي أخرجتها في رسالة مستقلة - كما سبق -.

وهكذا الدُّوْلُ لا تَتَأَسَّسُ إِلَّا بِالسُّلْطَانِ وَالِدَيْنِ مَعًا، انظر مقدمة ابن خلدون، فاقتضى رأيهم أن يحاربوا القرية التي بقرهم مثلاً، ويدعونهم إلى ما هم عليه، فحاربوها، وأطاعهم قُرَى نَجْدٍ جَمِيعُهَا. وشروطُهم التي يَشْرطونها على مَنْ يدخل في معتقدِهم هي: شهادةُ أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، وإِقَامُ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وحَج البيت مع استطاع إليه سبيلاً، والجهاد، وأن تكونوا معنا على أهل البدعة، وعلى الكُفَّار، وعلى قُطَاع الطريق، فلَمَّا يسمع منهم هذا الكلامَ العامِّي يقول: هو الحق، ويعاهدُهم على هذه الشروط، ولكن لا يَعْلَمُ مَا وَرَاءَهَا؛ فَيَفْرِضُونَ على تلك القرية عشرين رجلاً مثلاً في كُلِّ حربٍ تساعدُهم، بشرط أن العشرين الرجل إذا وصلوا للمساعدة مع ابن سعود يكون معهم رواجِلُهم وزادُهم الذي يكفيهم شهراً مثلاً، وأنهم يحضرون في اليوم الفلاني مثلاً، الذي يعينه لهم ساعة الطلب.

فإذا أراد ابن سعود قتالَ قريةٍ أو قبيلةٍ فأولاً يُرسل إلى القُرَى التي أطاعته ويطلب من كل قرية مقدارَ العسكر المفروض على تلك القرية أو القبيلة؛ فيأتي إليه من هنا عشرون، ومن هناك مائة، ومن

هنا خمسون مثلاً، وهكذا، فاجتمع معه ألوْفٌ من الرجال محاربين  
بسلاحهم ورَوَاجِلِهِم وزادهم الذي يكفيهم شهراً، فيسير بهم  
ويحارب القبيلة العاصية، إلاَّ أنَّه يحرص أن مُدَّةَ سَفَرِهِ لا تزيد على  
الشهر المعَيَّن؛ حتى لا ينفد زادُ العساكر المصحوبُ معهم من عند  
أهلهم، فيحتاج الحال إلى أن يعودوا يمدّهم بزادٍ من عنده.

فإذا حارب القبيلة العاصية وطوّعها: شرطَ عليها تلك الشروط  
المتقدمة أيضاً، وهكذا، فلو فرضنا أنه أرسل إلى القبيلة الطائفة وطلب  
منها مقدارَ العساكر المفروضة عليها، فأخّرتها عن الميعاد يوماً، أو  
جاء بعضُ عسكرها ضعيفاً، لا يقدر على الكرِّ والفرِّ، أو كان زادهم  
قليلًا، أو كان بعضُهم راحلته هزيلةً، فيغضبُ ويردُّ العسكرَ إلى  
قريتهم، وبعد رُجوعه من تلك الغزوة أولَ ما يبدأ بتأديب تلك القرية  
التي خالفت عهودَه ويُنكلُها وينهبها، وربما يقتل شيخها!

فلهذا صار متى أرسل لكلِّ قريةٍ أو قبيلةٍ بطلب العسكر  
المفروض عليها، فلم يكن لها بُدٌّ من إحضار العدد المعلوم من أقوى  
الرِّجَال على أفْرِه الرواحل، مع الزاد الذي يكفيهم المُدَّةَ المعلومَةَ،  
فتارةً يُعيَّنُ المدة شهراً، وتارةً يُعينها عشرين يوماً، وتارةً عشرة،  
وتارةً شهرين.. وهكذا على حسب مقتضى الحال.

فبهذه السياسة صار يبلغ جيش ابن سعود إلى عشرين ألف مقاتل، بل بلغنا أنه جَيْشٌ خمسين ألف مقاتل في بعض الأحيان، وجميع هذه الجيوش وتلك الحروب لم يُخَسَّرَ فيها لَاصَفَاءٌ ولا بِيضَاءٌ، بَلْ كُلُّ مُحَارِبٍ وَمَصْرُفُهُ عَلَى نَفْسِهِ سَامِعًا مَطِيعًا، بِإِذْلًا دَمَهُ وَمَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَذَلِكَ لِحُسْنِ سِيَاسَةِ ابْنِ سَعُودٍ، وَلِفَصَاحَةِ الدُّعَاةِ وَالوَعَاظِ الَّذِينَ حَسَّنُوا لَهُمْ ذَبْحَ أَنْفُسِهِمْ؛ فَاسْتَحْسَنُوهُ.

فانظر لهذه السياسة التي مَلَكَ بِهَا جَزِيرَةَ الْعَرَبِ أَجْمَعَ بغير دراهم ولا دنانير، ولم يفتح مَعْدَنًا وَلَا جَبَا خَرَّاجًا، بَلْ كَانَ كُلُّ مَا يُحْصَلُهُ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالْمَغَانِمِ فِي غَزَوَاتِهِ، وَمِنْ أَثْمَانِ الْمَجُوهَرَاتِ الَّتِي نَهَبَهَا مِنْ كَرْبَلَاءَ وَمِنْ الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ كَانَ يَدَّخِرُهَا وَيَصْرِفُ مِنْهَا فِي الْعِمَارَاتِ وَشُرَاءِ الْأَسْلِحَةِ لِلْفِدَاوِيَةِ الَّتِي حَوْلَهُ.

وَالْأَفْعَسَكُرُهُ يُحَارِبُونَ بِلَا شَهْرِيَّاتٍ وَلَا قُوتٍ.

وَلَمَّا تَحَارَبَ ابْنُ سَعُودٍ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا الْمِصْرِيِّ، وَغَلِبَ ابْنُ سَعُودٍ، فَمَا غَلِبَ مِنْ قَلَّةِ عَسَاكِرِهِ، أَوْ مِنْ عَدَمِ شَجَاعَةِ عَسَاكِرِهِ، أَوْ مِنْ احتِياجٍ إِلَى مَالٍ، إِنَّهَا غَلَبَهُ إِبْرَاهِيمُ بَاشَا بِالْمَدَافِعِ وَالْأَلَاتِ الْحَرْبِيَةِ الْجَدِيدَةِ، وَالنِّيرانِ الَّتِي لَا قِبَلَ لَهَا بِهَا هُوَ وَجَمِيعُ الْعَرَبِ، وَهَذَا أَمْرٌ آخَرُ



غَيرَ العساكر وغير الشجاعة، يحتاج إلى مَعَارِفَ وَعُلُومٍ وصناعاتٍ وهندسةٍ يَجْهَلُهَا الأعرابُ في عصرنا هذا.

فهذه نبذةٌ من حالاتِ الوهابيين وأطوارهم، وإلّا فالعقل يُحيل أن دولةً جسيمةً مثل هذه تنشأ من بلاد فقيرة، ولكن؛ كُلٌّ مَنْ أَمَعَنَ النظرَ يعلم أنَّ الأسبابَ مربوطةٌ بالمسبِّبات، كما هي عادة الله في خلقه.

ثم دخلت سنة ١٢١٨: وكان فيها الوباءُ الذي أفنى أكثرَ أهل العراق، وكان مبدؤه من سنة ١٢١٧، وكان ينتقل من بلدٍ إلى بلد، ومن قريةٍ إلى قرية، وبئس الضيف! وهَرَبَ لأجله كُلٌّ مَنْ له قدرةٌ على الهَرَبِ إلى رؤوس الجبال.

ثم إن الوزير علي باشا بعدما ارتفع الطَّاعونُ دخل بغدادَ، واشتدَّ غَضَبُهُ على أناسٍ من الأجناد، فنفاهم إلى كُلِّ الجهات، وغَرَّبهم، وأهلك بعضهم، وهرب البَعْضُ إلى البراري والقفار.

ثم دخلت سنة ١٢١٩: فيها غزا ابنُ أخت الوزير سليمان بيك على بادية الجبلين أجا وسلَمي، وغَنِمَ نَعْمًا وشاء؛ فَأَحَبَّهُ الوزير لذلك، وجعله كتخدا بغداد.

ثم دخلت سنة ١٢٢٠: وفيها تمكن الكتخدا سليمان بيك من

تنفيذ الأوامر والنواهي، خصوصًا بعد قتل خالد بيك وتعذيبه، ونفي عبد الله آغا وتقريبه<sup>(١)</sup>.

وفي تلك السنة قُتل عبد الرحمن باشا الكردي محمد باشا والي كوي؛ لما كان بينهما من الأحقاد، ولذلك غزا الوزيرُ ديارَ عبد الرحمن باشا الكردي؛ فَبَدَّدَ شملَه، وهتَكَ بلادَه، وشرَّدَه إلى العجم، وهذه الغزوة حضرها الوزير بنفسه من شدة غيظه.

وفي تلك السنة: حاصر سعود بن عبد العزيز البصرةَ وقتلَ ونَهَبَ وحرَّقَ، ومتسلِّمُ البصرة إذ ذاك إبراهيم آغا، فصَابَرَ وجالَدَ بِغَايَةِ جُهدِه، ثم في آخر الأمر لحق حمود بن ثامر بعربِه، وشَدَّ عَضْدَ المتسلِّمِ، ورجع سعود إلى بلاده.

وكان ابتداءُ غزوة سعود في آخر السنة التي قبلها، وهي التي قُتل فيها أبوه عبد العزيز، لا قطعَ الله يدَ مَنْ قَتَلَه ولا شلَّها<sup>(٢)</sup>!

---

(١) لعلَّ عبد الله آغا هو الذي تقدم أنه كان مُتسلِّمُ البصرة، وعصى وفرَّ منها، ثم أقبل سنة ١٢١٤ إلى بغداد، وأكرمه وزيرها سليمان باشا، وأعادَه مُتسلِّمًا إلى البصرة. وحادثه نفيه وقتل خالد بك التي يشير إليها المؤلف الآن لم يتقدم لها ذكر. (الخطيب).

(٢) لقد ذهبَت اليَدُ وصاحبُها إلى مَنْ يحكم في خلقه بما يستحقون. (الخطيب).

وفيهما: أغار سعود على آل ظُفَيْرٍ، ولم يُبق لهم من شاةٍ ولا بعير،  
 وهم أعرابٌ من بادية نجد، يشملهم هذا الاسم، مع أن أصلهم من  
 قبائل متفرقة، اجتمعوا ومُحالفُوا، وتسمَّوا بهذا الاسم، ولكن  
 رؤسائهم وكُبرائهم والمسموعو الكلمة فيهم: هم آل سُويطٍ -  
 كزُبير - وهم من بني سُليم، وهم بين سائر الأعراب مشهورون  
 بالكرم والنَّجدة والنخوة والشجاعة، وقيل: إذا كنتَ من تميم ففاخر  
 بَحَنْظَلَةٍ، وكاثر بسَعدٍ، وحاربَ بِعَمْرٍ، وإذا كنتَ من قَيْسٍ ففاخر  
 بَعُظْفَانٍ، وكاثر بهَوَازِنٍ، وحارب بسُليم.

ثم دَخَلَت سنة ١٢٢١: انتدب الوزير علي باشا واستعد لمحاربة  
 شاة العجم " فَتَح علي خان"، فخرج من بغداد في عشرين من ربيع  
 الآخر بعسكرٍ جرَّارٍ، فيه من رؤساء العرب وبيكوات الأكراد ما يهدُّ  
 به الجبال، ودخل في حدود ممالك العجم، فلما تقارب الجيشان تقدم  
 الكتخدا سليمان بيك ابن أخت الوزير بطليعةً، فلاقتَه طليعةٌ من  
 عسكر العجم، ورئيسها جَبَّار الكُرد: عبد الرحمن باشا، الذي كان  
 طَريدًا في أرض العجم، فتناوشت الطليعتان الحربَ، فكانت الكسرةُ  
 على عسكر الكتخدا، وأَسَرَ عبدُ الرحمن باشا سليمانَ بيك، فلما وصل  
 هذا الخبرُ المُسيء لخاله الوزير علي باشا، انْفَتَّ عَصْدُهُ، وانكسرت

همته، ورجع القهقري، إلى أن تحصّن في بعض الجبال هو وجيشه، فلاحقه حمود بن ثامر بعريه، وقوى عضد الباشا، حتى أمّن على نفسه وباقي جيشه، ورجع إلى بغداد في سلخ رجب من تلك السنة.

ولما دخل الوزير بغداد أكرم حمودًا وأحسن جزاءه، وكان قبل ذلك غضبانًا عليه، فجاءت هذه المساعدة وغسلت تلك البغضة، وأبدلتها بالحب.

وفي تلك السنة: عاد الكتخدا سليمان بيك، وفرح به خاله أشدّ الفرح، وأطلقه سلطان العجم منّا بلا سبب، وما تمت فرحته بابن أخته إلاّ وقد دهم الوزير المنية، وقُتل وهو يصلي، قتله خدامه، ثم إنهم قتلوا قاتليه، ولكن: هل تسدّ الكلاب في الأسد!

وصار قتله على الكتخدا رزية، إلاّ أنّه تبدل الحزن بالفرح، حيث أن ولاية بغداد بعده آلت إلى سليمان باشا الكتخدا، ابن أخت علي باشا الشهيد.

وفي تلك السنة: ورد على البصرة العالم العلامة، والنحرير الفهامة، الشريف العلوي الفضال الهمام، الذي هو في كلّ فنّ إمام: السيد زين العابدين جمل الليل المدني أبو عبد الرحمن، عالم المدينة، لكنّه شافعي.

ولما ورد البصرة رَوِيَتْ عنه حديثَ الرَّحْمَةِ المُسْلَسِلِ بالأولِيَّةِ،  
وقرأت عليه أوائلَ الكتب الستة، وأسمعني من مَروياته ما صَيَّرني  
لَهُ مُكَاتِبًا، وأجازني بمسنداتٍ ومعاجمٍ ومشِيخاتٍ مفيدة، وناولني  
الثَّبْتَ المُسَمَّى بـ "الأُمَم"؛ لأبي الطَّاهِرِ بنِ حَسَنِ الكوراني المدني،  
وَكَتَبَ إِلَيَّ إجازةً دَالَةً على طوْلِ باعِهِ، وتبحُّرِهِ في الفنون الحَدِيثِيَّةِ،  
وذكر فيها بَيِّنَاتٍ يَدُلُّ على تواضعه ولُطْفِ طباعِهِ، وهو قوله:

أَنَا الدَّخِيلُ إِذَا عُدَّتْ أُصُولُ عَلَاءً

فَكَيْفَ أَذْكُرُ إِسْنَادًا لَدَى ابْنِ سَنَدٍ!

وَلَمَّا ورد بغداد في حياة الوزير علي باشا أفاد وأجاد، وروى عنه  
الأكابر والأصاغر؛ طَلَبًا لعلَّوْ الإِسْنَادِ.

وَأَمَّا الوزير علي باشا فزاد في إكرامه، وبالغ في رفع مقامه،  
ومن إكرامه له - الذي لم يكن لسواه - أن الوزير اشترى للسيد كِتَابًا  
كثيرةً من سائر الفنون العِلْمِيَّةِ، وأوقفها علي باشا، وجعل مقبرها  
تَحْتَ يَدِ السيد ويَدِ ذريته، وكان عزم الوزير على شراء أُمَلَاكِ بالمدينة  
المنورة وإيقافها على السيد المذكور، ولكن اخترمت الوزير المنيَّةُ، ولم  
يَفِ ابنُ أخته سليمان باشا بما أوصى به خالُه.

وممن استجاز من السيد زين العابدين جمل الليل في تلك السنة:  
 داود باشا الذي آلت إليه وزارة بغداد فيما بعد، فأجاز له رواية البخاري  
 وفتح الباري وغيره من مسموعاته، ثم إن الوزير سليمان أمر السيد زين  
 جمل الليل أن يقرأ شيئاً من البخاري روايةً ودِرايةً ليظهر فضله عند من  
 لم يعرفه، فقرأ دروساً من البخاري أظهر بها فضله وقوة مدركه.  
 ورجع السيد زين من بغداد على طريق البصرة، فلازمت خدمته،  
 واقتبست من آثاره، وتوجه من البصرة قاصداً طيبةً من طريق البر.  
 ودخلت سنة ١٢٢٢: وفيها تسلطن السلطان مصطفى بعد خلع  
 السلطان سليم وقتله<sup>(١)</sup>.

(١) وُلد السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث سنة ١١٧٥، وتولى  
 السلطنة سنة ١٢٠٣ بعد عمه عبد الحميد الأول - كما تقدم -، وكان  
 قبل ولايته السلطنة مُعجَباً بأوروبا، ولا سيما فرنسا، مضافاً ذلك إلى  
 إصغائه لأهل الخُرافات وإصداره الأحكام والقرارات في الأمور المهمة  
 بتأويل الأحلام! وتصديق المنجمين وأهل التائم! وكان على صوابٍ في  
 أخذه عن أوروبا صناعة الطباعة وغيرها، ونظام الجيش؛ توطئة  
 للاستغناء فيما بعد عن نظام النيشرية، إلا أنه كان في ذلك متردداً، ولم  
 يستعمل القوات الجديدة في حرب الروس، بل تركها معطلة، وأرهق

==

الأمة لأجل ذلك بالضرائب وغلاء المعيشة؛ فكثر أعداؤه، وكان أصدقاؤه منافقين مداجين، وبعد أن لبث في السلطنة ١٩ سنة و٧ أشهر و١٠ أيام: ثار عليه الينيشرية، وانضم إليهم الرّاع؛ فأرغموه على قتل أصدقائه، ثم خلعوه وولّوا ابن عمه السلطان مصطفى الرابع ابن عبد الحميد الأول يوم ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٢٢. والسلطان مصطفى مولودٌ في سنة ١١٩٣، وكان جاهلاً أحمق، ولم تكن له أية مزية تؤهله لهذا المقام، وتمرد في زمنه الينيشرية، وزادت بهم الدولة ضَعْفًا. ومع أن مصطفى باشا العلمدار كان من أنصار خالعي سليم الثالث، إلا أن ما وصل إليه حال الدولة بعد ذلك أقنعه بأن من الخير إعادة السلطان سليم الذي كان محبوبًا في القصر السلطاني هو وابن عمه محمود الثاني ابن عبد الحميد الأول، فلما أيقنت حاشية السلطان مصطفى بأن مصطفى باشا العلمدار جاء ليُعيد سليمًا الثالث، قالوا للسلطان مصطفى: إن بقاءه على العرش متوقفٌ على قتل سليم الثالث ومحمود! وبالفعل فتكوا بسليم الثالث، ففارق الحياة، وتمكنت خاصة محمود من تهريبه من داخل مدخنة إلى سطح القصر، ثم وصل الذين يريدون اغتيال محمود فقتلهم جارية اسمها (جوري) برّما في عيونهم، إلى أن تمكن مصطفى باشا العلمدار من القبض على السلطان مصطفى الرابع، بعد أن لبث في السلطنة أربعة عشر شهرًا ونحو نصف شهر، وكان ذلك اليوم آخر عهده بالحياة، أوائل جمادى الأول ١٢٢٣، وأعلن مصطفى باشا العلمدار ولاية محمود الثاني سلطنة آل عثمان. (الخطيب).

ثم دخلت سنة ١٢٢٣: وفيها ورد الخبرُ بتسلطن السلطان محمود بن عبد الحميد، قمر الزمان وفحل بني عثمان باتفاق عدوه وصديقه، وهو الذي جدّد لبني عثمان ملكًا جديدًا بعد أن آلت دولة بني عثمان إلى الاضمحلال من الفتن الدّاخلية والخارجية، ولو لم يكن من فضائل السلطان محمود إلّا إزالة رأس المُبتدعة؛ وهو سعود وآله الوهابيون لكفاه فخراً<sup>(١)</sup>.

وذلك أن السلطان محمود لما تحقق عنده مقدار فتنة الوهابيين وما سيؤول إليه أمرها، وتحقق عنده أنهم ملكوا الحرمين الشريفين، ونهبوا أموال الحجرة الشريفة وذخائرها المملوكية، التي منها الكوكب الدرّي، وهو الحجر الألباس المُلصق جهة الرأس الشريف، وكان أهدها السلطان أحمد العثماني، فأخذه سعود بن عبد العزيز، ثم ردّه منهم إبراهيم باشا لما حارب الدّرعية، وأما باقي الذهب والمجوهرات

---

(١) المؤلّف يُناقض هنا ما قرره واعترف به فيما مضى. أليس هو القائل في كتابه هذا: «ومن محاسن الوهابيين أنهم أमतوا البدع ومحوها»، ومع ذلك فإن سلطنة آل عثمان هي التي أراد الله لها الزوال؛ لأنها لم تكن جديرة بالبقاء (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض). (الخطيب).



القديمة التي بعضُها من ملوك الهند التيموريين، وبعضُها من ملوك بني عثمان، وبعضُها من ملوك الجراكسة، وبعضُها من ملوك بني سلجوق، فلم يرجع من ذلك شيءٌ، ويقال إن سعودًا أرسلها إلى الهند وباعها هناك، فكأن ثمنها صار عليه بالدمارِ والبوارِ<sup>(١)</sup>.

وبَلَغَ مَسَامِعَ السلطان محمود أن الوهابيين سَفَكُوا دِمَاءَ المسلمين، وكَفَرُوا مَنْ عداهم ممن قال لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ<sup>(٢)</sup>، وتيقن عنده أنهم منعوا حُجَّاجَ مِصرَ والشَّامِ، قائلين: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾<sup>(٣)</sup>، فحينئذ شَمَّرَ عن سَاعِدِ

---

(١) كان الخلفاء الراشدون وأئمة الإسلام في القرون الثلاثة الأولى التي قال فيها النبي ﷺ: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، يرون تعظيم النبي ﷺ ومحَبَّته بإقامة شرِّعه وتحقيق رسالته بقدر الإمكان، أما الملوك من ذرية تيمور وبني عثمان والشراكسة وبني سلجوق؛ فكانوا يتسامحون في تعطيل الشريعة وانحراف الدولة عن نهج الرسالة، ويُعربون عن تعظيمهم ومحبتهم بالألماس والمجوهرات والذهب! والله يعلم من أين اكتسبوا ذلك. (الخطيب).

(٢) هذا من أكاذيب المؤلف.

(٣) تقدمت رسالة سعود بن عبد العزيز عن تأمين الحجاج وغيرهم، ويقول

==

الجِدِّ، وأمر تابعه محمد علي باشا والي مصر بأن يُجهَّز جيشًا لمحو  
الوهابيين وإعدام دولتهم من الدنيا.

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدَ عَلِيَّ بَاشَا أَرْسَلَ جَيْشًا إِلَى الْحِجَازِ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،  
وَرِئِيسُهُمْ أَحْمَدُ طُوسُونُ بَاشَا بْنُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ، فَوَصَلُوا إِلَى يَنْبَعٍ، وَتَقَدَّمُوا  
لِطَرْدِ الْوَهَابِيِّينَ مِنَ الْمَدِينَةِ أَوَّلًا، فَلَمَّا سَافَرُوا مِنْ يَنْبَعٍ وَوَصَلُوا  
الصَّفْرَاءَ، فَهَنَّاكَ التَّقَى الْجَمْعَانِ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَكَانَتْ  
الْكِسْرَةُ عَلَى عَسْكَرِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بَاشَا، وَرَجَعُوا إِلَى يَنْبَعٍ مَهْزُومِينَ، وَلَكِنْ  
الَّذِي كَانَ مَنْصُورًا أَوَّلًا هُمْ عَسْكَرٌ مَعَ عَلِيٍّ بَاشَا.

وَلَمَّا وَرَدَ مَدَدٌ لِلْوَهَابِيِّينَ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ سَيْفُ ابْنِ  
مُضَيَّانٍ<sup>(١)</sup> وَمَعَهُ عَرَبُ الظَّوَاهِرِ مِنْ بَنِي حَرْبٍ، فَلَمَّا رَأَى عَسْكَرُ

==

فيها: إنهم قاتلوا لأجل تحقيق الأمان، حتى جعلوا الأرض كلها لله، وجميع  
المسلمين مشتركين فيها، وصار الذئب لا يقدر أن يضر الشاة. ولم ينس  
القارئ قول المؤلف نفسه: «ومن محاسنهم أنهم أمنتوا البلاد التي ملكوها،  
وصار كل ما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل  
وحده على حمارٍ بلا خفر، خصوصًا بين الحرمين الشريفين». (الخطيب).

(١) أفادني الدكتور فايز بن موسى البدراني الحربي بأن الصواب: (مسعود

==

المصريين كثرة الرّايات ظنوا أن ابن سُعودٍ بنفسه حضر؛ فانهزموا ورجعوا إلى ينبع.

وهذه الواقعة كانت سنة ١٢٢٨.

ولما بلغت الهزيمة محمد علي باشا أرسل لهم مددًا في الحال، وقوى عزائمهم بالرجال والمدافع، فنهّدوا إلى الصّفرَاءِ مرّةً ثانية، وساعدهم على دخول تلك الجبال والمضايق قبائل بني حرب، خصوصًا الأحامدة وشيخهم وصلًا<sup>(١)</sup>، فخيم عسكرُ المصريين في الصّفرَاءِ، وصارت بينهم وبين الوهابيين حربٌ ثانية، انكسر فيها الوهابيون وانهزموا، وقد داخلهم الخوف والرّعب من صوت المدافع ترنُّ بين الجبال ولها دويٌّ، وما كانوا سمعوا مثلها قطّ، فرفعوا

==

بن مضيان؛ لأن سيف بن غانم متأخّر عن هذا الحدث). ومسعود - رحمه الله - قتله الدولة العثمانية في إسطنبول عام (١٢٢٧ هـ).

(١) هو: وصل بن عامر الأحدي (توفي في حدود سنة ١٢٥٠ هـ)، وأفادني الدكتور فايز البدراني بأنه: (وقف هو وأخوه جزا مع طوسون بن محمد علي باشا منذ البداية؛ لأنها كانا مناوئين لابن مضيان والدولة السعودية، فهما لم يبايعاها أساسًا).

عَسَكَرَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ، وَحَصَّنُوها فِي الْمَدِينَةِ دَاخِلَ الْقَلْعَةِ وَدَاخِلَ السُّورِ الْجَوَانِي، وَعَلَى زَعَمِهِمْ أَنَّهَا تُحَصَّنُهُمْ، وَكَانُوا نَحْوَ الْعَشْرَةِ آلَافٍ يُسَمُّونَهُمْ بِالْمُرَابِطِيَّةِ - يَعْنِي الْمَجَاهِدِينَ - .

فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ أَحْمَدُ طُوسُونَ بَاشَا مَنْ يِقَاتِلُهُ: أَرْسَلَ صَالِحَ آغا الْكَاشِفِ وَمَعَهُ ثَلَاثُمِئَةِ خِيَالٍ يَسْتَكْشِفُ لَهُ حَالِ الْعَدُوِّ فِي الطَّرِيقَاتِ، فَتَوَجَّهَ قَاصِدًا الْمَدِينَةَ، وَلَمْ يَجِدْ فِي طَرِيقِهِ مَنْ يُعَارِضُهُ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ - الْمَسَمَاةِ الْآنَ بِأَبْيَارِ عَلِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً - وَهُوَ مُتَعَجِّبٌ مِنْ كَوْنِهِ لَمْ يَلَاقِ أَحَدًا مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَبَقِيَ فِي ذِي الْحُلَيْفَةِ مُتَحَيِّرًا مَاذَا يَصْنَعُ ؟

وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتْفَاقِ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثُمِئَةَ خِيَالٍ بَانْضَمَّامِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَيْهِمْ أَخْرَجُوا الْوَهَابِيِّينَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَفَتْحُوهَا مِنْ يَدِ الْمُرَابِطِيَّةِ عُنُوءً، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَهَابِيِّينَ لَمَّا عَلِمُوا بِقُدُومِ عَسْكَرِ مُحَمَّدٍ عَلِي بَاشَا إِلَى يَنْبَعٍ: أَمَرُوا بِإِخْرَاجِ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْجَوَانِيَّةِ، وَقَالُوا: مَنْ وُجِدَ فِي بَيْتِهِ بَعْدَ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ سَاعَةً فَدَمُّهُ هَدْرًا !

فَخَرَجَ جَمِيعُ الْأَهَالِي بِحَالَةٍ شَنِيعَةٍ، وَمَا مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا خَفَّ حَمْلُهُ، وَتَرَكُوا بِيُوتَهُمْ بِفُرُشِهَا وَأَثَانِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَأْكَلِ

والمشارب، ونزلوا في المناخَةِ، فَمَنْ عِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ أَوْ قَرِيبٌ نَزَلَ عِنْدَ مَعْرِفَتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ نَزَلَ فِي أَيْ بَيْتٍ مَفْتُوحٍ، وَصَارَ أَهْلُ الْمَنَاخَةِ يَقْبَلُونَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الْجَوَانِيَّةِ وَيُرْجُونَ بِهِمْ، وَيُدْخِلُونَهُمْ بِيُوتَهُمْ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ سَابِقُ مَعْرِفَةٍ؛ لِأَنَّهُ أَصَابَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الشَّدَةِ تَحَابٌُّ وَمُودَةٌ لَمْ تَخْطُرْ بِالْبَالِ؛ لِاتِّفَاقِهِمْ فِي الْمَصَائِبِ، وَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُ مَا يَحْدُثُ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ.

وَاشْتَدَّ الْعَلَا عَلَى النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْوَهَابِيِّينَ أَخَذُوا جَمِيعَ الْأَقْوَاتِ نَهْبًا، وَحَصَرُوهَا عِنْدَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ الْجَوَانِيَّةِ، وَسَكَنُوا فِي بُيُوتِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى فُرُشِهِمْ وَأَتَانِهِمْ ظُلْمًا!

وَلَكِنْ صَارَ هَذَا الطَّرْدُ وَإِخْرَاجُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْجَوَانِيَّةِ مِنْ بِيُوتِهِمْ هُوَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ انْجَمَعُوا عَلَى بَعْضِهِمْ وَأَرْسَلُوا رَسُولًا مِنْ طَرَفِهِمْ إِلَى صَالِحٍ كَاشَفٍ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا، وَهُمْ مَعَهُ، وَأَظْهَرُوا لَهُ بُغْضَ الْوَهَابِيِّينَ وَعِدَاوَتِهِمْ، وَدَلَّوْهُ عَلَى عَوْرَاتِ الْوَهَابِيِّينَ<sup>(١)</sup>!

---

(١) ذَكَرَ كُوارَنسِيهِ فِي كِتَابِهِ "تَارِيخُ الْوَهَابِيِّينَ" (ص ١٣٦) أَنَّهُ أَثْنَاءَ قُدُومِ قَافِلَةِ الْحِجِّ الشَّامِيِّ لِلْمَدِينَةِ، يَبْدَعُهَا الَّتِي اعْتَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ سَنَةٍ، وَمَنْعَهَا مِنْ ذَلِكَ: (بَدَأَ فِي غَمْرَةِ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ وَاضِحًا: مَدَى الْكُرْهِ

إِلَّا أَنَّ الْكَاشِفَ لَا زَالَ قَلْبُهُ غَيْرَ مُطْمَئِنٍّ، وَيُظَنُّ أَنَّهَا مَكِيدَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَيُرِيدُونَ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُسَلِّمُوهُ إِلَى جَيْشِ الْوَهَابِيِّ. وَلَكِنْ: لَمَّا كَثُرَ الْوَفُودُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ اطمأنَّ قَلْبُهُ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ بِعَسْكَرِهِ لَيْلاً، وَسَبَّبُ دُخُولِهِ لَيْلاً أَنَّهُ لَوْ دَخَلَهَا نَهَارًا يَضْرِبُهُ الْوَهَابِيُّونَ مِنَ الْقَلْعَةِ بِالْمَدَافِعِ؛ لِأَنَّ الْقَلْعَةَ وَمَدَافِعَهَا كَانَتْ فِي يَدِهِمْ، وَهِيَ مَرْتَفَعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَتَصِلُ مَدَافِعُهَا إِلَى مَا بَعْدَ الْعَقِيقِ.

وَلَمَّا دَخَلَ الْكَاشِفُ فِي الْمَدِينَةِ: تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا بِالترْحِيبِ وَالْإِكْرَامِ، وَانْضَمُّوا مَعَ عَسْكَرِهِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ رَجَالٌ مَعْدُودُونَ بِالشَّجَاعَةِ، فَصَارَ مَجْمُوعُ عَسْكَرِ الْكَاشِفِ مَعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ نَحْوَ السَّبْعِمِائَةِ رَامِيٍّ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مَعَ شَجَاعَتِهِمْ أَذْرَى بِمُخَبَّاتِ بِلَدِهِمْ وَطُرُقِهَا؛ كَمَا يَقَالُ: "أَهْلُ مَكَّةَ أَذْرَى بِشُعَابِهَا".

وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَظْهَرَ فِي

==

الَّذِي يُكْنَى سَكَانَ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةَ لِلْأَتْرَاكِ، وَمَدَى حِمَايَتِهِمْ لِلدَّعْوَةِ الْوَهَابِيَّةِ). وَهَذَا يُنَاقِضُ تَهْوِيلَ الْحُلُوفَانِي! أَوْ أَنَّهُمْ اضْطَرُّوا لِذَلِكَ بِسَبَبِ صَوْلَةِ الْغَزَاةِ.

الْمَنَاخَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ لَاحَ لِلْوَهَابِيِّينَ يَضْرِبُونَهُ بِالرِّصَاصِ مِنَ السُّورِ  
الَّذِي عِنْدَ سَيِّدِنَا مَالِكٍ، حَيْثُ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَدْ تَظَاهَرُوا بِالْعِدَاوَةِ  
مَعَ الْوَهَابِيِّينَ، وَصَارُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ، وَلَهُمْ سُوقٌ مَخْصُوصٌ فِي  
الْعَنْبَرِيَّةِ، وَلَا يَمُرُّونَ إِلَّا مِنَ الْأَرْزَقَةِ وَالْعَطْفَاتِ.

وَمَنْ لُطِفَ اللَّهُ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّ الْوَهَابِيِّينَ لَا يُحْسِنُونَ ضَرْبَ  
الْمَدَافِعِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَيْمَنِ، وَإِلَّا لَأَهْلَكُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ اتَّفَقَ رَأْيُهُمْ مَعَ الْكَاشِفِ عَلَى أَنَّ يَحْفَرُوا لَغَمًا  
مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ، فَحَفَرُوهُ مِنْ جِهَةِ مَسْجِدِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ، قَاصِدِينَ  
سُورَ سَيِّدِنَا مَالِكٍ.

لَمَّا اسْتَشْعَرَ الْوَهَابِيُّونَ بِذَلِكَ حَفَرُوا أَيْضًا هُمْ لَغَمًا مِنْ عِنْدِهِمْ،  
وَتَلَاقَى اللَّغَمَانِ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَهَنَّاكَ تَجَالَدَتِ الْأَبْطَالُ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ مَكِيدَتَهُمْ ظَهَرَتْ عَدَلُوا عَنْ ذَلِكَ  
الْمَحَلِّ، وَشَرَعُوا فِي حَفْرِ لَغَمٍ آخَرَ مِنْ جِهَةِ أَوَّلِ دَرْبِ الْجَنَائِزِ، وَلَكِنْ  
قَصْدُهُمْ بِهِ أَنَّ يُشْغِلُوا أَفْكَارَ الْوَهَابِيِّينَ لِيُضَيِّعُوا فِرَاسَتَهُمْ، وَفِي  
الْحَقِيقَةِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ حَفَرُوا لَغَمًا ثَالِثًا مِنْ حَوْشِ النِّخَاوَةِ، يَتَّصِلُ إِلَى  
السُّورِ الْمَجَاوِرِ لِلْحَمَّامِ، وَاهْتَمُّوا بِهِ فِي مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ، وَالْوَهَابِيُّونَ

مستعدون من جهة اللَّغَمِ الذي في أولِ دَرْبِ الجَنَائِزِ، فما يشعرون في يومِ الجُمُعَةِ إِلَّا واللَّغَمِ الذي عند الحَمَامِ قد طار وصار له صوتٌ هائلٌ، وانقلب السور من هناك، وكان جميعُ أهلِ المدينة وعسكر الكاشف مُسْتَتِرِينَ في حوشِ النَّخَالة من الليل.

فلما انهدم السورُ من هناك كَبَّرَ أهلُ المدينة مع عسكر الكاشف وَهَجَمُوا على داخل البلدة، واستحر القتل بين الطرفين، وَلَفْطَانَةُ أهل المدينة ما صاروا يهجمون على الوهاية من الشوارع والأزقة، بل صاروا يَتَسَلَّقُونَ عليهم من أعلى البيوت، وينقبون عليهم السُّقُوفَ والحِيطَانَ، وأول المعركة صارت في ذُرَوان، ثم في البيوت التي حول الحرم، ولازالوا يَنْفِزون عليهم، ويهزمونهم، إلى أن حَصَرُواهم في القلعة، وقد أنزل اللهُ الحُوفَ والجُبْنَ على الوهايين في ذلك اليوم، مع شهرتهم بالشجاعة والإقدام.

وأما في هذه المعركة فكأنَّ الله رَبَطَ على أيديهم، حتى أنه صار المدنيُّ الواحدُ يقتل جملةً من الوهايين، وهم ساكتون لا يتحركون. وانهزموا وتشتَّت شملُهم، ودخلوا القلعةَ وانحصروا فيها، وأهل المدينة قَطَعُوا عنهم العين والأقوات، تركوها في بيوت أهل



المدينة؛ فطلبوا الأمانَ لأنفسهم، ونجوا إلى نجد، وتركوا القلعة مشحونةً بأموالهم التي نهبوها من العالم في مدة سنين، واستولى أهلُ المدينة على القلعة والأسوار وضبطوها، ودخل الأهالي المطرودون في المناخة إلى بيوتهم، وذلك سنة ١٢٢٩، فمنهم الذي وجدَ أمتعته منهوبةً، ومنهم الذي وجد أمتعةً زائدةً، أي أن الوهابيين نهبوا من بيت زيد وكان مقرهم في بيت عمرو، فنقلوا متاعَ زيد إلى بيت عمرو، وصار أهلُ الديانة منهم إذا وجدوا متاعاً غير متاعهم يُعرفونَ عنه إلى أن يجدوا صاحبه، وأقرَّ الله عيونَ أهل المدينة، بل وسائر المسلمين بفتح المدينة وإرجاعها إلى حوزة الدولة العلية.

وصار الكاشف يتعجب من قُوَّة إقدام أهل المدينة، ومن شدة هجومهم وتسلُّقهم على الوهابيين بطُرُقٍ مثل البهلوانية، إلى أن صار المدني يطلع على الوهابيين من وسط البئر، يعني أن البئر تكون مشتركةً بين بيتين، فيدخل المدني من البيت الآخر وينزل في البئر، ويصعد على الوهابيين من داخل البئر فينبهرون ويظنونه جنيًا؛ لأن أغلب عسكرهم بدوٌ همجٌ، لا عقولَ لهم، ولا معرفةَ عندهم، ولكن استُشهد كثيرٌ من أهل المدينة بمنَّ رزقه الله الشهادة في ذلك اليوم المبارك.

وكل هذا وأحمد طوسون باشا ما عندهم علمٌ بتلك المحاربات،  
ولا بالمحاصرة ولا بالألغام، ولا كان يتصور العقل أن سبعمئة رجلٍ  
يُحاربون عشرة آلاف داخلَ الحصُون والقلاع، ويُخرجونهم من  
حصونهم، وما أظنها إلا مُعْجَزَةٌ نبويةٌ لطرد هؤلاء البُغاة!

ولو عَلِمَ محمد علي باشا أن الأمر هكذا أسهل؛ ما كان جَهَّزَ  
نحو العشرين الألف عسكري من البحر والبر.

وكان السلطان محمود مُهْتَمًّا جدًا بأمر محاربة الوهابيين، ومُسْتَعْظِمًا  
جيوشهم، ولا يعتقد أن محمد علي باشا بعسكر مصر يَنْهَضُ بهذا  
الحمل الثقيل، حتى أن السلطان عزم على تجهيز جيشٍ آخر من طريق  
والي الشام، وجيشٍ ثالث من طريق والي العراق؛ ليتساعد الكل على  
طرد الوهابيين من الحرمين؛ لما كانوا يُشاهدونه ويسمعونه من قُوَّة  
الوهابي وِضْخَامَةِ جيوشه، وإِطَاعَةِ جزيرة العرب بأسرها له.

ثم إنه آل الأمر أن يَكْسِرَ جيشه سبعمئة رجلٍ - كما قدمناه -،  
ويُخرجونه من أعزّ الحصون لديه.

وبعد ذلك طارت النَّجَاجِيبُ<sup>(١)</sup> من المدينة بَرًّا وبحرًا بالبشارة إلى محمد علي باشا وإلى السلطان محمود من طريق مصر ومن طريق الشام، وأرسلوا أيضًا مَفَاتِيحَ الحُجْرَةِ إلى السلطان محمود؛ فتلقاها من أَسْكَدَارِ بالوكب والمباخر والعلماء والصلوات على النبي ﷺ، وصَنَعُوا زِينَةً في إِسْلَامْبُول، وأرسلت الدولة إلى كُلِّ ممالكها بهذه البشارة العُظْمَى، وصار يومُ خروج الوهابيين من المدينة عيدًا عند جميع الأمة المحمدية!

ثم بعد ذلك قَدِمَ أحمد طوسون باشا بجيشٍ فخيم عُرْضِيَّةً<sup>(٢)</sup> خارج المدينة، وأقبل الخَيْرُ والرَّخَاءُ على أهل المدينة، وأَبَدَهُمُ اللهُ بعد

---

(١) جمع نَجَّاب، وهو حامل البريد على جناح السرعة. أخذوه من «النَّجِيب»، وهو من الإبل القوي الخفيف السريع، فاصطلحوا على تسمية راحته الذي يحمل البريد نَجَّابًا، ثم سُمِّي كُلُّ مَنْ يَحْمِلُ بريدًا سريعًا: نَجَّابًا. (الخطيب).

(٢) أي مُعَسِّكْرَه، وهو تعريب (أوردو) أي المُعَسِّكْر. ولغة الأوردو المنتشرة في الهند معناها (لغة المُعَسِّكْر)؛ لأن الهند ليس لها لغة واحدة، بل تزيد لغاتها على ٢٥٠ لغة، وتولدت لغة الأوردو في المُعَسِّكْر الذي يجمع أُمَمًا ولغات، فنشأ عن تفاهمهم بِالْفَاطِ مِثْقَالِةٍ ومُشْتَرَكَةٍ، تولد لغةً جديدةً فيها أَلْفَاظٌ عربية وفارسية وهندية سموها «لغة الأوردو» أي لغة المُعَسِّكْر. (الخطيب).

العُسْرُ يُسْرًا؛ بسبب الذخائر المجلوبة مع عسكر المصريين، وتبدَّل الحُزْنُ بالفرح، والشِدَّةُ بالرَّخَاءِ، بعد ما صار أُرْدَبَ القمح بمئة ريال في مدة الحصار الأولى، أي عند تَمَلُّك الوهابيين للمدينة، وعند مُدَّة الحِصَار الثانية، يعني عند إخراجهم من المدينة.

وكان مدة تملك الوهابيين للمدينة سبع سنوات.

ثم إن السلطان محمود لم يكتفِ بهذا الفتح، بل أمر محمد علي باشا أن يَسْتَأْصِل مُلْك الوهابيين عن آخره، وأن يُبَيِّدَهُمْ وَيَمْحُو ذِكْرَهُمْ وَرَسْمَهُمْ من الدنيا، فحينئذ عَرَفَ محمد علي باشا أَنَّ ابْنَه طوسون لا يَسُدُّ في هذا المِهْم؛ فأمره بالرجوع إلى مصر، وأرسل أَسَدَ الديار المصرية، ابنه الآخر إبراهيم باشا، فجاء ومعه من عسكر الأكراد والأرناؤوط وعرب مصر الهوارة ما يَدُكُ بِهِ الجبال، وقصد نَجْدًا لِمُحَارَبَةِ عبد الله بن سعود، وذلك الحرب يطول شرُّه، ولا يَسْعُهُ هذا المختصر، وله تواريخ مخصوصةٌ به، إنما مُلَخَّصُهُ أَنَّهُ هَدَم الدَّرْعِيَّةَ، وقطع نخلها، وأسر عبد الله بن سعود، وأرسله إلى أبيه بمصر، وأبوه أرسله إلى السلطان محمود، وقد صَلَبَهُ السلطان!

وأما باقي عائلة ملوك الوهابيين المُعَبَّرَ عَنْهُمْ بِآل المُقْرِن، وباقي

بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب المُعَبَّر عنهم ببيت الشيخ، فإنه نقل  
الجميع إلى مصر، وأسكنهم هناك، ورَتَّب لهم معاشاتٍ تكفيهم.

وبيان أخبار الوهابيين على الإجمال<sup>(١)</sup> : لَمَّا أَسَرَ إبراهيم باشا عبد  
الله بن سعود، ونقله وعائلة المُلْك إلى مصر سنة ١٢٣٣: انفَلَت من  
يد إبراهيم باشا تُركي بن عبد الله بن سعود، وبقي مُتَنَقِّلاً مُسْتَتِراً من  
قرية إلى قرية، ومن قبيلة إلى قبيلة، والعساكر المصرية لازالت متشرةً  
في أرض نجد إلى سنة ١٢٣٩؛ فثار تُركي بن عبد الله بن سعود طالباً  
لِمُلْك آبائه، وتبعه جُمٌ غَفِيرٌ، ومَلَكَ نجدًا، وجدَّد مُلْك أسلافه،  
وطَرَدَ منها عسكرَ المصريين، وبقي في مُلْك نجدٍ عشرَ سنوات.

وفي أثناء تملكه قرَّ من مصر ابنه فيصل، ولحق به في نجد، ثم إنه  
ثار على تُركي ابنُ أخته مشاري، وهو من عائلة آل مقرن، وقتل  
خاله تركي بن عبد الله بن سعود، واستولى على إمارة نجد في ذي

---

(١) العنوان في طبعة الهند سنة ١٣٠٤ مُدرج مع ما قبله، وكلمة «بيان» التي  
في العنوان بأولها واو برسم «وبيان»، ولعلَّ أصل هذه الواو قوسٌ مما  
اصطلح المُختَصِر الحلواني على وضعه في أول زياداته، وسيأتي ما يدل  
على أن هذا الفصل من كلام الحلواني، فيكون خطا المطبعة الهندية  
أخطأ بجعل القوس واوًا. (الخطيب).

الحجة سنة ١٢٤٩؛ وبقي أميرًا على نجد أربعين يومًا، وكان إذ ذاك فيصل بن تركي معه جيشه غازيًا البحرين، فلما بلغه قتل أبيه رجع مُسرعًا إلى الدرعية، وحاصر مشاري ابن عمته، وقتله، وتسلطن فيصل بن تركي سنة ١٢٥٠، وبقي أميرًا على نجد إلى سنة ١٢٥٣.

ثم إن محمد علي باشا والي مصر خاف من رجوع دولة الوهابيين كما كانت؛ فأرسل جيشًا وعليه إسماعيل بيك، فلما وصل الجيش إلى الحوطة حاربه أهل الحوطة ومعهم عسكر فيصل؛ فانكسر إسماعيل بيك، وتشتت جيشه؛ فجهّز محمد علي باشا جيشًا آخر، ورأس عليهم خورشيد باشا، وكان من الدهاء ومعرفة الحروب وأساليبها على جانبٍ عظيم، فتوجه إلى نجد، ومَلَكه، وحاصر فيصلاً في بلدة تُسمى الخَرْج، وأرسله إلى محمد علي باشا بمصر، وبقي محبوسًا في قلعة الجبل، إلى أن هرب منها متدليًا بالحبال سنة ١٢٥٩.

وأما محمد علي باشا فإنه لما حبس فيصلاً: أرسل خالد بن سعود بن عبد العزيز أميرًا على نجد، وبقي أميرًا إلى سنة ١٢٥٧، ثم ثار عليه عبد الله بن ثنيان، وهو من آل المقرن أيضًا، وهو والد عبد الله باشا ابن ثنيان المُقيم الآن في إسلامبول.

ففرّ خالد هاربًا من الدرعية إلى الحِصَا، ومَلَكَ نَجْدًا عَبْدُ اللَّهِ بن ثنيان، وبقي أميرًا إلى سنة ١٢٥٩.

فلما رجع فيصل هاربًا من مصر المَرَّة الثانية، ووصل إلى جبل شَمْر: ساعده أميرُ جبل شَمْر عبدالله بن رشيد، إلى أن أوصله إلى عُيَيزَة من أرض القصيم، ثم وفد عليه قومه أفواجًا، وشكّل منهم جيشًا، وقصد الدرعية، وحاصرها علي ابن ثنيان ستة أشهر، فملكها وقتل عبدالله بن ثنيان، وبقي فيصل أميرًا على نجد من سنة ١٢٥٩ إلى سنة ١٢٨٣، وقد وَفَدَ عليه والدي<sup>(١)</sup> سفيرًا من طَرَفِ أمير مكة: الشريف عبد الله بن عون سنة ١٢٧٩.

وسببه أن فيصلاً منعَ خَراج الدَّوْلَةِ الذي كان مرتبًا عليه؛ فأرسل الشريفُ عبدالله والدي رحمه الله سفيرًا إلى فيصل؛ لَنُصَحِّه في إرسال الخَراج، فلما وصل والدي إلى فيصل أكرم نُزُلَهُ، ولاقاه بغاية التكريم والتبجيل، فحذّره والدي سَطَوَةَ الدَّوْلَةِ العَلِيَّةِ إذا

---

(١) نُرجّح أن المتكلم هو الشيخ أمين الحلواني، وأن سفيرَ شريف مكة إلى نجد: والده الشيخ حسن الحلواني، وانظر تعليقنا على أول هذا الفصل. (الخطيب).

التفتت إلى أحد، وأنه لا يُعْتَرَّ من سكونها ومن حِلْمها.

فَلَعَلَّه تَنَوَّرَ بتلك المواعظ! فإنه أرسل الحَرَّاجَ المرتَّبَ عليه.

وقد كتب والذي رحمه الله رِحْلَةً في سَفَرته هذه، بجميع ما رآه

من يوم خروجه من مكة إلى أن عاد إليها، نحو العشرة الكراريس.

ثم إن فيصلاً لما توفي سنة ١٢٨٣ ترك أولاداً؛ وهم: عبد الله

ومحمد وسعود، ولكنهم تنازعوا ووقع الفشل بينهم، قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمُوتَ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾، وبسبب منازعتهم مع

بعضهم تسلَّطت عليهم الدولة العليَّة، ونزعوا الحسا من يدهم، ولم

يَبْقَ في يدهم إلا بعضُ قُرَيَّاتٍ؛ مثل الدرعية والوشم وما والاها،

ومع ذلك فَتَسَلَّطُهم فيها رسميٌّ فقط.

وجمیع أخبار الوهابيين بعضه نقلته من تاريخ الشيخ عثمان بن

سند هذا، وبعضه تلقيته من أفواه مَنْ لقيتهم من المُعَمَّرِينَ من

أهل تلك الجهات.

واعلم أنه بقي لعائلة الوهابيين بقيةٌ في مصر، ظلُّوا فيها

برغبتهم؛ لأنه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر؛ مثل الشيخ عبد

الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي، وله أولاد؛ منهم: أحمد



الأجزجي<sup>(١)</sup>، وعبد الله، كاتب في قلعة الوجه، ومن الذين بقوا في مصر: أحمد ابن الشيخ عبد اللطيف بن حسن<sup>(٢)</sup> بن محمد بن عبد الوهاب.

وأما الشيخ عبد الرحمن المذكور؛ فقد أدركته في الجامع الأزهر يُدرّس مذهب الحنابلة، وكان شيخ رِواق الحنابلة سنة ١٢٧٣، وتوفي في عام ١٢٧٤، وكان عالماً فقيهاً، ذا سمّة حسنٍ، يظهر عليه التقوى والصلاح.

ولنرجع إلى أخبار ولاية بغداد<sup>(٣)</sup>:

ولما تولى الوزارة سليمان باشا القليل سار سيرة حسنة في أهل بغداد، ورغب في الفنون، وانكب عن الأبحاث الفلسفية التي كان مشتغلاً بها في أول عمره، ومنع العمال عن الرشا والهدايا، وكان يُعاقب على ذلك أشد العقاب، ويتجسس على من يفعلها. ومن حظي عنده بالتقرّب شيخنا وأستاذنا علامة العراق الشيخ

---

(١) أي: الصيدلي. (الخطيب).

(٢) الصواب: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن.

(٣) لعلّ هذا الموضع هو آخر كلام الشيخ أمين الحلواني. (الخطيب).

علي بن محمد السويدي<sup>(١)</sup>، ومن كمالاته أنه لما صدره ذلك الوزير ازداد تَوَاضُعًا خصوصًا للفقراء، ولولا الشيخ السويدي هلكت البصرة، وسببه أن متسلّمها كان ظالمًا جائرًا مُحَرِّبًا للأُملاك، مُنْفِرًا للزارعين، ولكن من فضل الله أنه كلما جار عليها من جهة؛ نرفع الأمر إلى الشيخ السويدي، فكان يمنعه بواسطة الوالي.

وسمعه يقول إنه عَبَّاسِيُّ النسب، وأفعاله دالّة على صحة نَسَبِهِ. ودخلت سنة ١٢٢٤: فيها غزا الوزير سليمانُ القَتِيلُ ديارَ بكر بجيشٍ عظيم؛ لتأديب آل الصَّفِير<sup>(٢)</sup> وقبيلةٍ من عنزة، كبيرهم

---

(١) هو حفيد السيد عبد الله بن الحسين السويدي (١١٠٤ - ١١٧٤) الذي قام بمؤتمر النجف في شوال سنة ١١٥٦، تحت إشراف نادر شاه، واعترف فيه مجتهدو الشيعة بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر، وولاية أصحاب رسول الله ﷺ. أما حفيده علي بن محمد بن عبد الله السويدي الذي تعرّض المؤلف لذكره؛ فإن له ترجمةً في "المسك الأذفر" للسيد محمود شكري الألوسي، وفي "غرائب الاغتراب" للشهاب الألوسي صاحب التفسير. توفي الشيخ علي السويدي بدمشق ليلة ٢٧ رجب سنة ١٢٢٧، ودُفِنَ في سفح جبل قاسيون. (الخطيب).

(٢) هم من قبائل نجد التي هاجرت إلى العراق في أوائل القرن الثالث عشر

==

الدَّرِيعِي، وكان خروجه من بغداد في الخامس والعشرين من محرَّم. فلما جاوز الموصل شَنَّ الغارةَ على أهل سِنْجَار فَصَبَحَ القريةَ المعروفة بالبَلَدِ، وَغَنِمَ وَقَتَلَ وَسَبَى، وَتَحَصَّنَ أَهْلُهَا بِثَنِيَّةٍ مِنْ ثَنَايَا سِنْجَارَ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا إِلَّا بِعُسْرٍ شَدِيدٍ، ثُمَّ تَوَجَّهَ الْوَالِي إِلَى آلِ الضَّفِيرِ وَالْعَزَازِيِّينَ؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَلَدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعَيْنِ -وهي كما في القاموس بَلَدٌ بَيْنَ حَرَّانَ وَنُصَيْبِينَ جَاءَهُ رَسُولٌ مِنْ رَئِيسِ عَسْكَرِهِ الَّذِينَ فِي مَارْدِينَ يَطْلُبُ مِنْهُ الْمَدَدَ وَيَسْتَصْرِحُ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ إِمْدَادِهِ بِنَفْسِهِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَ أَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ أَحْمَدَ بَيْكَ بِبَاقِي الْعَسْكَرِ إِلَى آلِ الضَّفِيرِ، وَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى

==

المجري، قال الأستاذ عباس العزاوي في كتابه "عشائر العراق" (١): (٢٩٥): (وهم في الأصل قبائل متعددة تضافرت وكوّنت مجموعةً تمكنت من المحافظة على كيائها. وقال: إن القسم الكبير منها يتجول في الجانب الغربي من الفرات بين الزبير وأنحاء السماوة). وقد رسمناها في ص ٨٨ بالطاء «الظفير» تبعاً لكتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد»، ثم عوّلنا هنا على تحقيق الأستاذ العزاوي. (الخطيب). قلت: وأبناء القبيلة - وهم أدرى بها - يختارون اسم الظفير. انظر: "تنوير المسير عن تاريخ الظفير"؛ للأستاذ عبدالله العسكر الظفيري.

قرية يُقال لها دَيْرُكَ حَاصِرَهَا؛ فأظهر أهلها الطاعةَ، وأدّوا ما عليهم من الخراج، وتوجّه منها إلى ماردين، ولما وصل قريباً منها جاءه أخوه من الرضاة أحمد بيك، وقد كَسَرَه آل الضَّفِير، وقتلوا من عسكره خلقاً كثيراً، فأراد الوزير الكَرَّة على آل الضَّفِير، ولكنَّ عَسْكَرَ الأكراد تخَلَّفُوا عنه، فلذلك نأى عن قتالهم في هذا الوقت، وانفتل راجعاً.

ولما وصل الموصل أقام في الموصل ثلاثة أيام، وبلغ الوزير أنَّ أكبر بني عبد الجليل أمراء الموصل الأقدمين أرادوا إخراج وزيرهم أحمد باشا، فأقام الوزير سليمان ليُصلح حال وزير الموصل، فاشتدَّ الحربُ بين والي بغداد وبين أهل الموصل، ثم إن والي بغداد لما رأى تَصَلَّبَ أهل الموصل وعَصِيَّتَهُمْ، ونظر إلى عسكره فوجدها لا تقدر على صدِّهم: تأخر عن الموصل مسافةً ساعتين، فلم يُمكن لوالي الموصل الاستقرار بعده، فلحق بالوزير سليمان باشا.

فلما أرادَ والي بغداد العود إلى بغداد: ترك مع أحمد باشا والي الموصل جملةً من عسكره ليشدُّوا أزره.

ولما وصل الوزير إلى بغداد: غَرَّب خازن داره عبد الله بيك، ونفى معه طاهر بيك إلى البصرة؛ لأُمورٍ نَقَمها عليهما.

ثم أرسل سليمان باشا الكردي مُسَاعِدًا لأحمد باشا والي الموصل، وكذلك أمرَ متصرّف العِمَادِيَّة زُبَيْر بيك أن يُرسل عسكريًا لمُساعدة والي الموصل، فلما تكاملت العساكر عند أحمد باشا والي الموصل أخذ يُحَارِبُ بني عبد الجليل؛ فنصره الله عليهم، وأسَرَ الأميرَ عثمانَ أحد بني عبد الجليل، ولما كَادَ أن يَتِمَّ الأمرُ لأحمد باشا ويملك الموصل؛ إلَّا وقد أصابته رصاصةٌ من بعض عسكر بني عبد الجليل، كانت فيها منيته.

ولما بلغ الوزير سليمان باشا قتلهُ أرسلَ أخاه من الرّضاة أحمد بيك الذي ولّاه حكومة البصرة بعسكرٍ ليحاصرَ الموصلَ، ويتنقم من الباغين على واليهم أحمد باشا، ولما وصل إلى إربل أمرَ بعضَ مَنْ معه من العشائر أن يُغيروا على بعض قرى الموصل.

ثم وجهت الدولةُ إيالةَ الموصل إلى الأمير محمود بن محمد باشا، أحد بني عبد الجليل، فقفلَ أحمد بيك من إربل، ودخلَ بغداد.

وفي سنة ١٢٢٥: بان للوزير سليمان باشا القتل أن سليم بيك متسلّم البصرة راسل الدولة العلية طالبًا ولاية بغداد وشَهْرَزُور والبصرة، فلما تحقق لديه ما بان: ضاقت عليه الأرض بما رَحُبَتْ؛

فراسل حمود بن ثامر طالبًا منه أن يُخْرِجَ سَليماً من البصرة، فتكاسل حمود عن ذلك ليتبين الحال؛ لأن سليم بيك أفهمه من قَبْلُ أَنَّ الرَّئيسَ أَقبل من طرف الدولة بعزل سليمان باشا، وتوجيه إيالة بغداد لي.

وقد قيل إن حمودًا متباطئًا مع المتسلّم في ذلك، فكان من قدر الله أن حمودًا لما استبطأ أوامر الدولة مع تَرادُفِ رُسل الوزير سليمان باشا إليه؛ قَرُبَ بجيشه من البصرة، وكان سليم بيك مُتَحَصِّنًا في المراكب، وله عسكرٌ أيضًا على أسوار البلدة وأبوابها، فاستنَهَضَ حمود سُكَّانَ بلدة الزبير من النجديين؛ فنهضوا معه وحاصروا البصرة مع بَرَعَش بن حمود، وخانَ بعضُ العسكر الدَّاخلِيَّينَ، وفتحوا أبواب السور؛ فَسَقَطَ في يَدِ سَليم، وبقي في المراكب أيامًا، ثم سلَّمها وسافر في مَرَكَبٍ إلى بلدة أبي شهر، وهي فرضة شيراز على الخليج الفارسي<sup>(١)</sup>.

---

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - : (هذه التسمية الباطلة - تاريخًا وواقعًا - من شعوبية فارس، فكيف يكون الخليج الفارسيّ وكلُّ ما يُحيط به أرضٌ عربيّةٌ من لحمة جزيرة العرب.. فلنقل: الخليج العربي). "مُعجم المناهي اللفظية" (ص ٢٤٩).

وفي تلك السنة: ورد بعد ما فَرَّ سَلِيمٌ: أحمد بيك أخو الوزير  
متسلِّماً للبصرة.

وفيها: ورد البصرة الشيخُ عليُّ بن محمد السويدي، أرسله  
سليمان باشا الوزير إلى حمود بن ثامر قبل فتح البصرة؛ لكونه من  
خواص الوزير المناصبين له، فكف الله به عن أهل البصرة ما عسى  
يتوقَّعون من حاكمها أحمد بيك؛ لكونه كان في غاية من سوء التدبير.

ولما ورد المتسلَّم المشار إليه البصرة جاءَ خَبَرٌ بوصول الرئيس إلى  
بغداد، وأنَّ معه فرماناً بعزل الوزير سليمان باشا، ولكنَّ الرئيسَ  
خاف من إظهار الخبر، لئلا يفتكَّ به الوزيرُ (لأنَّ وزراء بغداد  
الْكُومَان<sup>(١)</sup> ما كانت الدولة تَعَزِّهُمُ إِلَّا بِالْحِيلِ والمخاتلة؛ لشدة  
بأسهم وشرِّهم).

فلما خاف الرئيس من فتك الوالي به إن اطلَّع على أسرارهِ: فَرَّ  
هارباً إلى جهة الموصل، وصار يُكَاتِبُ المتصرفين القريب منه على  
تنفيذ أوامر السلطان.

---

(١) أي: الذين أصلهم مماليك. (الخطيب).

فأول مَنْ انتدب لمناصرته: عبد الرحمن باشا الكردي، وحشد معه أكراده، وسار مع الرئيس، ومعهم عسكر الموصل، ومعهم عبد الله بيك، وطاهر بيك، الذين كانوا منفيين إلى البصرة، ووصلوا بغداد ليُظهرُوا عزْلَ الوزير، ويُنفِّذُوا أوامرَ السلطان الواجبة الإطاعة.

فخرج الوزير بعسكرٍ ليقاتلهم، فترأى له أنه لا قبْلَ له بجيوشهم ففرَّ قاصداً حمودَ بن ثامر، شيخَ المتفق؛ ليحتميَ عنده، وليستعين به على مقاتلة جيوش الرئيس.

فمن الاتفاق العجيب أنَّه مرَّ في طريقه على قبيلة الدَّفَافِعَةِ، فنزل عند شيخهم ضيفاً، فلما بلغ صاحبَ البيت أنه مهزوم، غدرَ به وقتله! (إمّا طَمَعاً في سَلْبِهِ أو لِأَن يَجْعَلَهَا يداً عند الوالي الجديد)، وهذا عند العرب من أشر الخيانة التي تنفر منها طباعُهم، أي كون الرجل يخون ضيفه أو يغدر بجاره ويقتله وهو على فراشه، بل حتى أراذل العرب وقبيلة هُتَيْم لا يرضون على أنفسهم بمثل هذه الفضيحة التي تجرُّ الخِزْيَ والعارَ إلى الذرية فيما بعد<sup>(١)</sup> (ولهذا سُمِّي سليمان

---

(١) سبق إنصاف العلامة محب الدين الخطيب لقبيلة (هتيم)، التي يلزمها المؤلف.



باشا القتييل تَمَيِّزًا عن سليمان باشا الأول أبي سعيد، سَيِّد داود باشا)، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأُسكنه الجَنانَ، فإنه كان على جانبٍ عظيمٍ من الفضائل، وكان له مشاركةٌ في جميع الفنون، وكان يُحب العدلَ والإنصافَ، ولو خالف العاداتِ القديمةَ، وقد أخبرني الشيخ محمد أمين مفتي الحِلَّة<sup>(١)</sup> أنه اجتمع بسليمان باشا القتييل وصار بينهما مَبَاحِث ومناظرات تقضي بأن الباشا من أهل الفضائل والعلوم<sup>(٢)</sup>.

---

(١) هو الشيخ محمد أمين، الشهير بالمدرِّس، ابن الشيخ محمد صالح. وُلد سنة ١١٧٤، وتوفي سنة ١٢٢٦. له كتاب "النخبة في حل مشكلات صحيح البخاري" و "شرح على ألفية السيوطي في النحو" و "شرح شواهد ابن هشام على القطر". له ترجمة في "المسك الأذفر" (ص ٩٥-٩٦). (الخطيب).

(٢) أعجب شيء في النهاية المحزنة لحياة سليمان باشا: أن عزَّله كان خِلْسة، وبرسالة يحملها رسولُ جَبانٍ دساس، لم يجرؤ على مواجهة الوزير بها، وراح يُثير الفتن الدموية لإحداث حربٍ محلية في العراق. وأعجبُ من ذلك أن يكون لمتسلِّم البصرة الجاهل السيئ التدبير دخلٌ في حمل عاصمة الدولة على اتباع هذه الأساليب في تولية ولايتها وتنحيتهم، وثالثة الأثافي إسناد هذا المنصب لشخصٍ ليس له مؤهلات سابقة تدل على كفاءته

==

وفي سنة قتله تولى وزارة بغداد عبد الله بيك الذي كان منفيًا إلى البصرة، وجعل طاهر بيك نديمه وصاحب مشورته، فأوّل أمرٍ ابتدأ به أنها قتلا سليم بيك الذي كان متصرّف البصرة، ونسيًا إحسانه عليهما حين كانا منفيين في البصرة، وقد كان ورد له أمرٌ من سليمان باشا بقتلهما؛ فأرسل إلى الوزير وتشفع فيهما، فعفى الوزير عنهما.

ثم إن سليم بيك لما أضمر العصيان على سليمان باشا أعطاهما مالاّ جهاً، وهربهما من الحبس، وأرسلهما إلى بلاد الأكراد، وأرسل معهما مكاتيب توصيات في حقهما.

فلما وصلت إليهما وزارة بغداد سافر من الدورق وقصدهما في بغداد ليكافئاه على إحسانه، فما كان من مكافأتهما له إلاّ قطع رأسه!

ولكن في الأمثال "من أحيأ لثيماً أماته"، ولا بأس، فإن سليم بيك أيضًا هو كفر نعمة سيده سليمان باشا القتل، فما كان جزاء الغادر إلاّ العذر؛ فإن الذي سعى في عزل سليمان باشا هو سليم بيك، وهو الذي كان يُراسل الدولة سرًا، وله يدٌ طولى في التحريرات

==

لذلك. وهكذا كان حال الدولة العثمانية في زمن السلطان محمود، الذي وصفه المؤلف بأنه قمر الزمان وفحل بني عثمان! (الخطيب).

التُّرْكِيَّة؛ حتى جاء الأمرُ بعزل سليمان باشا، وجَرَّ ذلك العزلُ إلى قتله غدراً عند الدَّفَافِعة - كما مر ذكره - .

ولمّا تولى عبد الله باشا وزارة بغداد أعطى قيادَه ورَسَنَه لعبد الرحمن باشا الكردي، ف وقعت بينه وبين الرئيس فتنةٌ، قُتِلَ فيها من أهل البلدِ مَنْ أَدْخَلَ رأسَه فيها.

ثم دخلت سنة ١٢٢٦: وما حدث فيها من الأمور المهمة ما يجب ذكره، (ليت شعري ما مراده بالمهمّة ؟ هل المهمّة عنده أو عند عموم الناس ؟ وإلّا كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أن مملكةً جسميةً مثل العراق يمضى عليها سنةٌ ولا يقع فيها حروب وفتن وحوادث مهمة ؟).

ودخلت سنة ١٢٢٧: فيها غزا عبد الله باشا الوزير ديارَ عبد الرحمن باشا الكردي؛ لخروجه عن الطاعة، وتقاتلا بعد المصادقة والمُصَافَاة، لكن هكذا عادةُ العَالَمِ الوَحْشِيِّينَ المُسْتَبِدِّينَ، الذين لا ينضبطون لا بقانونٍ ولا بشرع، فإنه لا ثبات لمودّتهم ولا لعداوتهم، والتقى الجيشان في بلدة كُفْرِى -بضم الكاف وسكون الفاء، كما هو دائرٌ على ألسنة العوام - .

ومِنَ تَرَيَسٍ في جيش الوزير في هذه المقاتلة: داود باشا المترجم

لَهُ هذا التاريخ، فاشتد القتال بين الفريقين أيامًا، إلى أن كانت الهزيمة على عسكر عبد الرحمن باشا الأكراد، وقُتل خالد بيك أخو عبد الرحمن باشا، وهلك أكثر رؤساء الأكراد الذين حضروا في تلك المعركة، وتشتت شملهم، إلى أن انتهوا إلى كِرمَان شاه من بلاد العجم، وعسكر الوزير طاردون في أثرهم، وعمل الوزير من رؤوس القتلى مَنَائرَ؛ لِيُؤدَّنَ عليها طيرُ النصرِ بِحَيٍّ على خير العمل! (وبناءً منارة من رؤوس القتلى كانت عادةً عند المتقدمين لِيُرهبوا بها العدو)، وشتت الله الأكرادَ لبغيهم، وعلى الباغي تدور الدوائر، ومكث الوزير ثلاثة أيامٍ في محل المعركة، ثم توجه إلى كركوك، ومنذ وصلها حبسَ متسلّمها خليل بيك ابن صاري مصطفى، وقاضىها عبد الفتاح أفندي، وجماعة من الأعيان، وشاطئًا شيخ شَمَر، وثلاثة رجالٍ من كبار عشيرته.

وتوجّه إلى إربل قاصدًا تنكيلَ والي الموصل سعد الله باشا؛ لتخلفه عن مساعدة الوزير، ولمراسلاته مع عبد الرحمن باشا الكردي. ولمّا بلغ سعد الله باشا والي الموصل توجّه الوزير إليه لمحاربته: استقبله واعتذر منه؛ فقبل عُذْرَه وعفى عنه، ورجع الوزير إلى بغداد.

ولما وصل الجديدة بلغه أن سعيد باشا ابن سليمان باشا الأول  
فرّ من بغداد إلى حمود بن ثامر، والتجأ إليه لئيساعده على ولاية بغداد؛  
لأنّ آل المنتفق كانوا هم ملجأ العصاة والفارين من الحكومة.  
وفرّ سعيد باشا في التاسع عشر من رجب.

وفي أول ذي القعدة خرج الوزير عبد الله باشا بجيش يؤمّ حمود بن  
ثامر، وأرسل إلى حمود بأن يُسلّمه سعيد باشا؛ فأبى حمود وقال: إنّ  
الموت دون تسليم جاري، فزحف عليه الوزير بجيشه، فلما وصل  
أرض المنتفق عبّر من غربيّ الفرات على الجزيرة، فوافقه على محاربة  
حمود شيخ ربيعة مشكور، وكان طليعة جيش الوزير، فأول من لاقاه  
صالح بن ثامر، فتقاتل مع مشكور الربيعي؛ فقتل مشكور، وانفلّ  
قومه، ومع ذلك حمود يُكاتب الوالي ويتّرضاه ببذل ما صرفه على  
العسكر على أن يرجع الباشا عنه وعن ضيفه، والوزير يأبى ذلك.

وقد كان قبل هذا عزل حمودًا عن إمارة بني المنتفق، ونصب  
مكانه نجمًا بن عبد الله بن محمد بن مانع، أخا ثويني المتقدم الذكر.

ولما وقع بين صالح بن ثامر وبين مشكور الربيعي ما وقع، وقتل  
مشكور: زحف الوزير عبد الله باشا بعسكره إلى أن نزل قريبًا من

عرب المُتَفِق، وعند ذلك ضاق حمودٌ وأتباعه ذرعاً، مع أنه عالمٌ أنَّ رؤساءَ عسكر عبد الله باشا كلهم غرُسُ نعمة سليمان باشا أبي سعيد هذا، وأنَّ قُلُوبَهُم تَهَوَّاهُ وتميلُ إليه؛ لكونه ابن سيّدِهِم، ولكن لم يثق حمودٌ بمراسلتهم له، وانشبك القتال بين الفريقين، واستحرَّ القتل والتَحَمَّتْ الأبطال ببعضهم وتعانقوا، وطُعِنَ بَرَعُشُ بن حمود بن ثامر، بعد ما رَوَى سِنَانَهُ من الأبطال، وحَمَلَ عَلِيُّ بن ثامر وقتَلَ نَجْمًا ابن عبد الله، المنصوب الجديد.

ولمَّا كادت عشيرةُ حمود تولي الأدبار، انهزم آلُ قَشَعِمٍ من جانب عسكر الوزير، فقويت شوكة بني المُتَفِق، وذهب مَنْ مَعَ عبد الله باشا من محبي سعيد باشا إلى بني المُتَفِق، فسُقِطَ في يد عبد الله باشا وطاهر بيك ومن معهما؛ فطلبوا الأمانَ من حمود، فأعطاهم الأمانَ، ولكن لم يَفِ لهم به فيما بعدُ؛ فَإِنْ عَشِيرَةُ حمود نهبت العسكر، ولم تُبْقِ لواحدٍ منهم ما يستر به عورَتَهُ، ولا يَسُدُّ به رَمَقَهُ.

واشتدَّ الكَرْبُ على العسكر فأمرَ حمودُ بأَسْرِ عبد الله باشا وطاهر بيك وثالثًا معهما، وربطهم في الحديد والسلاسل، وأمرَ أن يذهبوا بهم إلى السوق (هو القرية المعروفة بسوق الشيوخ)، وحبسوهم هناك.

ولما مات بَرْغَش بن حمود من تلك الطعنة التي طَعَنَهَا خَنَقَهُمْ  
 راشدُ بنِ ثامر - ثلاثتهم -، وَبَعْدَ مَا قُبِرُوا نُبِشُوا فَقُطِعَتْ رُؤُوسُهُمْ!  
 هذا؛ وما فَعَلَ بِعَبْدِ اللَّهِ بَاشَا وطاهر بيك عقوبةٌ لهما؛ إذ قَتَلَا  
 سليم بيك ظُلْمًا بَعْدَ مَا مَنَعَ عَنْهُمَا الْقَتْلَ - كما مر ذكره -، وبعد أن  
 حَلَفَا لَهُ وَعَاهَدَاهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ هُوَ الْوَزِيرَ، وعبد الله بيك الكتخدا،  
 وطاهر بيك هو الخازندار، نعوذ بالله من الخيانة والغدر، ﴿فَمَنْ  
 نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

ولما حصل على الوزير ما حصل، وتشتت الجيش شَذَرَ مَذَرَ،  
 وَقُتِلَ الْوَزِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بَاشَا وَكَتَخَدَاهُ طَاهِرُ بَيْكٍ، وفي الحقيقة هو جيش  
 الدولة العليّة؛ لأن الوزير ما هو إلا أَحَدُ خُدَّامِ الدَّوْلَةِ، أَخَذَ حَمُودٌ فِي  
 الْغُرُورِ وَالطَّيْشِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ، بحيث لم يَبْقَ عِنْدَهُ لِأَمِيرٍ وَلَا  
 لَوْزِيرٍ حُرْمَةٌ وَلَا اعْتِبَارٌ، وصار أمرُ سعيد باشا بيده؛ كالطفل في يَدِ  
 وَصِيَّةٍ، ولهذا أعطاه سعيد باشا ما في جنوب البصرة من القرى جميعها،  
 وهو يقارب ثلث إيراد العراق؛ فَضَحِكَ لآلِ الْمُتَتَفِقِ الزَّمَانُ،  
 وَأَطَاعَهُمُ الْحَاضِرُ وَالْبَادِي، وقصدهم الشعراءُ من جميع النواحي،  
 وَأَجَازُوا بِجَوَائِزَ وَلَا بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكُنْتَ لَا تَسْمَعُ فِي الْمَجَالِسِ إِلَّا

صفاتهم ومدحهم بما هو زائد عن حدّهم، بل من حدّ الملوك.

ثم إن حمودًا بعدما نظّم أمور سعيد باشا: توجّه معه إلى بغداد بجيوش المتنفّق، فكتب سعيد باشا الدولة العليّة، فتوجّهت إليه إيالة بغداد وشهرزور والبصرة، فلما انتظمت أمور الوزير رجع حمود إلى مقرّه، ولكن لا زال زمام سعيد باشا بيد حمود، وهو الذي يُسيّره ويُدبّر أموره، ولا يفعل سعيد باشا جزئيةً ولا كليتةً إلا لما يستأذن من حمود بن ثامر على فعلها أو تركها.

هذا أحوال الوزير، وأمّا أحوال بني المتنفّق؛ فإنهم طغوا وبغوا وامتدّت يدُ النّهب منهم على سائر الأمم، خصوصًا على البصرة، فإن بعض المتنفّق يدخلون بيوت أهل البصرة نهارًا فضلًا عن الليل، يأخذون كلّ ما تصل إليه أيديهم، ويبيعونه في السوق جهارًا نهارًا، وصاحبُه يراه ولا يقدر يتكلّم، وكلُّ من اشتكى إلى حمود من بعض رجال المتنفّق لا يُصغي إلى الشاكي؛ لأن عادة حمود نصرّة الظّالم، ولكن كلّ هذا من سعيد باشا الذي سلّم المُلْكَ لِمَن لا يقدره حقُّ قدره.

ومّا نَقِمَ النَّاسُ به على سعيد باشا إعطاءه هذه الأراضي الطويلة



العريضة لحمود، بغير مالٍ ولا خراج، وهذا تضييعٌ لممالك الدولة العليّة.

ومما نَقِمُ الناسُ به على سعيد باشا تَصْدِيرَهُ حمد ابن أبي عَقْلَيْنِ، وإِعْرَاضَهُ عن تدبير مُلْكِهِ بنفسه، وتسليم أزمّة الأمور إلى هؤلاء الأعراب الجُفَاءة.

تولى سعيد باشا ابن سليمان باشا الأول سنة ١٢٢٨.

وفي سنة ١٢٢٩: جعل الوزير سعيد باشا كِتْخدا ورئيسَ عسكره: داود باشا، ذا الفضائل والكمالات التي تعجز عن وصفها الأقلام؛ فَنَهَد داود باشا بأمر الوزير سعيد باشا لغزو بعض الأعراب العاصين على الحكومة، وهم خُزَاعَةُ وَزُبَيْد وَشَمَّر وآل الصَّفير، فإنهم منعوا الخراج، ونهبوا القُرَى، وقطعوا السبيل؛ حَتَّى أَن بَعْضَهُمْ حاصر كَرَبْلَاءَ، مَدَفَنَ سيدنا الحسين رضى الله عنه، وكان إِذ ذَٰكَ في كَرَبْلَاءَ نحوُ الأربعين ألفاً من زُوار العجم، وفيها حَرَمُ شاه العجم، أتت للزيارة.

فلما بلغ الوالي فسادُ العُربان حَوْلَ كَرَبْلَاءَ: خاف أن يُصيب الزُوارَ صَرَرٌ، فيرجع عليهم شاه العجم بالحربِ والويل، وتلوّمهم

الدولة العليّة على إهمالهم في الأحكام، حتى آل الأمر إلى هذه الحالة السيئة.

فتوجه داود باشا بعسكر جرّار، ونزل الحلة، وصارت بينه وبين العصاة حروب؛ فانكسر العصاة وتشتوا في القفار، فأرسل بعض عسكره إلى كربلاء؛ لتأمين الزوار، ولحقّر الزوار من كربلاء إلى النجف، ثم من النجف إلى بغداد، بعد قضاء وطريهم إلى أن يقفلوا إلى بلادهم آمنين.

ثم توجه الكتخدا داود بعسكره إلى أرض خوزاعة، وفي أثناء الطريق عزل شيخ زبيد، وأقام مقامه شفلح بن شلال، وألزمهم بمحافظة الطريق، ثم استدعى بآل وادي، وبعد مجيئهم إلى عسكره عاقبهم على مساوئهم القديمة، وشنّ الغارة على أهاليهم، وغنم مواشيهم، وسار إلى أن نزل بإزاء الديوانية، مقرّ العشيرة الخوزاعية الروافض.

ثم دخلت سنة ١٢٣٠: فلما طار صيت داود باشا في الآفاق، ورأوا منه أفعالاً ما عهدوها من ولاية بغداد، ولا من أمرائهم، من الشجاعة والنصح للأمة، وعدم الطمع فيما في أيدي الناس، مع

العِفَّةَ وَالصِّيَانَةَ وَالِدِيَانَةَ وَالْأَمَانَةَ، وَلَا تَسْمَعْ لَدِيهِ رَشْوَى وَلَا هَدِيَّةَ،  
وَلَا تَسْمَعْ بِالظُّلْمِ فِي جَيْشِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَسْكَرِ عَارِفٌ حَدَّهُ  
وَوَظِيفَتَهُ لَا يَتَعَدَّاهَا، وَإِنْ اشْتَرَى الْعَسْكَرُ شَيْئًا مِنَ الْأَعْرَابِ يَنْقُدُونَ  
لَهُمْ ثَمَنَهُ قَبْلَ اسْتِلامِهِ، بِخِلَافِ رُؤَسَاءِ الْعَسَاكِرِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ،  
فَإِنْهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْقُرَى كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَهُ بَغَيْرِ  
ثَمَنِ، وَالْفَضْلُ لَهُمْ!

ومع هذه الحروب ترى داود باشا مشغلاً بالعلوم مع تلامذته  
في السفر والحضر.

فلما عرف العربُ هِمَّةَ الكتخدا داود: طَلَبُوا الْأَمَانَ مِنْهُ، وَعَلِمُوا  
أَنَّهُ لَا يُخَلِّصُهُمْ مِنْهُ إِلَّا الْأَسْتِقَامَةُ وَالْإِصْلَاحُ؛ فَأَعْطَوْا مَا لَزِمَهُمْ مِنَ  
الْخَرَاجِ - وَالشَّفَلَحَ كَعَمَلَسَ، اسْمٌ لِلْفَرْجِ، عَلَّمَ مَنْقُولَ، سُمِّيَ بِهِ شَفَلَحَ  
الزُّبَيْدِيِّ، وَهُمْ قَبِيلَةٌ مِنْ مَذْجِ رَهْطِ عَمْرُو بْنِ مَعْدِي كَرِبِ الزُّبَيْدِيِّ -.

وفي سنة ١٣٣١: قُتِلَ بُنْيَاهُ ابْنُ قُرَيْنِسِ الْجَرَبَا الطَّائِي، مِنْ بَنِي  
طِي قَوْمِ حَاتِمِ الطَّائِي الْجَوَادِ الْمَشْهُورِ، الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، وَأُتِيَ  
بِرَأْسِهِ إِلَى الْوَزِيرِ سَعِيدِ بَاشَا، - وَبُنْيَاهُ بَضُمَ الْمَوْحِدَةَ وَفَتْحَ النُّونَ  
وَتَشْدِيدَ الْيَاءِ التَّحْتِيَّةَ وَهَاءَ تَأْنِيثَ - مِنْ رِجَالِ الْعَرَبِ وَفُرْسَانِهَا

وكرمائها، وله كَعَمَّةٌ فَارِسِيَّةٌ - أَيَّامَ الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - أَهْبَةُ عَظِيمَةٌ،  
وَصَدَارَةٌ وَشَجَاعَةٌ، يُحَاكِي بِهَا فَارِسَ النَّعَامَةِ<sup>(١)</sup>، وَأَمَّا الْكَرْمُ فَهُوَ  
الْبَحْرُ الْخِصْمُ، وَأَمَّا مَنَعَ الْجَارِ، فَهُوَ فِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنْهُ، وَالنَّاسُ  
يَحْذُونَ حَذْوَهُ فِيهِ، وَأَمَّا غَضُّ الطَّرْفِ عَنْ جَارَاتِهِ، فَكَانَ فِيهِ الْبَنْتُ  
الْعُذْرَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَأَمَّا النَّسَبُ، فَهُوَ مِنْ أَشْرَافِ طَيْ، قَبِيلَةُ حَاتِمِ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي.

وَاعْلَمْ أَنَّ بُنْيَةَ الْجَرْبَا عَبْرَ مِنَ الْجَزِيرَةِ لَغَرْبِ الْفَرَاتِ عِنْدَمَا تَوَلَّى  
وِزَارَةَ بَغْدَادَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ لِأَنَّ بَيْنَ عَمِّهِ فَارِسٍ وَآلِ عُبَيْدِ بْنِ الْحُمَيْرِيِّينَ مِنْ  
الضَّغَاثِ، لِأَسْمَاءِ أُمِيرِهِمْ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَاوِي  
الْحُمَيْرِيِّ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَّى زِمَامَ أُمُورِهِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا بَيْنَ قَاسِمِ  
وَفَارِسِ الْمَذْكُورِ مِنَ الضَّغَاثِ؛ لَمْ يَسْتَقِرْ بُنْيَةُ فِي الْجَزِيرَةِ، فَنَزَلَ  
بِعَشِيرَتِهِ عَلَى خُزَاعَةَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، لِيَكْتَالَ، وَكَانَ بَيْنَ الدَّرِيعِيِّ  
الْعَزَازِيِّ الرَّوْلِيِّ وَبَيْنَهُ ضَغَاثٌ؛ فَاقْتَفَى الدَّرِيعِيُّ أَثَرُ بُنْيَةٍ، وَنَزَلَ قَرِيبًا  
مِنْهُ، وَأَرْسَلَ إِلَى حُمُودِ بْنِ ثَامِرٍ، فَاسْتَنْفَرَ؛ لِأَنَّهُ صَدِيقُ الدَّرِيعِيِّ، فَفَرَّ

---

(١) هو: الحارث بن عباد (ت ٥٠ قه)، صاحب القصيدة الشهيرة: قَرَّبَا  
مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي، فِي حَرْبِ الْبَسُوسِ. وَالنَّعَامَةُ فَرَسُهُ.

بِفُرْسَانِ عَشِيرَتِهِ لِمُسَاعَدَةِ الدَّرِيعِيِّ، وَخَرَجَ عَسْكَرُ الْوَزِيرِ سَعِيدَ  
بَاشَا، وَكَبِيرُهُمْ قَاسِمُ بْنُ شَاوِي، وَمَعَهُ عَفَّارِيَةُ عُقَيْلِ النُّجْدِيِّينَ،  
وَهُمْ مِنْ عَسْكَرِ الْوَزِيرِ إِذْ ذَاكَ؛ لِمُسَاعَدَةِ مَنْ يَحَارِبُ بُنْيَةَ، فَقَامَتِ  
الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، وَبُنْيَةُ يَكْرَهُ عَلَى الْفُرْسَانِ، كَأَنَّهُ الْأَسَدُ.

فِينَمَا هُوَ يَطْرُدُ بِفَرَسِهِ إِلَّا وَجَاءَتْهُ رِصَاصَةٌ كَانَتْ فِيهَا مَنِيَّتُهُ.

### فصل: في سبب خروج داود باشا من بغداد، وتوليته رئيساً على العراق:

اعلم أن الوزير سعيد باشا لم يزل داود باشا ساعياً له بالتأييد  
والنجاح والنصح والصلاح، مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة،  
حتى كادَ يَعْطِبُ وَيَهْلِكُ مِنْ أَسْبَابِ نُصْحِهِ؛ فَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ  
الْأَعْدَاءَ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ دَاوُدَ بَاشَا مُتَيَقِّظًا، وَيُنْبِهُ الْوَالِي دَائِمًا عَلَى دَسَائِسِهِمْ،  
دَاخَلَهُمُ الْحَسَدُ، وَأَرَادُوا إِتْلَافَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا فِي جَهْدِهِمْ، وَنَصَبُوا لَهُ  
حَبَائِلَ الْغَدْرِ وَالْفِتَنِ، بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ  
وَاللَّهُ مُتِمِّتُ نُورِهِ﴾.

وَتَحَمَّلَ هَذَا الْخَطَرَ الْعَظِيمَ شُكْرًا؛ لِإِلَآلِهِ سَلِيمَانَ بَاشَا عَلَيْهِ  
مِنَ النِّعَمِ.

ولمَّا اشتدَّ غيظُ الحُسَّاد والأعداء لِدَاوُدَ: فَهَمُّوا الوَزِيرَ أَن مَقْصِدُ دَاوُدَ بَاشَا قَتَلُكَ؛ لِيَلِيَ وَلَايَةَ بَغْدَادَ بِالرَّاحَةِ بَعْدَكَ! خُصُوصًا وَالْعَسَاكِرَ جَمِيعُهَا فِي قَبْضَةِ دَاوُدَ، وَمَطِيعَةً لَهُ، وَمُنْقَادَةً لِأَوَامِرِهِ، وَأَتَوَابِمْ شَهِدَ عِنْدَ الْوَزِيرِ مِنْ خُدَّامِ الْوَزِيرِ أَنَّ دَاوُدَ بَاشَا أَوْعَدَنِي بِكَذَا مِنَ الذَّهَبِ إِنْ قَتَلْتُ أَفْنَدِينَا، وَأَنَا لِنُصَحِّي لِأَفْنَدِينَا وَحُبِّي لَهُ نَبَهْتُهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ كَمَا قَالَ لِي قَالَ لَغَيْرِي مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ؛ فَالْحَذَرُ يَا أَفْنَدِينَا أَسْلَمَ!

فَجِئْتُ دَاخِلَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ سَعِيدَ بَاشَا مِنْ دَاوُدَ، وَدَبَّرَ مَعَ مُشِيرِيهِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى قَتْلِ دَاوُدَ، بِأَنَّهُمْ يُحْضِرُونَهُ لِمَشُورَةٍ؛ فَيَقْتُلُونَهُ، إِمَّا خَنْقًا أَوْ صَبْرًا.

فَبَلَغَ دَاوُدَ بَاشَا جَمِيعَ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، فَعَزَمَ عَلَى الْفِرَارِ، وَالْخُرُوجِ خَارِجَ بَغْدَادَ؛ لِيَكْتَفِيَ شَرَّ سَعِيدَ بَاشَا، وَيَنْعَزِلَ فِي أَحَدِ الْجِبَالِ الْمُحَصَّنَةِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ أَمْرُ اللَّهِ.

فَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَتْلُو: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَنُزُلًا مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وَذَلِكَ فِي ١٢ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١٢٣١، وَعُمُرُ دَاوُدَ إِذْ ذَٰكَ أَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

وَلَمَّا وَصَلَ كَرْكُوكَ، وَمَعَهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ نَحْوُ الْمِائَتَيْنِ: رَاسَلَ

الدولة العليّة، وكشفَ لها عن سُوءِ سِيَرَةِ سعيد باشا، وشنّاعةِ سياسته،  
وتقليدهِ أزمّةِ الممالكِ المُهمّةِ لأعرابِ البادية، أهلِ الظلمِ والعُشامةِ،  
الذين ديدَنُهم النّهبُ والسّلبُ، وهو فخرُهم في مجالسهم!  
وكان داود باشا باقعةً في التحريرات التركية والعربية والفارسية،  
ينظم وينثر في الثلاث اللغات، ويشهد له فصحاءُ كلِّ من الثلاث  
اللغات بأنه إمامٌ فيها.

فلما بلغت رسائلهُ إلى الدولة: تَحَيَّرُوا من فصاحتها وبلاغتها،  
وما اشتملت عليه من الأمور السياسية؛ فعلموا أن الذي يكتب مثل  
هذه التحريرات هو الجديرُ بالرياسة، وهو الأحقُّ بأن يتولى زِمَامَ  
السياسة (وكان الاصطلاح في القرون الماضية عند الدولة العليّة أن  
مَقَادِيرَ الرّجال تُعرَفُ بمقدار تقدّمهم في الكتابة والتحريرات  
والأسئلة والأجوبة المُسدّدة)، خصوصًا وداود باشا له سابقةُ أيادي،  
ومعرفةٌ مع كبار رجال الدولة، وهو مشهور ومعروف عندهم بأنه  
هو الأليقُّ لهذا الأمر من غيره من منذ عشرين سنة، ولكن الأمور  
مرهُونةٌ بأوقاتها، والحبُّ الذي لا يَتِمُّ دَفْنُهُ في أرضِ الزّراعة، فلا  
يُحسنُ نباتُهُ ونَتاجُهُ.

فما كان من الدولة العليّة إلّا أنّها أرسلت الفرمانَ العالِي الشّأن،  
الواجبَ الإطاعة على كل إنسان إلى داود باشا، ومضمونه عزلُ  
سعيد باشا عن ولاية بغداد، وتوليةُ داود باشا بدّله.

فلما وصل الفرمانُ إلى داود باشا قرأه على مجّمع من وجوه  
دولته علنًا، ثم أرسل صورته إلى حمود بن ثامر؛ لأنّه هو المُقيمُ المُقيّدُ  
في أرض العراق إذ ذاك؛ لأجل أن يُصدّق بعزل سعيد باشا، ويرتفع  
عنه الشكوكُ والأوهام، خصوصًا وهو الذي كان مضادًا لداود  
باشا، وبسبب إفساده ومكره خرج داود باشا من بغداد.

فلما وصلت صورة الفرمان إلى حمود بن ثامر طرّحها وأهملها؛  
فتعجّب قومه من إهماله لهذه المسألة، فنصحوه وقالوا له: إنّ أمرَ  
السُّلطان واجبُ الإطاعة، وإنّ مخالفة أوامر الدولة أمرٌها وخيمٌ،  
وعاقبتها سُوءٌ، وإنّ الأمرَ منوطٌ بك، فمتى امتثلت أنت، فسعيد  
باشا في الحقيقة ما هو إلّا تابعٌ لرأيك، فالأولى أن تنصحه بترك  
القتال؛ لأنّ خصمه رجلٌ مُطاعٌ، ولو قدِمَ وحده بمُفرده على العراق  
يملكه بدهائه وعقله وحسن سياسته، فما بالك لو جرّ معه عسكريًا من  
الأكراد وغيرهم وقدِمَ إلى بغداد؟ فمن الذي يُعَارِضه؟ والأهالي  
جميعًا يُحبونه كمحبة الولد للوالد.



فلَمَّا أَكْثَرَ عَلَى حَمُودِ النَّصَائِحِ أَعْمَامُهُ وَإِخْوَانُهُ وَأَوْلَادُهُ؛ لِأَجْلِ  
حَقْنِ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ، قَبِلَ مِنْهُمْ رَأْيَهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَى سَعِيدِ بَاشَا،  
وَنَصَحَهُ بِتَرْكِ الْقِتَالِ، وَالِامْتِثَالِ لِأَوَامِرِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ؛ فَأَبَى سَعِيدُ  
بَاشَا أَنْ يَقْبَلَ كَلَامَ حَمُودٍ وَنَصِيحَتِهِ؛ لِمَا غَشَّوْهُ بِهِ أَرْبَابُ مَشُورَتِهِ الْخَوْنِ،  
الَّذِينَ مَا مَقْصَدُهُمْ مِنَ الْحَرْبِ إِلَّا نَهْبُ الْأَمْوَالِ وَادِّخَارُهَا لَهُمْ مِنْ  
مَصَارِيفِ الْعَسَاكِرِ وَالْحُرُوبِ.

وَكَانَ حَمُودُ بْنُ ثَامِرٍ مَعَهُ قَوْمُهُ نَازِلِينَ حَوْلَ بَغْدَادَ، فَلَمَّا رَأَى  
مُخَالَفَةَ سَعِيدِ بَاشَا لَهُ، عَرَفَ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِمُقَابَلَةِ دَاوُدَ بَاشَا وَلَا  
بِعَسَاكِرِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُنَازِعُ مَنْ دَوْلَتُهُ مُقْبِلَةٌ؛ فَفَرَّ هَارِبًا، وَرَجَعَ إِلَى مَقَرِّهِ  
وَوَطْنِهِ، وَأَسْلَمَ سَعِيدَ بَاشَا لِلْهَلَاكِ.

فَأَمَّا دَاوُدُ بَاشَا فَإِنَّهُ كَانَ مَعَهُ شَرِذْمَةٌ قَلِيلَةٌ نَحْوَ الْأَلْفَيْنِ مِنَ  
الْأَكْرَادِ، وَلَكِنْ لِكُونِهِ هُوَ الْمُدْبِرُ لِأُمُورِهِمْ ارْتَجَبَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ.

فَلَمَّا قَارَبَ بَغْدَادَ ثَارَ الْأَهَالِي عَلَى سَعِيدِ بَاشَا، وَأَرَادُوا إِخْرَاجَهُ  
مِنْ بَغْدَادَ، فَدَخَلَ الْقَلْعَةَ وَتَحَصَّنَ فِيهَا هُوَ وَاتِّبَاعُهُ، فَأَرْسَلَ أَهَالِي بَغْدَادَ  
إِلَى دَاوُدَ بَاشَا أَنْ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ، وَهَذَا الْبَلَدُ بِلَدُكَ  
بَلَا مُعَارِضٍ وَلَا مُنَازَعٍ.

فدخل بغداد بعد الظهر خامس ربيع الثاني سنة ١٢٣٢، وهَنَّاهُ  
الشعراء، ووفد عليه العلماء والفضلاء؛ لأنه هو الذي كان يَعْرِفُ  
مَقَامَهُمْ، إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ ذَوُوهُ؛ حيث أنه منذ الهجرة  
الإسلامية إلى يومنا هذا ما سُمِعَ أنه تولى العراق أعلم من داود باشا.  
فلما استقرَّ في بغداد: حَمَدَتِ الشرورُ والفتنُ، وَأَمِنَتِ الطُّرُقَاتُ  
بنفسها؛ لعلمهم أَنَّهُ ظهر الذي يُعاقب المجرمين، ويُحسِن للمحسنين،  
فرَفَعَ أَهْلَ الفضائل والعلوم، ونَفَّذَ أوامرَ الدولة بقتل مَنْ أَمَرُوا  
بقتله.

فَمِمَّنْ قُتِلَ بعد استيلاء داود باشا سعيدُ باشا الوزير السابق،  
وكان قَتَلَهُ على غير مراد الوزير داود باشا.

وفي سنة ولاية داود باشا على العراق: توجهت العساكر السلطانية  
المصرية إلى نجد لمحاربة الوهابيين، ولتدميرهم وإخلاء البلاد منهم،  
وذلك أن السلطان محمود -نصره الله- أَمَرَ محمد علي باشا والي مصر  
بأن يُجهز عساكره إلى نجد، يَسْتَأصل شأفة الوهابيين، ويمحو بدعتهم.  
فأرسل محمد علي باشا ابنه إبراهيم باشا، ووصل المدينة قبل  
ولاية المترجم، وبقي إلى أن دخلت سنة ١٢٣١ فأغَارَ في أولها على

الرسّ ومَلِكها، ثم إن عبد الله بن سعود جمع جميع ما عنده من القوة والرجال، فكانت زُهَاءً أربعين ألفاً من فُرسان العرب ومُجَرَّبِيهَا في الحروب، فَمِنْ شُؤْمِ عبد الله بن سعود أنه أغَارَ على عرب حَرْبٍ، الذين حوَلَ المدينة نحو الحناكية؛ فزرع العداوة معهم - كما هي عادته مع سائر القبائل -.

وكان قريباً منهم الأميرُ أوزُون<sup>(١)</sup> علي الأُرْفَلِي الكردي، ومعه نحو المِئتين وخمسين خَيْالاً من فُرسان الأكراد، والمشهورين بالهجوم، فهجم أوزُن علي بعسكره القليلة في الظاهر، الكثيرة في المعنى، ودخل بخيله في وسط مقدمة عسكر عبد الله بن سعود، ولحقه عربُ حَرْبٍ، مساعدةً له؛ لما ذاقوه من عبد الله بن سعود من النَّهب والسَّلب، واشتغل رصاص الأكراد على عرب ابن سعود مثل المطر، وذهمُّوهم مثل القَضَاءِ المُبْرَمِ، فمَسَافَةً ما يفكُّ الوهابي بُنْدُقَه من جِرابها ويُولع الفتيلة، يكون قد أصابه خُمُسُ رصاصاتٍ، أقله!

---

(١) أوزون بالتركية بمعنى الطويل، أي علي الطويل، والأورفلي نسبة تركية إلى مدينة (أورفة) التي كانت تسمى (الرَّها) من أرض الجزيرة في شمال حلب، بين الموصل والشام الشمالية، وهي الآن داخل حدود الترك. (الخطيب).

فما مضت برهة من الزمن إلا وقد انكسر مقدمة عسكر عبد الله بن سعود، ورجع القهقري، وأخبرني من شاهد تلك الواقعة أن عسكر أوزن علي، لولا أنهم اشتغلوا بجزّ الرؤوس؛ لكانوا أفنّوا منّا نصفنا؛ لما دَخَلْنَا من الرُّعب والخوف من اسم السُّلطان، ومن اسم التُّرك، ومن صوت السِّدَافِ!

فمن هذه الواقعة استسهل إبراهيم باشا محاربة الوهابيين، وعرف أنهم لا طاقة لهم بمقابلة الرصاص والنار، إنما هم ناسٌ يُجَارِبُونَ بالرماح والسيوف على الطرز القديم، وشجاعة رجالهم في هذا المعنى فقط، ومعهم بعضُ بَنَادِقٍ بالفتيل، وجودها كَعَدَمِهَا.

فلما رجع عبدُ الله بن سعود مَكْسُورًا؛ تَحَصَّنَ في عُنْيَزَةٍ، ونزل عسكرُه حولها من أرض القصيم وأرسل واستنفر من بلدانه جميع المجاهدين على زعمه.

وإبراهيم باشا نازلٌ في الرس بعسكره، فاتفق مرةً أن نحو الألفين فارسيٍّ من عساكر ابن سعود أغاروا على طليعة من عسكر إبراهيم باشا، وقتلوا منهم، ونهبوا بعض خيلهم؛ فبلغ الخبرُ إبراهيم باشا؛ فأرسل وراءهم صُقُورًا من خيَّالته الأكراد، والهَوَّارة أولاد

علي، والبراءعص والجوازي عرب مصر المغاربة؛ فلحقوهم وقتلوا من عرب ابن سعود ما ينوف عن الخمسمئة - كما أخبرني به من حضر الواقعة -.

فلما رأى ابن سعود أنَّ قومَه لا قِبَلَ لهم بمحاربة الأسلحة الجديدة النارية، والمدافع؛ رحل من عُنَيْزَة، وقصد الدرعية؛ لأنهم كانوا يُسمونها دار الهجرَة.

فرحل إبراهيمُ باشا خلفه، وقصد عُنَيْزَة، فلما أناخ حولها: أطاع جميع أهلها، إلا قصرًا فيها يُسمى قَصْر الصِّفا، شاهق البناء، مُحْكَمَة، كان مُتَحَصِّنًا فيه عسكرُ ابن سعود، المُعَبَّر عنهم بالمُرَابِطِيَّة، فلما دعاهم إبراهيمُ باشا إلى الطاعة، وامتنعوا، ظنًّا منهم أنَّ حِصْنَهُم ينفعهم، فرمى عليهم بالمدافع، وهدمَ الحِصْنَ على رؤوسهم؛ فطلبوا الأمانَ منه، فأعطاهم أمانًا على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم، ووفى لهم به.

ثم إن إبراهيمَ باشا ارتحل من عُنَيْزَة، ونزل بُرَيْدَة، وأطاع صاحبُها بغير حَرْبٍ، واسم صاحبها حُجَيْلَان - بضم الحاء وفتح الجيم - أَحَدُ بني عَلَيَّان - بضم العين وفتح اللام وتشديد المثناة -

قبيلة من تميم<sup>(١)</sup>.

وحُجَيْلان هذا من ذوي الرأي والدَّهَاءِ، وأخبرني مَنْ أقام معه في بُرَيْدَةَ سَنَيْنَ، أيام حكم الوهابيين، فرأى حُجَيْلان في الظاهر اعتقدَ اعتقادَ الوهابيين، ويُبْطِنُ خلافَه، وكان إذا رأى الغريبَ المسافرَ يقولُ له: اُبْعِدْ عَنِّي يا المُشْرِكُ! يا المنافقُ! (ولكن هم ينطقون بالكاف من مخرج الجيم الفارسية، وكذلك القاف، ينطقون

---

(١) هو الأمير: حُجَيْلان بن حمد بن عليان، العنقري التميمي، ينتمي إلى عشيرة آل أبوعليان من العناقر من قبيلة تميم. كان أحد قادة أُلوية الدولة السعودية الأولى المُخلصين منذ عهد الإمام عبد العزيز بن محمد وابنه سعود، وحتى عهد الإمام عبد الله بن سعود. وبعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ أخذهُ إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة، وكان شيخاً طاعناً في السن، فمات فيها عام ١٢٣٤هـ.

ترجم له الشيخ محمد بن ناصر العبودي ترجمةً موسَّعةً في "معجم أسر بريدة" (١/٨٦-١٨٩)، وقال عنه: (وكان حُجَيْلان بن حمد سديدَ الرأي، مأمونَ النقيبة في الحرب، وقد ازدهرت بريدة في عهد إمارته ازدهاراً عظيماً)، (وحُجَيْلان تصغير حجلان، وهو الحُصان المُحَجَّل). وانظر عنه: رسالة "بريدة في عهد إمارة حُجَيْلان بن حمد آل أبو عليان"؛ للباحث: عمرو بن إبراهيم العمرو، و (جريدة الرياض - العدد ١٦٠٤٢).

بها من مخرج الزاي) ويُرسل له سِرّاً المأكَل والمشارب والتَّتن!  
 وكان يرى أن حالة الوهابيين في نشر بدعتهم، هي كحالة المجانين؛  
 لشدة جهل عُمَّاهم، وشناعة الألفاظ التي تصدر عنهم؛ فيوافقهم في  
 الظاهر، ويُحارب معهم، وهو يبغضهم أشدَّ البُغض في الباطن!<sup>(١)</sup>  
 ولترجع إلى أخبار داود باشا والي بغداد المَجْعول له هذا التاريخ:  
 وفي أوَّل عامٍ من وزارته: أطاعه جميعُ القبائل والعشائر إلَّا آل  
 دُليم؛ فإنَّهم عَصَوْا وارْتَكَبُوا الفسادَ، فلما رأى عَدَمَ إِذعانهم إلى  
 الطاعة: عزم على غزوهم، فأرسل إليهم عسكراً، ورئيسُهم كَتَّخْداه  
 محمد بيك، الذي عصى عليه فيما بَعُدُ - كما سيأتيك بيانه -.

---

(١) هذا من افتراءات ابن سند على واحدٍ من رجالات الدولة السعودية،  
 التي كانت شجىً في حلقه وأمثاله من أهل البدع، وقد أحالها على  
 مجهول!! ومن المؤسف أن يعتمد هذا الهُراء: الشيخ عبدالرزاق البيطار  
 في ترجمته حُجَّيلان في كتابه "حلية البشر" (١/٤٥٨)!  
 وقد جاء في "دليل الخليج" للوريمر: (حُجَّيلان أقوى رجلٍ في القصيم،  
 كان مُخلصاً في ارتباطه بقضية الوهابيين). انظر: "تاريخ البلاد السعودية  
 في دليل الخليج"؛ للدكتور محمد بن سليمان الخضير (ص ١٦٦).

وفي سنة ١٢٣٣: لَمَّا قَرَّبَ الكِتْخِدا من عرب الدِّلِيم، وَجَدَهُم  
تَحَصَّنُوا فِي الْآجَامِ وَالْأَهْوَارِ، فَحَاصَرَهُمْ، وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَصَارُ  
طَلَبُوا الْأَمَانَ وَالْعَفْوَ مِنَ الْوَزِيرِ، فَمَنَحَهُ إِيَّاهُمْ بِشَرْطِ أَدَاءِ الْخَرَجِ  
الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ، وَأَنْ يُعَاهِدُوهُ بِأَنْ لَا يَرْجِعُوا إِلَى الْعَصِيَانِ، وَلَا  
يُعَاوَنُوا عَاصِيًا، وَاسْتَوْفَى جَمِيعَ الْأَمْوَالِ، مَوَاشِيًا مِنْ إِبِلٍ وَخَيْلٍ، ثُمَّ  
انْعَطَفَ الْكِتْخِدا عَلَى الْجَرْبَا، وَأَخَذَ مِنْهُمْ خَمْسَمِئَةَ بَعِيرٍ، نَكَالًا،  
عَوْضًا عَنْ مَا نَهَبَهُ مِنَ الْجَدِيدِينَ، وَتَأْدِيًا لَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى النَّهْبِ  
وَالْغَارَةِ.

ثُمَّ فِي مُنْعَطَفِ الْكِتْخِدا وَرَجُوعِهِ أَغَارَ عَلَى آلِ يَسَارٍ، وَنَكَّلَهُمْ  
أَيْضًا، جَزَاءً لَهُمْ لِكَوْنِهِمْ أَغَارُوا عَلَى بَعْضِ الْقَبَائِلِ، حَيْثُ أَنَّ الْبَاشَا  
الْوَزِيرَ أَمَرَ أَمْرًا عَامًّا بِمَنْعِ الْغَزْوِينَ الْأَعْرَابِ، وَإِبْطَالِ الْعَادَاتِ  
الْقَدِيمَةِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْعُرْبَانِ مِنْ غَزْوِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَهُمْ  
مُسْلِمُونَ!

وَهَذَا تَقْلِيدٌ مِنْهُ لِأَحْكَامِ الْوَهَابِيِّينَ، بَلْ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الشَّرْعُ  
الْمُحَمَّدِيُّ، لَا تَقْلِيدٌ لِلْوَهَابِيِّينَ.

وَرَجَعَ الْكِتْخِدا إِلَى الزَّوْرَاءِ بِالْغَنَائِمِ، وَرَدَّعَ كُلَّ سَالِبٍ مُخَاصِمٍ.



ثم سنة ١٢٣٣: نهّد إبراهيم باشا المصري من بُرَيْدَة القصيم عازمًا على قتال ابن سعود في درعيته، فكان في طريقة كل قرية تُساله يُصالحها على الأمان وكل قرية تُحاربه يملكها قهراً، ويُحرّبها.

فمن القرى التي حاربت إبراهيم باشا: القرية المعروفة بشقراء، مقرّ بني زيد، فرماهم بأطوابه التي هي مثل الصواعق، تهدم كل ما صادفته وتُحرّقه، فطلبوا الأمان بعدما هدم سورهم وقصورهم، فمنحه إياهم، ومن كان فيها من أهل الدرعية لم يتعرض لهم بشراً، بل أذن لهم أن ينصرفوا إلى درعيتهم، ولم يبال بتقويتهم لبعضهم، وهكذا كان يفعل في كل قرية حاصرها وأخذها قهراً، وكان ديدنه أنه كلما فتح قرية عنوة لم يتعرض لها ولا لأهلها بأذية، ولم ينهب أموالهم، ولا عسكره تنوّس أعراضهم بسوء، بل كان يكتفي منهم بمجرد الطاعة فقط.

ثم ارتحل من شقراء قاصداً العارض، فمرّ في طريقه على قرية يُقال لها ضَرَمَة؛ فحاربتة أيضاً؛ لأن فيهم جملة من آل سعود، فصبّ عليهم من مدافعه نبذة، فهدمها، وأذعنت له القرية ومن فيها بالطاعة، وعاملهم كمعاملة من قبلهم، ثم رحل عنها ونزل حول العارض -

بلدة مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب<sup>(١)</sup> -، فحاصرها، وقطع نخْلها، ودمّرها،  
وملكها، وشتت رجال الوهايين في الصحاري والقفار، وأخذ سلطانها

---

(١) ما علاقة مسيلمة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ؟  
وهل يُذم المسلم بسبب وجوده في أرضٍ كان فيها كفر أو مشركون أو  
مرتدون؟ إذن؛ فليذم ابن سند جميع بلاد المسلمين، حتى مكة!  
وما أحسن ما قاله الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن - رحمه الله - في  
رده على شبّه لابن سند:

«وَمَنْ عَابَ السَّاكِنَ بِالسَّكْنَى وَالْإِقَامَةَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ، فَقَدْ عَابَ  
جُمْهُورَ الْأُمَّةِ، وَسَبَّهَمُ، وَأَذَاهُمْ بَغِيرَ مَا اكْتَسَبُوا، وَقَدْ دَاوَلَ اللَّهُ الْأَيَّامَ بَيْنَ  
الْبَقَاعِ وَالْبِلَادِ، كَمَا دَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَالْعِبَادِ.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

وكم من بلدٍ قد فُتحت، وصارت من خير بلاد المسلمين، بعد أن كانت  
في أيدي الفراعنة والمشرّكين، والفلاسفة والصابئين، والكفرة من المجوس  
والكتّابيين؟! بل الحُرْبَةُ التي كانت بها قبور المشرّكين صارت مسجداً  
هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام؛ ودُفِنَ بها أفضل المرسلين،  
وسادات المؤمنين.

ولا يعيب شيخنا بدار مسيلمة إلا مَنْ عَابَ أئمة الهدى ومصابيح الدُّجَى  
بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر الميين، وطَرَدَ هذا القول جراءةً  
على النبيين وأكابر المؤمنين». "مصباح الظلام.." (ص ٣٦٨-٣٦٩).

عبد الله بن سعود بن عبد العزيز أسيرًا مغلولاً، هو وعائلته، ما عدا تركي بن عبد الله؛ فإنه فرّ من يد إبراهيم باشا -كما قدمناه-، وأرسله إلى المدينة ليُفرَّجَ عليه الناس الذين قَتَلَ آبَاءَهُمْ وإِخْوَانَهُمْ بِالْأَمْسِ!

ثم أَمَرَ بِإِرساله إلى مصر لوالده محمد علي باشا، فوصل إلى مصر، ومحمد علي باشا أرسله إلى السُلطان محمود، وقتله السُلطان.

وفي تلك السنة: أرسل داود باشا عسكريًا من طَرَفِ العراق، ومَلَكُوا الحَسَا من أيدي الوهابيين، وذلك أَنَّ الوزير داود باشا أرسل محمدًا وماجدَ ابْنَيْ عَرَعَرِ الخالدي الحُمَيْدي، وأرسل معهما عسكريًا ومعهما قبائلهما الذين كانوا فارّين من الوهابيين، وقَطَنُوا العراقَ أيامَ غزو علي بيك على الحَسَا.

فقدِموا على الحَسَا، وفتحوها، وفتحوا القَطِيفَ، وطَرَدُوا منه الوهابيين، وكان ذلك قبل فتح إبراهيم باشا الدرعية.

فلما ملكَ إبراهيم باشا الدرعية: وَسَّوسَ له بعضُ الوهابيين، وحَسَّنَ له مُلْكَ الحَسَا<sup>(١)</sup>، وأخبره بما فيها من الأموال والنخيل

---

(١) لعلَّ الذين حَسَّنُوا لإبراهيم باشا فتح الحَسَا كانوا يرون أَنَّ حكومة العراق باقيةٌ مهمًّا تغير وزراؤها، لا سيما وقد وُسِّدَ أمرُ الحَسَا إلى الخالدين أصحاب

وَالزَّكَّاتِ، الَّتِي كَادَتْ أَنْ تَحَاكِيَ بَعْضَ بِلَادِ النَّيْلِ.

فَأَرْسَلَ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا عَسْكَرًا مِنْ طَرَفِهِ، وَمَلَكَوْا الْحَسَا مِنْ يَدِ  
الْحَالِدِيِّينَ الْمُؤَمَّرِينَ مِنْ طَرَفِ دَاوُدَ بَاشَا، وَلَكِنَّ أَهْلَ الْحَسَا لَمْ  
يُجَارِبُوا عَسْكَرَ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا، بَلْ سَلَّمُوا لَهُمُ الْبِلَادَ بِالرَّاحَةِ، وَقَالُوا:  
إِنَّ الْبِلَادَ بِلَادُ السُّلْطَانِ، وَحَيْثُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا هُوَ خَادِمُ السُّلْطَانِ،  
فَلَا حَاجَةَ إِلَى مُحَارَبَتِهِ وَسَفْكَ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ سَبَبٍ، فَدَاوُدَ بَاشَا  
وإِبْرَاهِيمَ بَاشَا وَنَحْنُ، كُلُّ مِنَّا سَاعٍ فِي خِدْمَةِ هَذَا السُّلْطَانِ الْمُعْظَمِ  
الْمَنْصُورِ الْمُؤَيَّدِ.

وَكَانَ الْأَمِيرُ عَلَى الْحَسَا مِنْ طَرَفِ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا اسْمُهُ عُثْمَانُ  
كَاشَفَ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى دَاوُدَ بَاشَا، وَأَنَّ عَامِلَهُ رُفِعَتْ يَدُهُ عَنْ  
الْحَسَا، سَكَتَ وَقَالَ: إِنَّ الْأَوَّلَى أَنْ يَشْرَبَ الْعَاقِلُ مِنْ أَعْلَى النَّهْرِ.  
فَرَأَسَلَ دَاوُدُ بَاشَا الدَّوْلَةَ الْعَلِيَّةَ، وَطَلَبَ مِنْهَا كَفَّ يَدَيِ إِبْرَاهِيمَ  
بَاشَا عَنْ الْحَسَا، وَإِرْجَاعَهَا تَحْتَ إِطَاعَةِ الْوَالِي الْعِرَاقِ دَاوُدَ بَاشَا.

==

الدَّعْوَى الْقَدِيمَةُ بِالْحُكْمِ عَلَيْهَا. أَمَّا حُكْمُ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا فَعَمَلٌ عَسْكَرِيٌّ يَنْتَهِي  
وَيَزُولُ، فَتَعُودُ الْحَسَا إِلَى النُّجْدِيِّينَ بِزَوَالِهِ. وَلَعَلَّهُمْ أَيْضًا أَرَادُوا أَنْ يُؤْخَذُوا  
مَنْ يُوَاجِهُونَهُ، فَذَلِكَ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُتَعَدِّدًا. (الْخُطِيبُ).

فحالاً أرسل السلطان محمود فرماناً إلى محمد علي باشا أن يُرسل إلى ابنه إبراهيم باشا بأن يُخلي الحسا وأطرافها والقطيف، ويُسلمها إلى مأموري داود باشا والي العراق.

فلما وصل الخبر إلى إبراهيم باشا امتثل الأمر بأسرع من البرق، وأمر عسكره بالرجوع إلى الدرعية، وتسليم الحسا إلى مأموري داود باشا.

(واعلم أن أخبار الوهابيين ذكرناها متفرقة تبعا للمصتف، وكان الأولى أن نضم الأشباه إلى أمثالها، ولكن وجدنا الاتباع أولى<sup>(١)</sup>).

وفي هذه السنة: نزلت قبيلة الصُقُور من عَزَّة غربي المُسَيَّب؛ للاكتيال والميرة، فشرعوا في التَّعَدِّي والفساد، والإغارة على بعض القرى، كما هي عادة الأعراب مع أهل الحضر، فلما بلغ الوزير داود باشا أفعالهم: أرسل إليهم عسكراً ورئيسهم يحيى بيك خازن داره، وهو غلامٌ شابٌّ، لم يُجرب محاربة الأعراب.

فسار بعسكره إلى أن رأى خيام الأعراب، هجم عليهم من غير

---

(١) المتكلم هو الشيخ أمين الحلواني، صاحب المختصر. (الخطيب).

تَعْبِيَّةٌ لِلْعِسْكَرِ؛ فَصَدَمْتَهُمُ الْأَعْرَابُ أَشَدَّ صَدْمَةٍ، وَقُتِلَ مِنْ عِسْكَرِهِ  
جَمَلَةٌ، وَانْكَسَرَ بِعِسْكَرِهِ.

ولما بلغ الوزير هذه الكسرة: أرسل له مكتوبًا بالرجوع، والخيرةُ  
في الواقع، وأوعده أنه إن شاء الله سيغزوهم ويأخذ منهم الثار.

ولما حصل ليحيى بيك ذلك الانكسار: عصا وطغا مشكورُ  
الشمري الزويني، وقطع السبيل، ظنًا منه أن كسر يحيى بيك يُحدثُ  
وهنا بشوكة الوزير داود باشا.

فأرسل الوزير عسكريًا ثانيًا، ورئيسهم محمد بيك الكتخدا، فسافر  
مُسْرِعًا وَصَبَّحَ شَمْرًا؛ فوجدهم قد فرّوا لما علموا بقدوم عسكر الوزير  
إليهم، تاركين لأموالهم ومواشيهم؛ فغنمها الكتخدا، وكان فيها ثمانية  
آلاف شاة، وأكثر من مئتين من الإبل، ورجع إلى بغداد منصورًا.

ودخلت سنة ١٢٣٤: فيها أرسل الوزير عسكريًا ورئيسهم صالح  
أغا الكردي إلى النجف؛ لأنه بلغه أن هناك أعرابًا أخذت في الإفساد،  
فأرسله إلى تأديبهم.

وفي ذلك اليوم: أرسل الكتخدا ومعه عسكرٌ إلى عِفْكَ وَجُلَيْحَةَ  
وَالصُّقُور؛ فإنه بلغه عنهم عصيان، فلما وصل العسكر إلى ذي

الكِفْل ورد عليه حَمْدَان بن قُعَيْشِش وابن هَذَا ابن أَخِيهِ فَوَّاز،  
وخَمْسَةُ عَشْرَ رَجُلًا مِنْ كِبَارِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ؛ فَلَمَّا رَأَاهُم الْكَتَخْدَا أَمَرَ  
عَلَيْهِمْ فَكَبُّوا فِي الْحَدِيدِ، وَأُرْسِلُوا إِلَى بَغْدَاد.

وَأَمَّا صَالِحُ آغَا الْكُرْدِيِّ فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَ الْمَشْهَدَ: تَقَاتَلَ مَعَ ابْنِ دُبَيْسٍ  
وَعَرَبِهِ، فَقَتَلَ ابْنَ دُبَيْسٍ وَرَجُلًا آخَرَ مِنْ كِبَارِ الْعُصَاةِ، وَقَطَعَ رَأْسَيْهِمَا،  
وَأَرْسَلَهُمَا إِلَى الْوَزِيرِ فِي بَغْدَادِ؛ فَهَدَّاتِ الْفِتْنُ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعِرَاقِ.  
ثُمَّ أَرْسَلَ الْكَتَخْدَا خِلْعَةَ التَّوَلِيَةِ عَلَى عَرَبِ النَّجَفِ إِلَى مُحَمَّدِ  
ابْنِ طَاهِرٍ؛ فَقَبِلَهَا وَلَبَسَهَا.

وَبَلَغَ الْكَتَخْدَا أَنَّ ابْنَ هَذَا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ حُرَيْمِيسٍ مِنْ عَنَزَةٍ  
أَقْبَلَا مَعَ قَوْمِهِمَا لِيَكْتَالُوا؛ فَأَمَرَ شَيْخُ خُزَاعَةَ وَالْبُجَيْعِ أَنْ يُغِيرَا عَلَى  
ابْنِ هَذَا وَمَنْ مَعَهُ؛ فَأَغَارُوا عَلَى ابْنِ هَذَا وَرَبْعِهِ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ  
بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمًا كَامِلًا مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ، ثُمَّ كَانَتْ الْغَلْبَةُ  
وَالْهَزِيمَةُ عَلَى ابْنِ هَذَا؛ فَوَلَّى الْفِرَارَ.

وَأَمَّا الْعَسْكَرُ فَنَزَلُوا بِالذِّيَوَانِيَةِ، وَاشْتَغَلُوا بِنَصْبِ الْجَسْرِ.  
وَجَاءَ شَيْخُ خُزَاعَةَ وَعَرَبُهُ إِلَى الْكَتَخْدَا، وَعَبَرُوا جَمِيعًا إِلَى  
الْيُوسُفِيَّةِ الْحَائِلَةِ بَيْنَ جُلَيْحَةَ وَعِفْكَ، وَبَيْنَ عَسْكَرِ الْوَزِيرِ، فَحِينَتْهُ

غزا الكتخدا وخزاعة جليحة وعفكا لخروجهم عن الطاعة، فبعض  
العصاة قرؤا هارين إلى الفيافي، وبعضهم دخل قلعتهم، وتحصنوا  
فيها، وتسمى قلعة سُخَيْر.

فحاصرها الكتخدا، فلما هَجَمَ الليلُ أيقن العصاة أنه متى طلع  
النهار يهدم القلعة عليهم بالأطواب؛ فقرؤوا في الليل مع عيالهم،  
وتركوا أموالهم وذخائرهم؛ فلما طلع الصُّبح، وعَلِمَ الكتخدا  
بهروبهم: دخل القلعة ونهبها، ثم هدمها، ومحا أثرها، وكتب إلى الوزير  
داود باشا بجميع ما حصل، وذلك بعدما سدَّ اليُوسُفِيَّة سداً مُحْكَمًا،  
وانتظم أمرُ تلك الناحية.

ثم ألبس المشايخ الطائعين، والتزموا بأداء خمسين ألف درهم،  
وعين لاستيفائها منهم شيخ خزاعة، وجعل على السد بعضاً من  
عسكر عُقِيلِ النجديين، وبعضاً من عسكر اللاوُند الأكراد، ورجع  
إلى بغداد منصوراً مُؤَيِّداً، وذلك بهمة الوزير داود باشا؛ فألبسه  
الوزير خِلعةً من السَّمُور<sup>(١)</sup>.

---

(١) فروثمين، يُتخذ من جلد حيوان يُسمى السَّمُور.



ثم دخلت سنة ١٢٣٥: وفيها عصت قبيلة آل دُليم<sup>(١)</sup>؛ فأرسل الوزير لها الكتخدا بعسكر، فلما سمعوا بقدوم العسكر نزلوا الأهوار والأغيار، وتحصّنوا فيها، ولكن الكتخدا لم يُبالِ بهم، وهجم عليهم بين الغابات، واستحر القتل بين الفريقين يوماً كاملاً، وبعده تشتت العصاة وانهزموا، وتركوا أموالهم وذراريهم، بل أكثر العصاة غرقوا في الفرات؛ فأرسل الكتخدا نجّاباً مُبشّراً بصورة الحالة إلى الوزير؛ فرد عليه الوزير جوابه ومدّحه وأثنى عليه، وأهدى له سيفاً.

وبلغه أن قبيلة زوبع وجميلة وآل عيسى وقرية شفائي لم يؤدوا خراجهم؛ فعطف عليهم بخيله ورجله، فبعضهم انهزم إلى البادية، وبعضهم بقوا في أماكنهم، وأدّوا الخراج كاملاً، وطلبوا العفو، فعفا عنهم الكتخدا.

ثم استأذن من الوزير في الرجوع إلى بغداد؛ فأذن له، ورجع.  
وفي تلك السنة: سكن محمد باشا بن خالد باشا كركوكاً بأمر الوزير، وجعلها دار إقامة، ولكن خدامه صاروا يُسيئون المعاملة مع

---

(١) أكثر ما كان يُسمى في ذلك العهد عصياناً هو تلكؤ القبائل في دفع الإتاوات المضروبة عليها، كما في الخبر الآتي بعد. (الخطيب).

بعض فقراء كركوك، فبلغ الوزير ذلك؛ فأرسل أوامره أن يزجر خُدَّامه، فلم يفعل؛ فغضب عليه الوزير، وأمر متسلِّم كركُوك موسى آغا أن يُقيِّد محمد باشا في الحديد؛ فقيَّده موسى آغا امتثالاً لأمر الوزير. فلما تحقَّق خُدَّامُه تكبيلَه بالحديد: أحاطَ منهم ثلاثمئة بالحبس، وكَسَرُوهُ، وأخرجوا سيِّدَهم من الحبس؛ فخرج وقصد الفِرارَ إلى ديار العجم.

فحين بلغ داود باشا ما فعله محمد باشا: أمر على أبيه خالد بتكبيله في الحديد، وكذا على ابن عمه سليمان بن إبراهيم باشا.

فلما بلغ محمد باشا ما صار على أبيه وعلى ابن عمه من جريمته: ندم على ما فعله هو وخُدَّامُه، ولم يذهب إلى العجم، وأرسل إلى الوزير يطلبه العَفْوَ؛ فعفا عنه، وأطلق أباه وابنَ عمه، وأمره بالنزول في كركوك؛ بشرط أن لا يتعدَّى خُدَّامُه لا على غنيٍّ ولا على فقير، ورتَّب لأبيه بعضَ معاشٍ لِيَقْتَاتَ منه، وأخذ عليهم العهود بأن لا يرتكبوا المفاصدَ بعدها (إلى متى هذه العهود والصفح والحلم الذي لا ينشأ عنه إلا زيادَةُ الشرِّ والفساد، ويكثر منه قُطاع الطريق والبغاة؟).

وفي تلك السنة: خُتِنَ يُوْسُف بيك، ابن الوزير داود باشا، فعملَ

له فرحاً لم يَعْهَدْ مثله أهل العراق، وهَنَوهُ الشعراء من جميع الآفاق، وأجاز كلاً على قَدَر مقامه.

ثم دخلت سنة ١٢٣٦: وفيها أرسل السلطان محمود -نصره الله- خمسة عشر مِدفَعاً من الطرز الجديد بجميع آلاتها وأدواتها هديةً إلى الوزير داود باشا، صُحبة مصلح الدين بيك، أحد رجال السُلطان؛ فأمر كَتَخذاه وبعضَ رجال دولته بأن يستقبلوها من قبل أيام؛ فدخلت بغداد بهيئةً وأُبهةً جميلة، وأدخلت الفرَحَ على سائر المسلمين؛ لتمكّن المحبة والمودة بين السُلطان وبين ولاته.

ثم أمر الوزيرُ بِادخالها القلعة، وأكرم الذي جاء بصُحبتِهما.

واعلم أن محمد باشا الكردي ابن خالد باشا بعدما عفا عنه الوزير: رجع إلى الإفساد وظلم العِبَاد، والنَّهْب والسَّلب، وفَرَّ إلى بلاد العجم (لأنها هي مأوى كُلِّ عاصٍ وكُلِّ شقي)، والتجأ إلى والي كِرمَان محمد علي خان القَجَرِي، وصار يُغَيِّرُ على بلاد الدولة وقرأها، ثم يرجع إلى محمد علي خان في كِرمَان.

فحبس الوزيرُ أباه خالداً؛ ليمنعه عن اللُّحوق بولده في ديار الرفض؛ ثم تبين أن يحبى بيك الخازندار كان بينه وبين محمد باشا

الكردي روابطُ سرّية، ومعاهداتٌ على العصيان.

وأراد الفرارَ أيضًا يحى بيك الخازندار، والُحوق بكرمان عند محمد باشا الكردي؛ فاستشعر به داود باشا، فحبسه، وأمرَ بِخَنَقِهِ في الحبس.

وفيها: خرج الوزيرُ بعسكرٍ جرّارٍ مع كمال الأبهة، وأثاث المُلْك والسلاح والمدافع، ففي الظاهر أنه خرج للاصطياد، وفي الباطن مقصده أن يُظهر قوّته للأعداء؛ ليرتدعوا.

وأقام للصيد، وأرسل أخاه أحمد بيك إلى إربل.

ومنذَ عَلمَ صاحبُ كِرمَان خروجَ الوزير بهذا العسكر الجرّار، ظن أنه هو المقصود للوزير، واستعدَّ للقتال، وفي الحقيقة أنه لم يخطر للوزير على بال.

ثم رجع الوزير إلى دار خلافته بغداد.

وأما سليمان بيك بن إبراهيم بيك الكردي فإنه أيضًا فرَّ إلى العجم.

وأما خالد باشا الكردي فإن الوزير تحقق لديه أن لا دَخَلَ له مع ابنه في الفساد، فأطلعه، وبقي كما كان في بغداد.

وَمَنْ انْهَزَمَ إِلَى بِلَادِ الْعَجْمِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ: عَبْدُ اللَّهِ بَاشَا  
الْكُرْدِي، فِي مِثْتَي خَيَّالٍ مِنْ أَكْرَادِهِ.

وَلَمَّا اجْتَمَعَ أَمْرَاءُ الْأَكْرَادِ فِي كِرْمَانٍ، وَقَوِيَ عَدُوُّهُمْ، شَرَعُوا فِي  
الْفُسَادِ وَالْإِغَارَةِ عَلَى بِلَادِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ، وَالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ وَقَطَعَ  
الطُّرُقَ، ثُمَّ مَأْوَاهُمْ وَمَلَجَّوْهُمْ كِرْمَانُ شَاهٍ.

وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الْأَكْرَادِ مَا قَرُّوا إِلَّا مِنْ كَوْنِ الْوَزِيرِ لَا يُعْجِبُهُ  
الْفُسَادُ وَلَا الْمَفْسَدِينَ، وَلَا الظُّلْمَ وَلَا أَهْلَهُ.

وَمَا غَايَتُهُ أَنَّهُ انْضَمَّ وَالِي كِرْمَانٍ بِنَفْسِهِ وَعَسَاكِرُهُ مَعَ الْأَكْرَادِ،  
وَدَخَلُوا فِي حُدُودِ مَمَالِكِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ، وَوَصَلُوا إِلَى بَلَدَةِ زَهَابٍ؛  
قَاصِدِينَ بَغْدَادَ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَصَارُوا يَنْهَبُونَ مَا يُصَادِفُهُمْ مِنَ  
الْقُرَى؛ فَمِنْ الْقُرَى الَّتِي أُصِيبَتْ بِهِمْ: قَوْلَايَ وَعَلِييَادَ وَخَانِقِينَ.

وَلَمَّا بَلَغَ الْوَزِيرُ أَفْعَالَ وَالِي كِرْمَانٍ: أَرْسَلَ شِرْذِمَةً مِنْ عَسَاكِرِهِ  
إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِهَا رَجَعُوا إِلَى كِرْمَانٍ، وَلَمْ يُمْكِنْ لِعَسَاكِرِ الْوَالِي  
الدَّخُولَ فِي حُدُودِ الْعَجْمِ، لِعَدَمِ الْإِذْنِ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ؛ فَحِينَئِذٍ  
أَرْسَلَ الْوَزِيرُ وَأَبْلَغَ الدَّوْلَةَ الْعَلِيَّةَ أَفْعَالَ الْعَجْمِ، وَالْهَارِبِينَ إِلَيْهِمْ مِنَ  
الْأَكْرَادِ؛ فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِذْنًا عَامًّا إِلَى دَاوُدِ بَاشَا بِمُحَارَبَةِ الْعَجْمِ

جهازًا نهارًا، صراحةً بالإعلان، وأرسلت له الدولة أيضًا ألفًا وخمسمئة عسكري؛ لمساعدته على والي كِرمَان.

فلَمَّا وصل عسكرُ الدولة إلى البلدة المسماة بالزَنْكِباد: أرسل الوزيرُ معهم عسكرَ اللاوَنْد، ثم جمع الوزيرُ كلَّ ما تصل إليه يده من العسكر، ومن شُجْعَان الأعراب والعشائر، وألحقَهُم بعسكر الدولة في زَنْكِباد، وتحقق الوزيرُ الأخبارَ سرًّا وجهرًا؛ فعَلِمَ أن مقصدَ والي كِرمَان أن يجعل عبدَ الله باشا الكردي واليًا على بلاد الأكراد، ويعزلَ محمود باشا الذي نصبه الوزير داود باشا عليهم.

فأمرَ الوزيرُ محمد بيك الكتخدا أن يَنْهَدَ بعساكره، وينضم إلى محمود باشا، وَيُقَوِّي عَضُدَهُ، وأمره أن يُخْبِرَ محمود باشا بأنه أتى لنُصْرَتِهِ ومساعدته، وأن الوزير بعسكره قريبٌ منهم في الزَنْكِباد.

فخرج الكتخدا يومَ الخميس ثالثَ رمضان، ونزل قريبًا من محمود باشا، وأقام هناك أربعين يومًا، فورد عليه من محمود باشا مكتوبٌ يستنجد فيه، ويقول له: إن والي كِرمَان وجَّهَ مع عبد الله باشا أربعة آلاف خيَال؛ لِيَقْصِدُوا السُّلَيْمَانِيَّةَ ويفتحوها، وَيَمْلِكُوهَا إلى عبد الله باشا، وأنَّ والي الجاف الذي هو تَبْعِي قد خان ولحقَ بعبد الله باشا.

فسار إليه محمد بيك الكتخدا بعسكره، ونزل في محل قريب منه يُسمى بازيان، وعبد الله باشا بعسكر العجم غيّم في محل قريب منهم يُسمى خَوَاجَائِي.

فلما وصل الكتخدا بعسكره إلى محمود باشا: تَقَوَّى عَضُدُهُ؛ فأرسل عبد الله باشا إلى والي كِرمان بأن الوزير داود باشا قد أمدَّ محمود باشا، فالعسكر الذي معي لا تكفي، فحالا ركب والي كِرمان لمساعدة عبد الله باشا بنفسه، ومعه خمسة عشر ألف مقاتل، ما بين فارسي وراجل.

فلما بلغ الخبر داود باشا: أرسل أخاه أحمد بيك بعسكرٍ للمدَد، ثم خرج الوزير بعسكره لِيَحْضُرَ الحربَ بنفسه، وأرسل إلى الكتخدا يَمْنَعُهُ عن الحرب حالا، ويطلبه فيه للحضور عنده؛ ليتخبر معه في أُمُورٍ سِرِّيَّةٍ، فما كان من الكتخدا إلَّا أَنَّهُ اعتذر للوزير ولم يحضر عنده.

وظهر أنه خان واتفق سِرًّا مع عبد الله باشا، ومع والي كِرمان، ولكن مقصده أنه أَوْلَا يَتَلَفُ العسكرَ الذي تحت يَدِهِ؛ لِيُوهِنَ بها قوة الوزير داود باشا!

فشرع في المحاربة مع عبد الله باشا، خلافاً لأمر الوزير، وعلى

غير تعيية، ولا نُصَح، حتى أن العسكرَ يَنْهزم ويتلف، ثم يلحق هو  
بعبد الله باشا.

فتلاقى عسكر الكتخدا - وكانوا ثلاثة آلاف - مع عسكر عبد  
الله باشا، وعسكر العجم - وكانوا خمسة عشر ألفاً-، ومع ذلك  
صابر أهل السنة مدةً طويلةً، وأخبرها أنهم انهزموا وتشتتوا.

وأما الكتخدا محمد بيك؛ فإنه لحق ببلاد العجم، مؤملاً أن يفوا  
له بما وعدوه، فإنَّ رئيس العجم أوعده إن تسبَّب في إهلاك عسكر  
الوزير؛ فإنهم يهجمون على بغداد، ويجعلون الكتخدا والي بغداد.

وفي تلك السنة: حصل وباءٌ عظيمٌ في البصرة، كاد أن يفني أهل  
البصرة، وكثيرٌ من البيوت مات أهلها جميعاً، وقُفِلَت بالضَّبة<sup>(١)</sup>، وكثيرٌ  
من الأموات يجدونهم في الطُّرقات، ولا يعلمونهم من أي الجهات،  
وأغلبُ الناس فرُّوا إلى البادية، وهو طاعون؛ كما ذكره الإمام النووي،

---

(١) الضَّبة: قفلٌ خشبي فيه شبه مسامير متحركة، وله مفتاحٌ خشبي ذو  
مسامير ثابتة بعدد مسامير القفل، وفي مثل وضعها، فإذا أُريد فتحه  
أدخل المفتاح لترفع مساميره الثابتة مسامير القفل - أي الضَّبة - المتحركة  
فيُفتح. (الخطيب).



أن من علاماتِ الطَّاعونِ القَيِّءِ والإسهالِ، وهذا الوباءُ كان كذلك،  
يُتَنَلَّى صاحِبُهُ بالقَيِّءِ والإسهالِ المُفْرِطِ، وصاحبه لا يَبُولُ، فإذا بَالَ  
سَلِمَ.

واستمر في البصرة من آخر شوال إلى آخر القعدة، إلَّا أنَّ شِدَّتَه  
من أول القعدة إلى اثني عشرة منها، ثم تارة يشتدُّ وتارة يَخِفُّ، إلى أن  
انعدم.

وصاحِبُهُ تعتريه حَرَارَةٌ عَظِيمَةٌ، ظاهرًا وباطنًا، وقد ألقى بعضُ  
المصابين به نفسَه في الماء البارد، فلم يُغْنِه شَيْئًا، وقضى نَحْبَه، ونَحِيرَت  
فيه الأطباء، وما علموا له دَوَاءً أصلاً، كما أنهم لم يتحققوا أسبابه  
على اليقين، بَلْ كُلُّ من الحُكَمَاءِ يُبْدي سببًا للوباءِ يُخَالِفُ ما يقول له  
الحكيمُ الآخر، وهذا دَلِيلٌ على عدم الوقوف على الحقيقة؛ لأنَّ الحقَّ  
واحدٌ، لا يُختلف فيه، وما هذا إلَّا لكون أدلتهم ظَنِّيَّةً.

ثم دخلت سنة ١٢٣٧: وفيها شرعَ محمد بيك الكتخدا في  
الإفساد، وجمع جموعًا وعساكِرَ، وطمحت نفسه لولاية بغداد،  
والاستيلاء عليها، وساعده على ذلك والي كِرمَان بجيوشه الروافض.  
فساروا إلى كَرْكوك؛ فقاتلهم أهلُها أشدَّ القتال؛ لما جُبِلَ عليه  
أهلُها من وجوب طاعةِ السُّلطان، وامتنالِ أوامره، ومُناوَةِ مَنْ عَادَاه.

فلما لم يقدر على أخذ كركوك: عدل عنها، وقصد بغداد، وصار ينهب القرى التي في طريقه، إلى أن وصل إلى محل بُعْده عن بغداد ثمان ساعات، يُسمى دلي عباس.

وقد كان الوزير داود باشا كتب إلى الدولة العلية بجميع ما جرى من عصيان الكتخدا، وكسر العسكر، ولحوق الكتخدا بالعجم، وما فعلوه بالمسلمين، وببلاد الدولة العلية من المفاسد والتخريب.

فلما أبطأ على داود باشا جواب الدولة العلية له: جمَعَ عساكره، وحفظ بها سورَ بغداد، ورأى أن هؤلاء عسكرٌ مُجمَعٌ مُلَفَّقٌ، فكلما طالت عليهم المدة تُرهِقُ نفوسَهُمْ، ويتفرقون عن الكتخدا من لدن أنفسهم.

ثم إن عساكر الكتخدا صاروا يُغيرون على قبائل العربان الذين حول بغداد؛ فأغاروا على عرب الخالص، ونهبوا منهم أربعين ألف رأس عنم، وخرَّبوا بساتين الخالص وخراسان<sup>(١)</sup>، ثم رجع الكتخدا ومن معه من عساكر إلى بلاد الكُرد القريبة من حدود العجم، حيث

---

(١) في الهامش: «المراد بخراسان هنا قريةٌ من قرى بغداد، لا خراسان التي ببلاد فارس.

لم يظهر لهم أحدٌ من العثمانيين لمقاتلتهم، وخافوا من سكوت داود باشا ربّما أن يكون لِمَكِيدَةٍ، وأنهم إن بَقُوا حَوْلَ بغداد ربّما يَظْفَرُ بهم، ويُهْلِكُهم عن آخرهم، فلهذا رجعوا إلى قَريبِ بلادِ العجم، واتفق أن عسكَرَ العجم احتاجوا إلى المِيرة؛ فأرسلوا نحوَ الألف خيَالٍ لِيَكْتَالُوا لهم من بعضِ بلادِ الدولة العليّة؛ فصَبَّحَهم صَفُوقُ الجُربا بعربِه، وقتلَ الأكثرَ منهم، والذي نجا فهو القليل.

ثم إن الكتخدا مع عسكَرِ العجم لَمَّا رَأَوْا أَنَّ المسألة طالت عليهم، ولم يروا مَن يحاربهم، وتجيّشُ الجيوشُ يحتاجُ إلى مصاريفَ كثيرة، جَنَحُوا لِلسَّلَمِ وللصُّلح، وكتبوا بذلك إلى داود باشا؛ فرأى أيضًا داود باشا أَنَّ ظُروفَ الأحوالِ تقضي بأنَّ الصُّلحَ هو الأصْلَحُ؛ فأرسل من طَرَفِهِ الفاضل الأَكمل: محمد بن أبي دِيس، أحدَ ندماءِ الوزير، وأرسل معه أحدَ تلامذته؛ وهو محمد أفندي ابنِ النائب.

فساروا إلى والي كِرمَان، وتفاوضوا معه في شأنِ الصُّلح؛ فقبله منهم بشرطٍ أن يعطي الوزيرُ داود باشا لواءَ بابانٍ لعبدِ الله باشا، وأن يكونَ لواءُ كُوي وحريرا لِلمُحمد بن خالد بيك الكُردي.

فأرسل ابنُ دِيس وابنُ النائب بصورة الحال إلى الوزير؛ فرأى

المصلحة في الصُّلح الآن، وإن خالفَ فرمانَ السُّلطان القاضي بأن  
كلَّ مَنْ لَحِقَ ببلاد العجم، وعصى على مأموري الدولة؛ فهوَ محرومٌ  
من الرجوع مرةً أخرى إلى وطنه، ولكنْ يرى الحاضرُ ما لا يرى  
الغائب.

فوافقهم الوزيرُ على هذا الصُّلح الذي لا يخلو من الدُّل، وأعطى  
الخَلَعَ على مراد والي كِرمَان بشرط أن العجم يرحلون عن حدود  
الدولة العليَّة أصلاً، ورَدَّ السفيران بعضَ المنهوباتِ من الخَالِص،  
وهو عشرة آلاف رأس فقط، ورجعوا.

فلما عزم والي كِرمَان على مفارقة ممالك الدولة العليَّة ودخوله  
أرض العجم؛ اخترمته المنية، فأراح اللهُ العِبَادَ والبلادَ منه، بلا  
حربٍ ولا ضرب.

وأما الوزيرُ فإنه عفى من الخِراج عن جميع القرى التي أُصِيبَتْ  
من ضرر جيش العجم، ومن محمد الكتخدا في تلك السنة، وعَرَفَ  
الدولة بذلك.

وفي أثناء انتشار عسكر العجم في أرض الدولة العليَّة قامَ أهلُ  
الفساد، وصاروا يَنْهبون الضُّعَفَاءَ، فَمِنْ ذَلِكَ أن عَرَبًا أغاروا على

قُرِيَ الدُّجَيْل، وبعدها تم الصُّلح أرسل الوالي عسكراً لِرَدِّ مَنهُوْبَاتِ رعايا الدُّجَيْل، فاسترجعوا كُلَّ ما أَمَكْنَ رَدُّهُ، وبينما هو مُتَنَتِّظٌ أوامرَ الدولة إلّا وقد وردت فرماناتٌ من الدولة لِأَمِينِ المَعْدَنِ، ولوالي الموصل، ولوالي ديار بكر محمد رُؤف باشا، ولوالي بغداد داود باشا؛ بأن يتجمعوا ويقصدوا بلاد العجم، ويؤدبوا كُلَّ مُفسِدٍ منهم، أو يَمُنَّ التحق بهم من بلاد الدولة العليّة، وأن داود باشا هو رئيسُ تلك العساكر بأجمعها.

وكان الأميرُ إذ ذاك على أطراف بلاد العجم من جهة كِرمَان هو عباس خان بن شاه العجم.

وأكثرُ حَثِّ الدولة وأمرِها على إهلاك محمد بيك الكتخدا؛ لأنّه هو أساسُ هذه الفِتن والحروب والشرور كلها.

ثم دخلت سنة ١٢٣٨: وفيها أمر الوزيرُ صَفُوق الجربا أن يغزو مع عربهِ أطرافَ بلاد العجم، فركب هو وقومُه إلى أن نزلوا بمرأى من جيش العجم، فلما رأى عباسُ خان قُرْبَ خيالة العرب منه، أمر نحو الألفي خيَالٍ من جيشه أن يهجموا على عرب صَفُوق الجربا الشمّري؛ فلما أقبلوا على عرب الجربا انهزم صَفُوق وعربُه استطراداً

لهم، فصار العجم يتبعونهم إلى أن عبروا نهرَ دِيَالِه، وعَبَرَ العجمُ من فوق الجسر ورائهم، ثم انعطف عليهم عربُ شَمَر، واختلطوا بالعجم، وصاح الأبطالُ على بعضِهم، وتطايَرت الرؤوسُ، وطاش عقلُ الجَبَّان، فما كان إلا بُرْهَةً وقد انكسر عسكرُ العجم بسبب ضيق الجسر، صار عبورهم منه في غاية المشقة، فازدحموا على العبور، وهناك صارت المقتلة على عسكر العجم التي أتلفتهم عن آخرهم إلا النزر. وأتى عربُ شَمَر بخيل العجم وسلاحهم إلى الوزير.

وأخبرني غيرُ واحدٍ أن هذه الواقعة غير الأولى التي ذكرها المؤرخ التركي.

وصَفُوق، هو بفتح الصاد وضم الفاء، في اللغة: المُمْتَنع من الجبال، سُمي به هذا الكريم الشجاع الحامي.

ولمَّا رأى الوزيرُ داود باشا نُصْرَةَ صَفُوق له؛ أقطعه بلدةَ عَانَةَ وما والاها من القرى، مكافأةً له على شهامته ونخوته وشجاعته وخدمته للإسلام.

وفي سنة ١٣٣٨ أيضًا: وقعت فتنةٌ بين سُكَّانِ بلدة الزُّبَيْر بعد أن كانوا يدًا واحدةً على مَنْ ناوَاهم وعاداهم، فدخل بينهم المفسدون

والمنافقون الذين شأنهم نقل الأكاذيب، ولا توصّلوا إلى الغنى والثروة إلاّ به، ففرقت كلمتهم، وفسا بينهم الطّربان، وسببه الحسد، وذلك أن محمد بن ثاقب بن وطبان يحسد ابن الزّهير على ماله، وعلى استعباده أشراف الناس بإحسانه وكرمه، وانقياد أهل تلك البلدة له؛ لما طوّقهم به من الأيادي، فادّعى ابن ثاقب على ابن زهير دعوياً يكذبها من له أدنى عقلٍ ودين، وهي أنّ ابن زهير أمر بسم راشد بن ثامر شيخ بني المنتفق، وأنّ ابن وطبان وكيل عن المنتفق في أخذ الثّار لهم، وصدّقه في دعواه كلّ منافقٍ يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

فلما شاع أمر السّم ركب ابن زهير متن الحذر، وترس في بيته مع عياله وأتباعه، وصاروا لا ينامون خوفاً من جماعة ابن ثاقب، فلما علّم ابن ثاقب أنه لا يمكنه العذر به، ولا الفتك به بالخداع، أمر رجاله أن يدخلوا بلدة الزّبير، ويهجموا على بيت ابن زهير، ويأتوه به.

فامثلوا أمر ابن ثاقب، وفي الليل هجموا على دار ابن زهير، فصدّهم بالرصاص خدّاه وأصحابه؛ فحينئذ كثر الشرّ أنيابه، وتظاهروا بالعداوة والحروب، وتلفت ناسٌ بسببهم، وكل هذه المفاسد والحروب وسفك الدماء لا سبب لها إلا الحسد والبغى والبطر والأشر.

ثم إن عربَ ابن زُهَير تَغَلَّبُوا على جماعة ابن ثاقب، وطردوهم عن بلدة الزُّبير، فخرجوا، ووصلوا البصرة، وأرادوا الدخولَ فيها؛ فمنعهم متسلِّمها محمد كاظم آغا؛ خوفاً من أنَّ الوزيرَ يسمع بأنه مساعدٌ للبُغاة، ولكن في الباطن هو مُساعدٌ لابن ثاقب، وعدُوٌّ لابن زُهَير.

فلَمَّا مُنِعَ ابنُ ثاقب من دخول البصرة؛ نزل على نهرٍ مَعْقِل، فما زال ابنُ ثاقب على نهرٍ مَعْقِل إلى أن هَجَمَ عليه بعضُ الأعراب من اللصوص للنهب والسلب، وقيل إنهم مدسُّوسون من طرفِ ابن زُهَير، والكلُّ جائز.

وتقاتلوا معه، وقُتِلَ مِنَ الفريقين كثيرٌ، وانهزم ابنُ ثاقب وقومُه، وعَبَرُوا الفُراتَ، فصار يُكَاتِبُ كُلَّ مَنْ يعرفه، ويطلبُ منه المُسَاعَدَةَ. ولَمَّا ورد حمود بن ثامر من البادية، خَدَعَ ابنُ زُهَير وأظهر له المودة. فمِنذُ ورد عليه حَبَسَهُ وَقَيَّدَهُ إلى أن مات، وقيل سَمَّه، فرجَّه الله، ولقد كان ذا صدقاتٍ وأعمالٍ بَرٍّ، وعِفَّةٍ عن المُحَرَّمَات.

وَمِنْ وقائع هذه السنة: الحرب الذي جرى بين عرب الدَّوِيش وشيوخ قبيلة مطير، وبين بني خالد أُمراء الحسا، وأنَّ الدَّوِيش



انتصروا على بني خالد، بعدما امتنع الدَّوَيْشُ عن المُحاربة، ورام الصُّلَحَ والمُسَالمةَ، ولكنَّ ماجدَ بنَ عَزَرَ أَبِي إِلَّا الحربَ معهم، فكانت الدَّبرَةُ عليه، وفي المَثَل: أَبِي الصُّلَحِ نَادِمٌ.

وغنم مُطَيْرٌ أموالاً كثيرةً من بني خالد بن عَزَرَ، من خيلٍ وإبلٍ؛ لأنهم قومٌ متمولون من نخيلِ الحسا ومزارعها.

وقُتِلَ في هذا اليوم المسمَّى بيوم الرُّضَيْمَةِ -بضم الراء وفتح الضاد- من مشاهير العرب: حَبَّاب، أَحَدُ فُرْسَانِ مُطَيْرٍ، وَأَحَدُ سَادَةِ الْبِرْزَانِ مِنْهُمْ، قَتَلَهُ مِشْعَانُ ابْنُ مُغَيْلِثٍ، أَحَدُ سَادَاتِ آلِ هَذَا مِنْ عَزَرَةٍ.

وَمِنْ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: مُغَيْلِثُ أَبُو مِشْعَانَ.

وَقُتِلَ مِنْ سَادَاتِ بَنِي خَالِدٍ: دُجَيْنُ بْنُ مَاجِدِ بْنِ عَزَرَ.

وَأَعْظَمُ النَّاسِ مِنْ جَانِبِ بَنِي خَالِدٍ قَتَلَ: الْقَبِيلَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِبَنِي حُسَيْنٍ؛ فَإِنَّ الْقَتْلَ اسْتَحَرَّ فِيهِمْ، فَصَابَرُوا وَجَالَدُوا بِالسُّيُوفِ حَتَّى تَكَسَّرَتْ.

وَمِنْ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: خَزَيْمُ بْنُ لَحْيَانَ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ السُّهُولِ، الْقَبِيلَةُ الْمَشْهُورَةُ مِنْ مُطَيْرٍ، وَمِنْ فُرْسَانِ الْعَرَبِ الْمَعْدُودِينَ،

قتله أشجعُ مَنْ رَكِبَ الحَيْلَ في أيامه: ماجدُ بن عَرعر الحُمَيْدي،  
شيخُ بني خالد.

وبلغني من بعض الثقات أن المطيريين قالوا: لَسَلَامَةُ حَبَابٍ  
وُخْزِيمُ السُّهيلي أَحَبُّ إلينا من إدالتنا على بني خالد، وَلَنَوَدُّ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ  
لَنَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ، وَيَسْلَمَانِ لَنَا ذَانِكَ الرَّجُلَانِ؛ لما فيهما من مكارم  
الأخلاق والنَّخوة والشجاعة وحماية الجار، والكرم والعفة عن  
المحرمات والجارات.

والذي شاع واستفاض على الألسنة أن نَسَبَ السُّهول والمطيريين  
يرجع إلى قحطان، ولكني لم أرَهُ في تاريخٍ للمتقدمين، ولا في كتب  
الأنساب<sup>(١)</sup>.

---

(١) سهول مطير هؤلاء غير سهول عَنَزَة الرِّبعين من ضنى عُبيد، المذكورين  
في كتاب "قلب جزيرة العرب" (ص ١٧٧ - المطبعة السلفية). أما  
مُطير والسهول - وهي منها - فتدعي أنها من مُضر، والذي حققه  
الأستاذ فؤاد حمزة في "قلب جزيرة العرب" (ص ١٩٢) أنها مجموعة  
قبائل متحالفة، بعضها من قحطان وبعضها من عدنان، ومنازلهم من  
حدود الكويت إلى قرب القصيم غربًا. (الخطيب). قلتُ: أفادني  
الأستاذ فهاد السهلي بهذا التعليق: (مُطير قبيلة عدنانية من غطفان من

انتهت الحرب التي ما سببها إلا البطر والأشر والطغيانُ.

ومن الوقائع المشهورة في تلك السنة: يومُ بَصَالَةَ -بفتح الباء الموحدة وتشديد الصاد المهملة وألفٌ بعدها-، وهو لِشَمْرِ القَبيلة المشهورة على آل هَذَا من عَنَزَةٍ، وكبيرهم عبد الله بن هَذَا، أحدُ مساعير الحرب، وكبيرُ شَمْرِ صَفُوق بن فارس الجربا الشَمْرِي الزوبعي، وكانت الغلبة لشَمْر على العَنَزِينَ، واستولى الشَمْرِيون على هَوْدَج بنت ابن هَذَا، ونهبوا أموالهم، واستصحبَ النساء الخرائد في وَسَطِ جيوش الحروب هي عادةُ جاهليَّة، وبقيت إلى الآن، لأجلِ أن يُشجِعن الفتيان، ويتتخين بأَسَاء الشجعان؛ فيَكُنَّ سببًا لِنُصرة قومهنَّ، فإن الفتيان تَدَبُّ فيهم الغيرةُ والحَمِيَّةُ على

==

مُضر - كما هو معلوم -، والسهول قبيلة عدنانية من بني سهل بن أنس من بني عامر بن صعصعة من مُضر. وإنما ذكرهم ابن سند معًا؛ لاشتراكهما في مناخ الرُضيمة المشهور عام ١٢٣٨هـ.

وأما سهول عنزة الذين أشار إليهم محب الدين الخطيب، فهم - كما يُذكر - منحدرون من قبيلة السهول. انظر: ضميمه من الأشعار القديمة، ص (١٤٢).

الْعَارُ؛ فَيَقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ قِتَالِ الْمُتَهَالِكِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ  
مَعْدِي كَرَبَ الزُّبَيْدِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الْحَمَاسِيَّةِ:

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْزَاءِ شَدًّا<sup>(١)</sup>  
وَبَدَتْ لِمَيْسُ كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى  
وَبَدَتْ مُحَاسِنُهَا الَّتِي تُخْفِي وَكَانَ الْأَمْرُ جِدًّا  
نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ نِزَالِ الْكَبَشِ بُدًّا

وَلَمَّا عَبَرَ ابْنُ هَذَا الْفُرَاتِ نَدَبَ قِبَائِلَ عَنزَةَ لِأَخْذِ الثَّارِ وَغَسَلَ  
الْعَارَ، فَاجْتَمَعَ الْعَنْزِيُّونَ وَعَبَرُوا الْفُرَاتَ عَلَى الْجَزِيرَةِ، ثُمَّ سَارُوا  
بِقَضِّهِمْ وَقَضِيضِهِمْ قَاصِدِينَ شَمَّرَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ١٢٣٩، فَالْتَقَوْا فِي  
مَوْضِعٍ يُسَمَّى تَسْبِيحَةَ، وَبَقُوا أَيَّامًا، وَالْفُرْسَانُ فِي مُطَارَدَةٍ وَمُطَاعَنَةٍ،  
ثُمَّ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَذْبَرَتْ شَمَّرَ، وَصَارَتْ الدَّلَالَةُ لِعَنزَةَ عَلَيْهِمْ، وَغَنِمَ  
الْعَنْزِيُّونَ مِنْ أَمْوَالِ شَمَّرَ أَمْوَالًا كَثِيرَةً.

وَمِنْ قُتِلَ مِنَ الْفُرْسَانِ: مُطَرِبُ بْنُ حَمْدِ الْأَسْلَمِيِّ ابْنِ حَطَّابٍ -  
بِفَتْحِ الْحَاءِ أَخْتُ الْحَاءِ-.

---

(١) الْمَعْزَاءُ: الْحَصَى. (الخطيب).

ولما انكسرت قبيلة شَمَّر شدَّ الوزير داود باشا عَضْد كبيرهم صَفُوق الجربا، وأعطاه من الأموال والنقد والمواشي والقُرَى والضَّياع ما لم يُسَمَّع بمثله إلَّا في زمنِ البَرَامَكَّة، وهكذا كانت عادةُ الوزير داود باشا في الكرم، فإنه لما بلغه أنَّ شَيْخَنَا الشَّيْخَ خالداً النقشبندى مَدْيُونٌ، أمر بِسَدِّ ديونه، وكانت ثلاثين ألفَ غازي محمودي كبير ذهبًا، وصرفها الوالى دفعةً واحدة، وهذا مما لم يُسَمَّع بمثله منذ قرون طويلة.

ودخلت سنة ١٢٤٠: فيها عصت بلادُ المُوَرَّة على الدولة العليَّة، وهي قطعة من بلاد الرُّومِلي، كانت ولايةً من ولايات الدولة العليَّة.

فلما أنَّ السلطان محمود اقتضى نظره قتلَ اليَنجاريَّة<sup>(١)</sup>، وتبدَّل وجاقتهم<sup>(٢)</sup> بالعسكر النظامية الموجودة الآن، ضَعُفَت عساكر الدولة وَقَلَّتْ<sup>(٣)</sup>، وطمع فيها الأعداءُ مِنْ كُلِّ جانب؛ فحاربها الرُّوسُ،

---

(١) أي: الانكشارية، وهو الجيش العثماني القديم.

(٢) الوجاق: الجماعة من الجند.

(٣) فكرة تغيير نظام الإنشيرية بالجيش النظامي كما هي الحال في الجيوش الأوروبية: بدأ بها السلطان سليم الثالث - كما تقدم -، وحقَّقها السلطان

وملكوا بلادًا من أراضيها.

ومَن ثار عليها في تلك المدة أهل المورة، وطرَدوا وُلاة الدولة العليَّة، وقتلوا أكثر المسلمين الذين كانوا في تلك البلاد مُتولِّدين ومتوطنين منذ قُرُونٍ طَويلة، وكان المسلمون هُم أهل الأراضي والأُملاك والمزارع، وكان نصارى المورة بِصِفَةِ خَدَّامين عندهم، فلا زال أمرُ النصارى يَتَقَوَّى بِواسطة الكنائس ورؤسائها، لَمَّا يجتمعون في أعيادهم ومواسمهم، وينصحون أُمَّتَهُم بِالاستقلال، وشرعوا في تعليم أولادهم الحُرُوبَ والرَّميَ بالرصاص، وأتقنوا أسبابَ الشجاعة بأنواعها سِرًّا، وتعلَّموا الصنایع التي يتولد منها الغنى، وأرسلوا أولادهم إلى بلاد أوربا لتعليم الصنایع.

والمسلمون في غاية الغفلة والبلاهة، يتركون أولادهم تَرْبِيَةً للنساء، أو لِلخاصي المُعَبَّر عنهم بِالْأَغَوَات، فلذلك ينشأ الأولادُ وعُقُوبُهُمْ مِثْلُ عُقُولِ تِلْكَم الخاصي، وأَحْسَنُ مَنْ وَصَفَ الخاصي: المتبني، بقوله:

==

محمود، وعند التحول من نظام لآخر انتهز اليونان والروس هذه الفرصة لتحقيق مآربهما. (الخطيب).

لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْحَصِيِّ أَنَّ الرُّؤُوسَ مَقَرُّ النُّهْيِ  
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النُّهْيَ كُلَّهَا فِي الْحَصِيِّ!

ولما ظهر للسلطان محمود ما صار على مُسلمي المُوَرَّة من  
القتل والسبي والنهب، إلّا مَنْ فَرَّ مِنْهُمْ وهاجر إلى بلاد الإسلام:  
جَهَّزَ جَيْشًا عَرْمَرَمًا مِنْ عِنْدِهِ، وَأَمَرَ مُحَمَّدَ عَلِيَّ بَاشَا وَالِي مِصْرَ أَيْضًا  
بِتَجْهِيزِ جَيْشٍ مِنْ مِصْرَ؛ فَاجْتَمَعَ الْجَيْشَانِ فِي بِلَادِ المُوَرَّةِ،  
وَحَارَبُوا العُصَاةَ، وَكَسَرُوهُمْ، وَهَزَمُوهُمْ، حَتَّى كَادُوا أَنْ يَجْنَحُوا إِلَى  
الطَّاعَةِ، وَلَكِنْ قَامَ بَعْضُ الدُّوَلِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ، وَسَاعَدُوا أَهْلَ المُوَرَّةِ؛  
أَيَّ بَأْنَ المُوَرَّةِ تَكُونُ دَوْلَةً مُسْتَقَلَّةً صَغِيرَةً، وَجَبَرُوا السُّلْطَانَ  
مُحَمَّدَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُعْطِهِمْ اسْتِقْلَالَهُمْ، وَإِلَّا فَالْإِنْكِلِيزُ  
يُحَارِبُونَ السُّلْطَانَ، فَوَافَقَهُمْ عَلَى اسْتِقْلَالِ أَهْلِ المُوَرَّةِ، وَقَلْبِهِ  
يَشْتَعِلُ نَارًا مِنَ الْغَيْظِ، كَمَا قِيلَ

وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْأَسِنَّةَ مَرْكَبًا فَمَا حِيلَةُ الْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا  
(فَبَقِيَتِ المُوَرَّةُ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ وَهِيَ دَوْلَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ، وَلَا زَالَتْ  
تَتَقَوَّى حَتَّى آلَ أَمْرُهَا إِلَى أَنْ صَارَتْ تُعَدُّ مِنْ دُولِ أَوْرُوبَا<sup>(١)</sup>)، وَتُدْخِلُ

---

(١) وَسُمِّيَتِ دَوْلَةُ الْيُونَانِ. (الخطيب).

نفسها في المجالس العمومية بين الدول الكبار، وصار لها سُفراء في أكثر المدن العظيمة، وذلك سنة ١٢٤٣، وكان خروج المُورة عن الدولة العلية أكبرَ وَهْنٍ أصاب الدولة؛ لأن المُورة وما يتصل بها من بلاد الروميلي الشرقي، الذي هو من دَرَمَه وَكَوَلَه، ومن بلاد الروميلي الغربي، يعني البلغار إلى حدود نهر الطُّونة، جميعهم نصارى أروام، مُتَّحِدُونَ في المِلَّة، وَخُطْبَاؤُهُمْ في المواعِظِ وَالخُطَبِ لازالوا مجتهدين في الحثِّ على الثَّوراتِ، والدول الإفرنجية تساعدهم؛ لاتحاد المِلَّة، فَيُخْشَى أَنْ يَلْحَقُوا ببعضهم في الثورات، وَطَلَبِ الاستقلال، وَلَرَبَّمَا يَجُرُّ الحال إلى إخراج الدولة العلية أصلاً من قطعة أوربا (لا سمح الله<sup>(١)</sup>)، إن لم تتيقظ هذه الدولة من نومتها. ولا تَقُلْ إن بعضَ الدول الإفرنجية تُسَاعِدُهُمْ كما قال المصنِّف، بل قُلْ إِنَّ نَارًا مُشْتَعِلَةً ترمي بِشَرِّ كالقصر، أَوْهَا في اسويج وزيويج، وآخرها في البُلغار، والأعاصيرُ تضربها على بلاد الدولة العلية من الجِهَاتِ

---

(١) الصواب أن يقول: لا قَدَّرَ الله؛ لأن لا سَمَحَ الله تُشعر بأن هناك مَنْ يُجبر الله على أن يفعل. "المناهي اللفظية"؛ للشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - (ص ٩٤).



السَّت، فباليت شعري من أي جهة تُحَمَّدُها الدولة العليّة؟ ولو كان  
رُحْمًا واحدًا لا تَقِيَّتُهُ، ولكنّه رُمَحٌ وثنانٍ وثالثٌ. ويكون سببها تلك  
الشرارة الضعيفة التي هي المورة، والتساهلُ في أمرها).

ولنرجع إلى أخبار بغداد:

وفي آخر هذه السنة تحرّك محمد الكتخدا وجمّع عساكر للإفساد،  
وحاصروا الحِلّة، البلدة المعروفة التي بناها صدّقة بن منصور دُبَيسٍ  
بن مَزِيد، ودخل الحِلّة، وادّعى وزارة العراق (هذه الوقاحة بعينها)،  
وأطاعه بعضُ العُربان المُفسدين، ودخلوا في زمرته، وعزموا على  
الهجوم على بغداد.

فلما بلغ الوزير داود باشا خبرهم، جهّز جيشًا وأكثره من  
عرب عُقيل النجديين، وقصدهم إلى الحِلّة مقر العصاة، فلما وصل  
الحِلّة ثارت الحربُ بينهم، وحَمِيَ الوَطِيسُ، واستحر القتل بين  
الفريقين؛ فانهزم الكتخدا ومَن معه، ودخل الوزير الحِلّة، وعاقب  
كلَّ مَن اشترك في هذه الفتنة من أهل الحِلّة بالقتلِ والصِّلْبِ والتَّفْي.

وأما الكتخدا فإنّه فرّ والتجأ إلى حمود بن ثامر شيخ المتفق، فما  
قبله، واعتذر منه، والله أعلم بالسرائر!

فهرب أيضاً الكتخدا ومن بقي معه، ودخلوا الحُوَيْزَةَ، وتحصَّنوا فيها.

وكانت هذه الواقعة في أول سنة ١٢٤١.

وفي السنة التي قبلها وقد على الوزير أحد أعيان بني المنتفق، وهو محمد بن عبد العزيز ابن مُغَامِس؛ فأكرمه وأحسن نُزُلَه، وصار مع الوزير في الأمور المهمة.

ومحمد هذا من أجواد العرب وشجعانهم، مع عَراقة أصله، وعلو همته، وضخامة عقله، وكان له عند ثويني بن محمد بن مانع أُبُهَّةٌ وصَدَارَةٌ، وكذلك عند حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع أولاً، ثم تَغَيَّرَ خَاطِرُهُ عليه، فلهذا قصَدَ الوزير داود باشا؛ لِيَسْتَظِلَّ بكرمه.

ولما أكرمه الوزيرُ ترشَّحَ لِشَيْخَةِ بني المنتفق، فما وافقه الوزيرُ على ذلك؛ لأنه كان وعدَّهَا بَرَّاكَ بن ثويني، حيث أن أباه كان شيخاً على تلك القبيلة، وكذلك جدُّه عبد الله، وجدُّ أبيه محمد، وجدُّ جدِّه مانع، والملوك من شأنهم رفعُ أقدارِ ذوي الشرف، وفتح البيوت القديمة.

وفي هذه السنة، أعني سنة ١٢٤١: وفد على الوزير داود باشا حُنيَّان بن مُهَنَّأ بن فضل بن صَقْر، أَحَدُ أَكابر آل شبيب؛ فأكرمه الوزير، فلما اجتمع هو ومحمد بن عبد العزيز عند الوزير، عزم الوزير على عزل حمود بن ثامر، وَأَنْ يُنْصَبَ بَدَلَهُ بَرَّاكُ بن ثويني.

ثم قَدِمَ على بَرَّاكُ بن ثويني جَمَاعَةٌ من كُبرَاءِ قومه من آل صالح، وهم شَبِيبُونَ، وقدم عليه أيضًا محمدُ بن مَنَّاخ الأَجَوْدِي العَقِيلِي، أَحَدُ مَشايخ بني المَتَفِق وفِرسانهم، فقويَ عَضْدُ بَرَّاكُ بهؤلاء الجماعة، وتوجهت إليه أنظار الوزير، وكاد أن يوليَه رياسة بني المَتَفِق؛ إِلَّا أَنَّهُ أَخَرَهَا لمصلحة.

ولما شَاعَ عَزْلُ حمود؛ طَارَ عَقْلُهُ، وطاشَ لُبُّهُ، وجاهر بالعِصيان على الدولة العليَّة، وأرسل إلى محمد بيك الكتخدا وهو في الحَوَيزَةِ، فقدم العراقَ لِإثارة الفتن ونشر الفساد، وانضمَّ إليهم كُلُّ مُفْسِدٍ باغٍ على الدولة؛ مثْلُ آلِ قشعم، وآلِ حُمَيدٍ، وآلِ رُفيع.

وفي هذه السنة: غزا بَرَّاكُ ابن ثويني وَمَنْ معه من آل شبيب عِفْكًَا وقاسمَ بنَ شاوي بعربِه؛ لِأَن قاسمًا وعربَه أيضًا عصوا على الوزير، وتحصَّنوا بالمياه والأهوار، فخاض المتَفِقُونَ عليهم المياه،

وَقُتِلَ مِنْ أَكْبَرِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ دُوَيْحَسُ بْنُ مُغَامِسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
مُحَمَّدَ بْنِ مَانَعِ الشَّيْبِيِّ، وَقُتِلَ أَيْضًا ابْنُ لُثَامِرَ بْنِ مُهَنَّأَ بْنِ فَضْلَ بْنِ  
صَقَرِ الشَّيْبِيِّ.

وَكَانَ مَعَ بَرَّكَ بْنِ ثَوْنِي شَيْخُ زُبَيْدٍ، وَلَكِنَّهُ مَا أَخْلَصَ نِيَّتَهُ فِي  
ذَلِكَ الْحَرْبِ.

وَفِي آخِرِ تِلْكَ السَّنَةِ: غَضِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ عَلَى  
الْجُنْدِ الْمُسَمَّيْنَ بِالْيَنْجَارِيَّةِ<sup>(١)</sup>، وَقَتَلَ مِنْهُمْ أَلَوْفًا، وَنَسَخَهُمْ مِنْ دِيْوَانِ

---

(١) كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ تَرْكِيبِيَّتَيْنِ (يُنِي) بِمَعْنَى جَدِيدٍ، وَ (جَرِي) الَّتِي  
أَصْلُهَا (جَيْرِيك) بِمَعْنَى حَيٍّ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْجُنْدِيِّ، وَسُمِّيَ بِهَا جُنْدُ  
الْمَشَاةِ الَّذِي نَظَّمَهُ الْعُثْمَانِيُّونَ فِي زَمَنِ السُّلْطَانِ أَوْرْخَانَ سَنَةِ ٧٢٦هـ،  
وَهَذَا السُّلْطَانُ ابْنُ السُّلْطَانِ عُثْمَانَ الَّذِي تَسَمَّتِ الدَّوْلَةُ بِاسْمِهِ، فَصَارَ  
جَيْشُهَا يُسَمَّى (يُنِيْشَرِي)، وَكَانَ عَلَيْهِ اعْتِمَادُ الدَّوْلَةِ فِي حُرُوبِهَا، وَسَجَّلَ  
لَهُ التَّارِيخُ مَوَاقِفَ مُجِيدَةٍ. وَكَانَ هَذَا الْجَيْشُ عِنْدَ تَأْسِيسِهِ قَدْ تَبَنَّى الدَّرُوِيْشَ  
الْحَاجَّ بَكْتَاشَ الَّذِي يَعْتَقِدُ سُلْطَانِيَّةَ التُّرْكِ وَأَعْيَانَهُمْ بِصِلَاحِهِ، إِلَّا أَنَّ  
طَرِيقَتَهُ تَجَنَّحَ إِلَى عَقَائِدِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالتَّحَلُّلِ مِنْ تَكَالِيفِ الشَّرْعِ. وَتَطَرَّقَ  
الْفَسَادُ بِالتَّدْرِيجِ إِلَى نِظَامِ الْيُنِيْشَرِيَّةِ وَقَادَتِهَا وَجُنْدُهَا، وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ الْقُرْنِ  
الْعَاشِرِ، وَانْتَشَرَ مِنْهُمْ الشَّرُّ وَالْفُسَادُ فِي الْبِلَادِ، وَامْتَدَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى جُيُوبِ  
النَّاسِ وَبُيُوتِهِمْ، وَأَصْبَحُوا وَبَالًا كَبِيرًا. وَكَانُوا يَتَدَخَّلُونَ فِي شُؤْنِ الدَّوْلَةِ

==

الجند، وكتب إلى جميع ممالكه أن يعزلوهم، وأن يمحووا هذا الاسم من الدنيا، ولَعَنَتُهُ تنمى على كُلِّ مَنْ ينطق بهذا الاسم (لأنَّ عسكرَ الينجارية لما قَدِمَتْ اصطِلاحاًتهم اعتراهم الخللُ في الضبط والربط، وصاروا يتسلطون على الوزراء بالقتل، وعلى سلاطين آل عثمان بالخلع والقتل، ويتنازعون فيما بينهم في المدن، حتى في حالة الحرب، وينشأ من ذلك فتنٌ داخلية، فكان هذا من جملة أسباب انحطاط دولة آل عثمان في القرن الثاني عشر، وفي أوائل القرن الثالث عشر، حتى ما بقي للملوك آل عثمان إلاَّ الاسمُ فقط، وجميع الفتك والعزل والخلع والحرب والصُّلح وكان بيدهم، فنشأ من ذلك تسلُّطُ أهلِ أورْبَا على ممالك الدولة العليّة، وتَقَسُّمُوها، ولولا ما أدركها الله به من هذا الشهم الهُمام السُّلطان محمود بتغيير العساكر إلى النظام

==

وتعيين رجال المناصب. إلى أن حاول السلطان سليم الثالث إحداث نظام جديد للجيش، ثم أفضى هذا الأمر السلطان محمود الثاني في معركة نشبت بين رجاله من أنصار النظام الجديد وبين قوات الإنشيرية في ميدان الخيل بقلب العاصمة (القسطنطينية) يوم ٩ ذي القعدة سنة ١٢٤١، انتهت بتحطيم الإنشيرية وإبادتهم، ومطاردة أنصارهم البكتاشيين، وتُسمى هذه المعركة في تاريخ الترك (الوقعة الخيرية). (الخطيب).

الموجودين الآن؛ لكانت اضمَحَلْتُ هذه الدولة أصلاً منذ سنين طويلة، فنسأل الله أن يُؤَيِّدَ هذا الدِّينَ به وبذُرِّيَّتِهِ، آمين).

وفي سنة ١٢٤١: غضب السُّلطان أيضاً على الدَّدَوَات، المُعَبَّر عنهم بالبكتاشية<sup>(١)</sup>، وأيضاً طَرَدَهُم من تكياتهم؛ لمداخلتهم مع

---

(١) الددوات جمع «دَدَه» بمعنى الجد، واستعيرت عند الترك لأباء الطريقة، خصوصاً طريقة المولوية وطريقة البكتاشية، وأكثر ما يُسمى الشيخ عند البكتاشية «بابا». وطريقة البكتاشية طريقة صوفية في الظاهر لكنها في الواقع طريقة إلحادٍ وتحللٍ وسفسطةٍ وإباحةٍ واستهزاءٍ بكُلِّ حقٍ وبكُلِّ خير، ورجالها - على قدر ذكائهم أو غبائهم - يتخذون من التأويل والشطح والخيال والجهل تُكَاةً للإيغال في كُلِّ ما يبعد بالمسلمين عن الإسلام وهدايته وأغراضه، وأهون ما فيهم من شرٍّ استحلَّاهم تناول الخمر، وما يتصل به مما يليق بأهله. وهذا ليس بشيءٍ في جانب عقائدهم الباطنية الخارجة عن دائرة الإسلام. وكان باباوات هذه الطريقة أصحاب السلطان المُطلق على نفوس النيشرية. فلما قضى السلطان محمود على ذلك النظام العسكري أخذ يُطارِد البكتاشيين ذوي السلطان الديني على الجيش المنحل، إلا أنه ويا للأسف لم يُنقِذ عقائد البسطاء من هذا الوباء الذي استمر بعد ذلك في بلادٍ كثيرة. وإلى الآن يوجد منهم في ألبانيا، بل لهم معقل في جبل الجيوشي بالقاهرة، وفي كل عامٍ يدعو شيخه بنات الأجانب ورجالهم للاحتفال بذكرى مقتل الحسين على موائد

==

الينجارية، ولكون البكتاشية روافض، أرسل السلطان فرمان إلى سائر الممالك الإسلامية بطرد الدّوات<sup>(١)</sup>.

ولما وصل الأمر إلى الوزير داود باشا طردَهم من تكيتهم، وولّى عليها أحدَ خُدّامِهِ خليل أفندي، فوَلّى خليل أفندي إمامه السيد طه الحديثي القيّام بتكيت الدّوات في بغداد، فبعد أن كانت التكيّات ملعنة للصّحابة؛ أصبحت دار الحديث.

ولكن بعد أيام قلائل عَزَلُوا منها السيد طه الحديثي؛ لتهمته أيضًا؛ لأنّه من الدّوات!

ومن وقائع سنة ١٢٤٢: أنه قدِم بغداد الشيخ عقيل بن محمد ابن ثامر؛ فأكرمه الوزير، وتخيّل فيه أنه هو الذي يصلح لرياسة بني

==

تحتوي ما لذّ وطاب لأمثال ضيوفه من مأكول ومشروب! ويجد من عظماء الأسر التي تمت إلى رجال هذه الطريقة بنسبٍ ومشربٍ سخاءٍ في المعونة والبذل والإكرام. (الخطيب).

(١) يظنونهم روافض؛ لأنهم كالشيعة يُبغضون أصحاب رسول الله ﷺ، ويتظاهرون بتقديس آل البيت، لكنهم في الحقيقة يدعون إلى تأليه علي وبعض بنيه، لا حبًا بعلي ولا ببنيه، بل لينقضوا بذلك دعائم الإسلام وعقائده. (الخطيب).

المتفق؛ فولاه تلك الرياسة، وألبسه خلعتها، وأعطاه الوزير أسلحة كثيرة، ودروعاً وبنادق، وأمره بالتوجه إلى سوق الشيوخ، وطنه، ومحل حكومته، ومنزل قومه وعشيرته.

ثم أرسل الوزير إلى متسلم البصرة أنا خلعنا حموداً عن إمارة المتفق، فأظهر ذلك في أطراف أحكامك، وولينا بدله عقيلاً ابن أخيه، فأنت تحفظ على البصرة، وعلى أطرافها، ولا تحش من غارات العصاة، فإن باطلهم دُخان ماله إلى الزوال.

فلما أظهر متسلم البصرة عزل حمود، وتولية عقيل، خف عقل حمود، وطاش لُبُه بعد الحلم الذي كان مشهوراً عنه.

فأمر ابنه ماجداً وفيصلاً أن يقصدا البصرة بجُموعهما، ويستوليا عليها، ويستأصلا من فيها، وندبا لمحاصرتها كل رافضي من بني كعب، ومن ممالك العجم، واستدعيا أيضاً إلى محاربتها ومحاصرتها: السيد سعيد، سلطان مسقط، ومعه عسكره الإباضية.

فأما ماجد فإنه نزل قريباً من نهر معقل، وأما فيصل فنزل أبا سلال، ومعهم الإباضية عسكر إمام مسقط السيد سعيد، والروافض بنو كعب، ومن التفت عليهم من محبي النهب والغارات.



ولَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ، وَكَادَ أَنْ يَفْتَحُوا الْبَصْرَةَ؛ بَرَزَ إِلَيْهِمْ عَسْكَرُ عُقَيْلٍ مِنْ عَرَبِ نَجْدٍ، وَنَشَبَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَسَاكِرِ فَيْصَلٍ، وَكَانُوا عَلَى الرُّبْعِ مِنْ عَسْكَرِ فَيْصَلٍ، فَثَارَ عَلَيْهِمْ عَسْكَرُ فَيْصَلٍ؛ فَالْتَجَأَ عُقَيْلٌ فِي النَّخِيلِ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ عَسْكَرُ فَيْصَلٍ، وَرَمَوْهُمْ عُقَيْلٌ بِالرِّصَاصِ وَهُمْ مَتَرَسُونَ فِي النَّخِيلِ، فَمَا مَضَتْ سَوِيَعَاتٌ إِلَّا وَانْكَسَرَ عَسْكَرُ فَيْصَلٍ، وَانْهَزَمُوا، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِالرِّصَاصِ، وَعَلَى الْبَاغِي تَدَوَّرَ الدَّوَائِرُ.

وَأَمَّا عَسْكَرُ عُقَيْلٍ؛ فَإِنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَى الْبَصْرَةِ مَنْصُورِينَ غَانِمِينَ، فَقَوِيَ بِهِمْ عَصْدُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَثَابَرُوا عَلَى الْحِصَارِ وَالْمَقَاتِلَةِ. وَهَذِهِ الْكِسْرَةُ فَتَتْ مِنْ عَصْدٍ مَاجِدٍ وَفَيْصَلٍ، مَعَ أَنَّهُمَا لَمْ يُقْفَا مِنْ طُلَّابِ الشَّرِّ وَالطَّمَعِ وَاحِدًا إِلَّا نَذْبَاهُ، وَلَا عَدُوًّا لِلدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ إِلَّا اسْتِغَاثَا بِهِ، حَتَّى أَنَّ السَّيِّدَ سَعِيدَ إِمَامَ مَسْقَطٍ مَلَأَ بِسُفْنِهِ الشَّطْطَ؛ لِأَنَّهُمَا أَوْعَدَاهُ أَنْ يُمْلِكَاهُ الْبَصْرَةَ، فَسَاعَدَهُمَا.

وَقَدْ كَسَرَ اللَّهُ أَنْفَ الْجَمِيعِ بِهَذِهِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي لَمْ تَخْطُرْ بِالْبَالِ. ثُمَّ صَارَ بَعْدَهَا مُنَاوَشَاتٌ وَمَقَاتِلَاتٌ، وَتَمَّ الْحَرْبُ وَالْجِلَادُ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ. هَذَا؛ وَلَمَّا ضَاقَ الْحِصَارُ عَلَى مُتَسَلِّمِ الْبَصْرَةِ، وَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ؛

خاف من الفشل العمومي؛ فأرسل إلى سلطانِ مَسْقَطِ السيد سعيد،  
وصالحه على مال، وحَذَّره من بطش الدولة العلية وانتقامها؛ فنزع  
سُفْنَه، وسافرَ إلى مَسْقَطِ بَلَدِه، وظل فيصُلُ وماجِدُ بَمَن معها من  
الأعراب فقط.

وهذه مصيبةٌ ثانيةٌ كسرت عَصْدَ فيصَلُ وماجد.

وفي أول ربيع الأول: خرج عَقِيلُ شَيْخُ المتفِقِ الجديد من بغداد،  
متوجّهاً إلى وطنه سُوقِ الشيوخ، وفي أثناء ارتحاله مرَّ على سليمان  
بيك المناخور<sup>(١)</sup> محاصراً للأقرع جند الشيطان، ومع الأقرع آلُ  
قَشَعِمٍ، ومحمد بيك الكتخدا العاصي القديم، ومعهم رستم خان  
رئيس الروافض، وما كان مع سليمان بيك إلا قبيلة زُبَيْدِ المعروفة  
من كهلان، وعَقِيلُ وشيخُهم جعفر.

وكان عسكرُ سليمان بيك نَحْوَ العُشْرِ مِنْ عسكر الأقرع، ولكن  
مع عسكر المناخور المدافع والأسلحة الجيدة.  
فلما التقى الجمعان، وترأت الصُّفُوفُ، ورمى عليهم سليمان بيك

---

(١) قال الدكتور عماد رؤوف: (المناخور: لفظٌ مُحَرَّفٌ عن مير خور، ويعني  
أمير الاصطبل).

بالأطواب، فازعجهم بأصواتها ودُخانها، وصار لها دَوِيٌّ في الجَوِّ؛  
جَفَلَتْ مِنْهُ الحَيْلُ؛ فحينئذٍ انكسر الأقرعُ بَمَنْ كان معه، وانهزموا،  
ولزمَ عسكر الروم أقبَيتَهُم وقتلوا منهم مَقْتَلَةً ظَلَّت الجيفُ مطروحةً  
في محلها أشهرًا، ويُقال إن القتلى أكثر من ألفين.

ولما وَرَدَ الحَبْرُ إلى الوزير داود باشا أمر أن يُبنى من رؤوسِ  
القتلى مَنَارَتَيْنِ، فَبُنِيَ على طريق الحِلَّةِ.

ولم يحضر هذه الواقعة الشيخُ عَقِيل، شيخ المتفِق، ولا صَفُوق  
الجربا، ولكن حَضَرَ قلعة شُخَيْر، وأظهر فيها من النصِح للوزير،  
ومن أنواع الحروب ما هو مأمولٌ فيهما.

ولمَّا وَرَدَ قَتْلُ الأقرع صَبَاحًا، زاد السرورُ بذلك للوزير، وعَلِمَ  
أن سَعَدَه قد قام بِلا مُنازع (والأقرعُ فِرْقَةٌ مِنَ الجُنُود من سُيُوع)  
ولمَّا أَمَرَ الوزيرُ داود باشا عَقِيلًا شيخ المتفِق بالسفر إلى محلِّ حُكْمِهِ  
قال له: لا تَعَجَل في سَفَرِكَ، بَلْ تَأَنَّ ما أمكنك، ولو تجعل الطريقَ  
أشهرًا فهو أولى؛ لأنَّ العُصاة كُلَّما طالت عليهم المُدَّة تَشَتَّتُوا حيث  
أنه لا يَقْدِر على المُصَابرة على القتال والمداومة على الحِصَار إلا الدُّوَل  
الذين يَجْبُون الحَرَاج، ويصرفونه على العساكر، فيصابرون الشهورَ

بل الأعوام والدُّهورَ، ولا يَمَلُّونَ، ولا يحتاجونَ، وأما مثل هؤلاءِ  
الطَّغَامِ؛ فمتى طال عليهم عدمُ المناجزةِ سَيئُومُوا ومَلُّوا، وتفرقوا  
يطلبونَ القُوتَ، وتَجْمَعُهُمْ ما هو إلَّا ساعات، وإذا طال وقُويَ  
واشتدَّ فيكونَ أيامًا لا غير.

فلهذا صار عَقِيلٌ ومَن معه كلِّما مرَّ على قبيلةٍ أقامَ أيامًا، وهو يَذبحُ  
الكُومَ السَّمانَ<sup>(١)</sup>، ويُكرِّمُ ويُنْعِمُ، وكلُّ هذا من خير الوزير عليه.  
وكان مِمَّنْ صحبَ عَقِيلًا بأمر الوزير صَفُوقُ الجربا بعَرِبِه؛ لتأييدِ  
عَقِيل.

وبعد واقعة الأقرع صَيَّرَ الوزيرُ المناخورَ سليمانَ بيك سردارًا  
أعلى عموم عساكرِه؛ لِمَا رأى من قوةِ بأسه وعقله وشجاعته في  
حرب الأقرع.

وأما البصرةُ فبقيَ متسلِّمها مع عسكره مُحَاصِرُ ويقاتِلُ ويهاجِمُ  
عسكرَ أولاد حمود، وشَدَّ عَضْدَ المتسلِّمِ سُكَّانُ قُصْبَةِ الزُّبير من أهل نجد.  
فلما سافرت سُفُنُ السيد سعيد إمام مَسْقَطٍ؛ ضاقت الأرضُ بما

---

(١) الكُوم: قطع الجمال.

رَحَّبَتْ عَلَى فَيْصَلِ بْنِ حُمُودٍ، وَسُقِطَ فِي يَدِهِ، فَسَارَ يَنْزِلُ عَلَى أَخِيهِ  
 مَاجِدٍ فِي نَهْرِ مَعْقِلٍ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَا إِلَى وَالِدِهِمَا وَيَسْتَشِيرَاهُ فِي  
 مَقَاصِدِهِ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ أَخُوهُ مَا أَشَارَ بِهِ قَائِلًا: لَا أَرْحَلُ حَتَّى أَمْلِكَ  
 الْبَصْرَةَ بِالسَّيْفِ، وَأَجْعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَقْتُلَ عَالِمَهَا وَجَاهِلَهَا،  
 أَسْتَبِيحَ الْفُرُوجَ، وَأَهْدِمَ الْقُصُورَ وَالْبُرُوجَ<sup>(١)</sup>، وَأُرِيقَ دِمَاءَ أَهْلِهَا،  
 وَأَصْبِغَ مِنْ دِمَائِهِمْ أَرْضَ الْبَصْرَةِ! (انظر في هذه الألفاظ الشنيعة  
 التي تقشعُرُ الجلودُ مِنْ سَمَاعِهَا فَضْلًا عَنْ رُؤْيَيْهَا، وَيَا عَجَبًا كَيْفَ  
 تَصْدُرُ هَذِهِ الْأَلْفَافُ مِنْ يَدِّ عَدِيِّ الْإِسْلَامِ؟)<sup>(٢)</sup> وَيَا لَيْتَ شَعْرِي مَاذَا

---

(١) هَذِهِ السَّجَعَاتُ الْأَدْبِيَّةُ وَأَكْثَرُ مَعَانِيهَا مِمَّا نَظَنُّ أَنَّهُ قَدْ أَمْلَاهُ عَلَى الْمُؤَلِّفِ  
 مِنْزَلُهُ مِنْ دَاوُدَ بَاشَا، وَخِطَّتْهُ فِي تَأْيِيدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالْأَخْبَارُ فِي أَثْنَاءِ  
 الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ تَأْتِي مَجْمَلَةً، وَيَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مِثْلُ هَذَا التَّنْمِيقِ! وَلَا  
 شَكَّ أَنَّ مُتَسَلِّمَ الْبَصْرَةِ وَالسُّلْطَانَ التُّرْكِيَّ الْحَاكِمَ كَانَ مِنْ مَصْلَحَتِهِمْ  
 فِي ذَلِكَ الْحِينِ إِذَاعَةُ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ عَنْ لِسَانِ خُصُومِهِمْ؛ لِيُؤْغِرُوا  
 صُدُورَ الْأَهَالِي وَيُسْتَجِيشُوهُمْ مَعَهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ خُطَّةُ وِلَاةِ التُّرْكِ فِي  
 بَغْدَادَ وَعِمَالِهِمْ فِي الْعِرَاقِ أَنْ يِقَاتِلُوا الْعَرَبَ بِالْعَرَبِ. (الخطيب).

(٢) وَهَنَّاكَ احْتِمَالٌ كَبِيرٌ بِأَنَّهَا لَمْ تَصْدُرْ مِنْ نُسْبَتِ إِلَيْهِ. وَنَحْنُ الْآنَ نَسْمَعُ  
 رَوَايَةَ الْخُصْمِ فِي خُصْمِهِ. وَأَنْ حُمُودًا وَابْنَهُ دُفِعُوا إِلَى هَذَا الْمَوْقِفِ دَفْعًا مِنْ

==

صنع له أهل البصرة ؟ هل هم الذين عَزَلُوا أَبَاهُ ؟ ولو فرضنا أنهم عَزَلُوا أَبَاهُ، هل يستحقون مكافأتهم بذلك ؟ لكن الطُغْيَانُ والطَيْشُ والبَطَرُ والأَشْرُ متى استولوا على إنسانٍ تَعَمَى منه البَصِيرَةُ لا البَصَرُ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تَعَمَى القلوب التي في الصدور، أعاذنا الله وإياك من كُفْران النِّعم ومن تَحْكُمِ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ).

فلما سَمِعَ فيصلُ من أخيه تلك الألفاظ الدَّالَّة على أن صاحبها لن يُنصر قطَّ؛ قام يُجَرِّ أذْيَالَهُ مُوقِنًا أَنَّ الله لا يَنْصُرُ مَنْ نَوَى الشَّرَّ على عموم المسلمين، خصوصًا الأبرياء.

ورحل فيصل، وفارق أخاه، وقصد أباه حمودًا.

ولمَّا وصل إلى والده تصادف ورود محمد الكتخدا العاصي القديم على حمود أيضًا؛ لَيْشَدَّ عَضْدَهُ على عِصِيَانِ الدَّولة، وعلى محاربة رجالها، وما دَرَى حمودُ أن محمد بيك الكتخدا أَشْأَمُ مِنْ طُوَيْسٍ، فمتى

==

غير سببٍ يُوجِبُهُ، وكان داود باشا في غِنَى عن أن يُثِيرَ عليه وعلى الدَّولة والأُمَّة أَناسًا كانوا راضين بالسُّلْم، مُحْلِدِينَ إلى السَّكِينَةِ. ومثل هذا التصرف مألوفٌ من الولاة الحمقى الأغبياء، أما داود باشا في عِلْمِهِ وعقلِهِ فمُواخِذٌ على هذا التصرف الخاطيء الذي كان في غِنَى عنه. (الخطيب).

حلَّ مع قومٍ انهزموا وانكسروا، وقد قالوا العادةُ تثبت بثلاثِ مراتٍ، وهذا المنحوسُّ المغلوثُ صار له أكثر من خمسين كَسْرَةً تُجَاهَ عسكر الدولة العلية، وهلك بسببه أُمَمٌ من المسلمين لا تُحصى، ولا زال الناسُ من غفلتهم يُؤوونهُ ويَقبلونهُ.

وأما ماجد بن حمود فإنه شَمَّر عن ساعد الجِدِّ، وجمَعَ عسكره الروافضَ وغيرهم، وصنع سَلامٌ لِيَصْعَدَ بها على سُور البصرة، ونادى مناديه أَنَّ ماجِدًا أَباحَ البصرةَ ستَّةَ أيامٍ، لا يُصَانُ فيها فَرَجٌ، ولا يُغَمَدُ فيها حُسام!

ولما بلغ أهلَ البصرةَ نيةَ ماجِد الحبيثَةِ؛ خرج عليه سُكَّانُ بلدة الزُبَيْر وتَراموا معه، وشَدَّ عليهم بخيله ورجله، وترك خيامَه وأثقالَه وأموالَه وراءه.

والحال؛ أَنَّ المتسلِّمَ بعسكره كانوا كامنين له، فلما رآوه تَوَجَّه إلى عرب نجدٍ بِكُلِّيَّتِهِ وَكَلِيلِهِ أَغاروا على خيامه وأثائه وأمواله. فلَمَّا بلغه الخبرُ سَقَطَ في يَدِهِ، فما كان إِلَّا سَاعَةً وقد وَلَّى الأدبارَ، وترك جملةً من عسكره قتلَى في الميدان، ورجع إلى أبيه مهزومًا مخذولًا منهوبًا.

فلَمَّا وصل إلى أبيه وجد أباه حمودًا قد فارق عِزَّهُ وسُودَدَهُ، وتفرَّق

عنه قومه وعشيرته؛ وذلك أن عَقِيلاً شَيْخَ الْمُتَفِقِ الجَدِيدَ لَمَّا نَزَلَ الْبُعَيْلَةَ  
وَرَدَ عَلَيْهِ أَعْمَامُهُ وَأَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ؛ فَأَكْرَمَهُمْ وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا حَمُودُ  
عَمُّهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ إِخْوَانَهُ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّ دَوْلَتَهُ قَدْ زَالَتْ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ  
جَدَّ الْوَزِيرِ فِي عَنُقِ الْوَانِ شَبَابَهُ، وَفَرَّ هُوَ وَأَوْلَادُهُ وَأَهْلُهُ إِلَى الْبَادِيَةِ.

فَوَرَدَ عَقِيلُ الْوَطَنِ وَمَعَهُ عَسْكَرُ الْوَزِيرِ، وَاسْتَقَرَّ عَلَى كُرْسِيِّ  
حُكُومَتِهِ، وَنَفَّذَ أَوَامِرَهُ فِي رَعِيَّتِهِ، فَحِينَئِذٍ رَجَعَ الْمَنَاخُورُ بِالْعَسْكَرِ إِلَى  
بَغْدَادَ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: دَخَلَ الشَّفَلَحُ بَغْدَادَ، وَاسْتَرْحَمَ مِنَ الْوَزِيرِ أَنْ  
يَمْنَحَهُ الْعَفْوَ، فَعَفَى عَنْ عَصِيَانِهِ.

وَالشَّفَلَحُ هُوَ كَبِيرُ قَبِيلَةِ زُبَيْدٍ، وَكَانَ شَيْوخُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ مِنْ أَهْلِ  
السُّنَةِ، وَلَكِنْ الْآنَ هُمْ رَوَافِضُ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّ الشَّيْعَةَ عِنْدَنَا لَهُمْ  
دُعَاةٌ وَخُطَبَاءٌ يَدُورُونَ عَلَى قِبَائِلِ الْعُرَبَانِ، وَيَعْظُونَهُمْ، وَيَدُسُّونَ  
عَلَيْهِمْ دَسَائِسَ الرِّفْضِ، وَالْأَعْرَابُ عَوَامٌ مُغْفَلُونَ، لَا يَعْرِفُونَ الدِّينَ  
وَلَا الْعُقَائِدَ<sup>(١)</sup>، فَلِهَذَا ضَلَّ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَتَمَذَّهَبُوا بِسَبَبِ

---

(١) بَلْ إِنَّ بَرَاعَةَ أَهْلِ التَّقِيَّةِ مِنْ دُعَاةِ الرِّفْضِ جَعَلَتْهُمْ يَدُسُّونَ دَسَائِسَهُمْ  
حَتَّى عَلَى الْخَوَاصِّ مِنْ رِجَالِ الْأَزْهَرِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ بِحُجَّةِ التَّقْرِيبِ بَيْنَ



الصَّحَابَةُ، (فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ يُلْهِمُ الدَّوْلَةَ الْعَلِيَّةَ أَنْ تَتَنَبَّهُ لِهَذَا الْخَطْبِ الْجَسِيمِ، الَّذِي عَاقِبَتْهُ لَا تَرْجِعْ عَلَى الدِّينِ فَقَطْ، بَلْ أَكْثَرَ ضَرَرِهِ عَلَى الْمُلِكِ وَالسِّيَاسَةِ، فَإِنَّ الدَّوْلَةَ مَتَى كَانَتْ مُتَمَذِّبَةً بِمَذْهَبٍ وَخَرَجَ بَعْضُ رَعَايَاهَا عَنْ ذَلِكَ الْمَذْهَبِ، يُخْشَى بِأَنَّهُمْ يَجْرُونَ عَلَيْهَا عَرَاقِيلَ وَفِتْنًا دَاخِلِيَّةً، تَعْجِزُ عَنْ إِطْفَائِهَا، وَرَبَّمَا تُفْضِي إِلَى تَدَاخُلِ الدُّوَلِ الْأَجْنَبِيَّةِ، فَإِنَّكَ تَرَى الْمُؤَرَّةَ وَالْبُلْغَارَ لَوْ كَانَ جَمِيعٌ مَن فِيهَا عَلَى دِينِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ لَمَا ثَارُوا عَلَيْهَا، وَلَمَا طَلَبُوا مُدَاخَلَةَ الدُّوَلِ الْأَرُبَاوِيَّةِ فِيهِمْ، وَانْظُرْ إِلَى دَوْلَةِ إِيرَانَ وَكَمْ صَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ مِنْ مُحَارِبَاتٍ، وَلَمْ تَزَلِ الْمُحَارِبَاتُ مَظْنُونَةً إِلَى الْآنَ، وَكُلُّ هَذَا بِسَبَبِ مُخَالَفَةِ الْمَذْهَبَيْنِ، فَكَانَ يَنْبَغِي لِلدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ أَنْ تَجْعَلَ جَوَاسِيْسَ فِي الْبَادِيَةِ عِنْدَ الْعُرْبَانِ؛ لَمَنْعِ دَسَائِسِ الرُّوَافِضِ عَنْهُمْ، وَتُرْسُلِ عُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ لِتَعْلِيمِ هَؤُلَاءِ الْعَوَامِّ، حَتَّى إِذَا تَمَسَّكُوا بِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَصِيرَ نَقْلُهُمْ إِلَى مَذْهَبِ آخَرٍ بَطِيئًا لَا بِسُرْعَةٍ، كَمَا هُوَ

==

المذاهب! ودعاة الرافض لا يملكون تقريب شيء من مذهبهم إلى أي مذهب غيره، ولا يُقرهم أهل ملتهم على شيء من هذا التقريب على فرض حصوله. (الخطيب).

مُشَاهَدٌ فِي هَؤُلَاءِ الْعَوَامِ الْخَالِيِ الذَّهْنِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: كُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ<sup>(١)</sup>، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ وَظَائِفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ).

### باب: فِي مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِمُ الْوَزِيرُ دَاوُدَ بَاشَا الْعُلُومِ:

أَمَّا الْقُرْآنُ فَجَوَّدَهُ عَلَى شَيْخِ الْقُرَاءِ مُحَمَّدٍ أَمِينٍ أَفْنَدِي الْمَوْصِلِي، وَمُحَمَّدٍ أَمِينٍ هَذَا كَانَتْ لَهُ دِرَايَةٌ فِي التَّجْوِيدِ وَالْقُرْآنِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهِ فِي بَغْدَادٍ فِي أَيَّامِ حُكُومَةِ الْوَزِيرِ سَلِيمَانَ بَاشَا أَبِي سَعِيدٍ، وَدَاوُدَ بَاشَا إِذْ ذَاكَ مَهْرِدَارِهِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَدَاوُدَ بَاشَا كَانَ خَازِنْدَارِهِ، وَعَاشَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِينُ الْمَوْصِلِي إِلَى سَنَةِ ١٢١٥، وَبَعْدَهُ لَا أَعْلَمُ حَالَهُ، وَأَعْرَفَ لَهُ ابْنًا يُسَمَّى سَعْدِيًّا لَهُ شِعْرٌ، وَرَأَيْتُ لَهُ كِتَابًا فِي الْأَدَاءِ وَالتَّجْوِيدِ، وَعَزَمَ عَلَيَّ أَنْ أَقْرُضَهُ؛ فَقَرَضْتُهُ جَبْرًا لِخَاطِرِهِ تَقْرِيبًا يُشْعِرُ بَأَنَّهُ عَلَى جِهَةِ التَّمْلِيحِ، وَلَمَّا وَرَدَتْ بَغْدَادُ سَنَةَ ١٢٣٤ أَقْسَمَ عَلَيَّ إِلَّا جِئْتُ إِلَى بَيْتِي، وَأَكَلْتُ مِنْ طَعَامِي، فَجِئْتُهُ وَأَكَلْتُ مَعَهُ مِنْ طَعَامِهِ إِبْرَارًا لِقَسَمِهِ، وَفِيهِ سَمَاحَةٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٥٤) وَمُسْلِمٌ (١٨٢٩).

وأما علمُ النحو والصَّرف فأخذه الوزير داود باشا عن المنلا حسن بن محمد علي الزَّوزُوجي، وقد اجتمعتُ به فوجدته مع قراءة داود باشا عليه هو أيضًا يقرأ المطوّل بالمشاركة مع داود باشا على منلا محمد أسعد بن عُبيدالله، وقد شاركتها أنا أيضًا في المطوّل.

ولمّا قدِم سليم بيك خَتَنُ سُلَيّان باشا أبي سعيد متسلّمًا للبصرة؛ قدِم بالمثلًا حسن معه، فصار له في البصرة جاهٌ عظيمٌ، وكان له ميلٌ إلى المداعبة والمزاح، وكان حيًّا إلى سنة ١٢١٧، ولا أظن كلامَ أهل البصرة فيه صادقًا؛ لأنَّ الناس لا يَسلم منهم أحدٌ، خصوصًا غالب مَنْ اتَّصف بالعلم، فإنهم أكثرُ الناس غِيبةً لبعضهم، فلا والله ما حضرتُ مجلسًا من مجالسهم إلا رأيتُ نُقلهم ومحادثاتهم وملاطفاتهم الغيبةَ والنميمةَ، وقد اصطَلَحوا على هذه المعصية الجسيمة، وصارت عندهم من العادات التي لا نكيرَ عليها، وقد استوى فيها الفقير والغني، والعالم والجاهل، والصالح والفاسق، إلَّا الشَّاذ، ولا أدري ما عاقبة ذلك عليهم؟! <sup>(١)</sup>

---

(١) من عاقبة ذلك عليهم أنَّ الدول الصليبية استعمرت بلادهم، إما بجنودها أو بخططها الثقافية والفكرية، وتمكنت من تحويل الأذكياء الناجحين

ثم قرأ مولانا داود باشا على الحافظ أحمد، مُدرس السليمانية،  
علومًا جَمَّةً، خصوصًا التصوف وعلم الحقائق، وتوفي الحافظ أحمد  
سنة ١٢٣٩.

ثم قرأ داود باشا علم الرياضي على لطف الله أفندي، كاتب  
الديوان لسليمان باشا أبي سعيد، وتوفي سنة ١٢١٣.

ثم قرأ داود باشا المطوّل وعلم آداب البحث والمناظرة وعلم  
البيان والمعاني وشرح المواقف على المنلا أسعد بن عبّيد الله بن صبغة  
الله، مفتي الحنفية والشافعية، وعليه تخرّج في سائر العلوم، وبه عُدَّ  
من الرجال أهل الكمالات، الموصوفين بالدقة والمباحثة والمناظرة.

ثم قرأ داود باشا على صبغة الله ابن مصطفى الكردي: الأصلين  
والتفسير البيضاوي، وصبغة الله هذا درّس في جملة علوم، واعترف  
له بالفضل معاصروه، وقد اجتمعتُ به، وتلقيتُ عنه بعضًا من الشفا  
للقاضي عياض؛ فألفيته مع جلالته يلحن في العبارة، والكمال لله،

==

من أولادهم إلى آلاتٍ تعمل في مناصب الحكومة وعلى صفحات  
الصحف والكتب لتحقيق أغراضها، التي في طليعتها سلخُ المسلمين  
عن الإسلام، وتصييرهم أعداء له بأسماء الأصدقاء. (الخطيب).

وقد رأيتُ له رسالةً يرد فيها على العلامة صبغة الله الحيدري، دالةً على سعة باعه في المعقول والمنقول، وأن له يدًا طولى في الاستنباط. وكان هذا الفاضل صبغة الله ابن مصطفى الكردي غرس نعمة بيت عبد الرحمن باشا الكردي؛ لأن العلماء من قديم الأزل لا يتعلمون وينجحون كمال النَّجاح إن لم يكنْ لهم مُسَاعِدَةٌ في أمرِ معاشهم من طرف بعض الأمراء، وإلاَّ فالفقرُ المطلق لا ينشأ عنه إلاَّ الخُمُولُ والجهلُ عادةً.

### **فصل: في ذكر الإجازات التي كتبها العلماء للوزير داود باشا لما أجازوه بعلوم شتى:**

فأفضلُ مَنْ كتب له إجازةً شيخنا ومولانا السيد زين العابدين بن جمل الليل المدني، أبو عبد الرحمن، ابن السيد علوي ابن السيد باحسن جل الليل، علامة الكون، ومُحَدِّث العصر، بقيَّة العِترَةِ، ومُلَحِّقُ الأَحْفَادِ بالأجداد.

وهي إجازةٌ بليغةٌ، دالةٌ على كمال مُنشيها في سائر العلوم، ودالةٌ على فضائل المُجَازِ له، ولولا خوفُ الإطالة لسردتها بألفاظها، ومعناها أنه أجازَه بِجُمْلَةٍ من كتب الحديث، وذكر سنَدَه، وأوصله

بأرباب المسانيد الحُفَّاظ المتقدمين، وتاريخ تلك الإجازة سنة ١٢٣٣ من الهجرة في بغداد دار السلام.

وتوفي السيد زين العابدين جمل الليل سنة ١٢٣٥، وله مؤلفاتٌ بدیعة؛ منها كتابٌ في المُشْتَبِه والمفترق، وله مختصر المنهج؛ لشيخ الإسلام زكريا، ثم شرَّحه أيضًا، في فقه الشافعية.

ومَن أجاز للوزير داود باشا: علامة العراق، الرُّحْلة، المُحَدَّث، بقية السلف، شيخنا الشيخ علي بن محمد السويدي البغدادي الشافعي، وهي متضمنةٌ للحديث المسلسل بالمصافحة، وفيها علومٌ من الحديث وغيره، وتاريخ هذه الإجازة سنة ١٢٣٥، وتوفي شيخنا الشيخ علي بن محمد السويدي بالشام سنة ١٢٣٨.

ومَن أجاز الوزير داود باشا: الشيخُ صبغة الله ابن مصطفى الكردي الزيارتي الشافعي، أجازَه في جملةِ علوم، وفي طريق القوم، بإجازاتٍ كُرْدِيَّةٍ مُطَوَّلَةٍ، يَمَلُّ من طولها السامع.

**باب: في ذكر من أخذوا العلم عن داود باشا، واستفادوا منه:**

وهم جماعةٌ يطول شرُّحهم، ولكن ما لا يُذكر كُله لا يترك جُلُّه.

فمنهم: السيد الشريف بقية العترة، السيد محمود البرزنجي،

قرأ عليه جميع العلوم، وتخرّج على يديه، إلى أن صار هذا السيد من أرباب الكمالات، المُشار إليهم في العراق.

ومَن أخذ عن الوزير داود باشا: محمد أفندي ابن النائب المتقدّم الذكر، ولكن الظاهر أنه خرّج عن مقولة العلماء، ودخل في مقولة الأمراء والحُكّام، وكان أمينَ الوزير داود باشا، وكاتِمَ سرّه.

وإلى هنا انتهى تاريخ العلامة الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي، وما ذكّر بعد هذا المحلّ إلّا حكاياتٍ على طريق الأحاجي والألغاز، جَعَلَهَا مِثْلَ المقامات على لسان شخصٍ سَمَّاهُ مُقَاعِسَ بنَ مُزَاحِمٍ، وصار يُطارحه في أخبار العرب وأشعارها وآثارها، ولا بأس بها من مقامٍ دالّةٍ على بلاغةٍ مُنْشِئِهَا، ومنبئةٍ على قوةٍ باعِهِ، وسِعةٍ اِطْلَاعِهِ، ولكن لا يسعها هذا المختصر، فلهذا أَضْرَبْتُ صَفْحًا عن ذكرها.

هذا ما تيسّر جمعه لكاتبه الفقير إلى الله تعالى، خادِمُ العلم بالروضة الشريفة: أمين بن حسن حلواني المدني، عفى الله عنه، وذلك في سنة تسعين بعد المئتين والألف من الهجرة المحمّدية، وصلى الله على سيّدنا محمد، خاتم النبيّين، وعلى آله وأصحابه هُدَاةِ الدِّين، وقُدوة المسلمين.

تمّ طبعُ هذا الكتاب في مدينة بمبي في المطبعة الحسينية في غرة

شوال سنة ١٣٠٤ هجرية، وقد أخذ مؤلفه أمرَ الرجستري من الحكومة، بحيث أنه صار الإقدام على طبع هذا الكتاب مرةً ثانية بإذن المؤلف لا غير، ومَن تجاسر وطبعه بغير إذن مؤلفه؛ فالمسؤوليةُ عائدةٌ عليه، على حسب قوانين الدول المتمدّنة، وصلى الله على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

كتبه: الغريب: عبد الغني بن الشيخ محمد الخطيب، عفى الله عنه.



## فهرس المحتويات

|    |  |
|----|--|
| ٥  | مقدمة المُعَتني بالكتاب .....                                |
| ٧  | تنبيهات .....  |
| ١٠ | مقدمة العلامة محب الدين الخطيب .....                         |
| ١٨ | ترجمة الشيخ عثمان بن سند .....                               |
| ٣٧ | ترجمة الشيخ أمين الحلواني .....                              |
| ٤٤ | صورة الورقة الأولى من مُختَصَر الشيخ الحلواني .....          |
| ٤٥ | صورة الورقة الأخيرة من مُختَصَر الشيخ الحلواني .....         |
| ٤٦ | صورة غلاف طبعة الشيخ محب الدين الخطيب لمُختَصَر الحلواني ... |
| ٤٧ | صورة غلاف الطبعة الأولى لـ "مطالع السعود" .....              |
| ٤٨ | صورة غلاف الطبعة الثانية لـ "مطالع السعود" .....             |
| ٥١ | مقدمة صاحب المُختَصَر .....                                  |
| ٥٨ | حوادث سنة ١١٨٨ .....   |
|    | محاصرة كريم خان الزندي مدينة البصرة ، وما جرى بسببها من      |
| ٥٨ | أحداث .....  |
| ٦٠ | عزل وزير بغداد عمر باشا ، ثم قتله .....                      |

- ٦٢..... سب شيعة العجم للصحابه رضي الله عنهم !
- ٦٤..... هزيمة العجم
- ٦٧..... تولية مصطفى باشا وزارة بغداد
- ٦٨..... السلطان يأمر بقتل مصطفى باشا وتعيين عبدالله باشا
- ٦٩..... فتنة المدعو : عجم محمد ، ونبذة عنه وأخباره
- ٨١..... حوادث سنة ١١٩٠
- ٨١..... ترجمة الشيخ صبغة الله الحيدري
- ٨٢..... هلاك كريم خان
- ٨٢..... حوادث سنة ١١٩٣
- ٨٢..... انسحاب الإيرانيين من البصرة
- ٨٤..... ولاية سليمان باشا وزارة بغداد
- ٨٦..... حوادث سنة ١١٩٥
- ٨٦..... غزو الخزاغل
- ٨٨..... حوادث سنة ١١٩٦
- ٨٨..... العلاقات مع البابانيين
- ٩١..... حوادث سنة ١١٩٧
- ٩٢..... مقتل محمود باشا
- ٩٢..... مواجهة انتفاضة الخزاغل
- ٩٣..... حوادث سنة ١١٩٩

- ٩٣..... تجدد انتفاضة الخزاغل مرة أخرى
- ٩٤..... حوادث سنة ١٢٠٠
- ٩٤..... خروج سليمان بك الشاوي
- ٩٥..... انتفاضة أهل بغداد
- ٩٦..... حوادث سنة ١٢٠١
- ٩٦..... انتفاضة سليمان الشاوي
- ٩٨..... استيلاء المتتفق على البصرة
- ١٠١..... حوادث سنة ١٢٠٢
- ١٠١..... استرجاع والي بغداد البصرة من المتتفق
- ١٠٢..... حوادث سنة ١٢٠٣
- ١٠٢..... العفو عن سليمان الشاوي
- ١٠٦..... وفاة السلطان عبد الحميد الأول وترجمته
- ١٠٨..... سلطنة السلطان سليم الثالث
- ١٠٩..... ظهور آل سعود
- ١١٠..... حوادث سنة ١٢٠٤
- ١١٠..... إمارة البابانيين، عزل ونصب
- ١١٠..... حوادث سنة ١٢٠٥
- ١١١..... العفو عن ثويني شيخ المتتفق السابق
- ١١١..... التجاء عجم محمد إلى سليمان الشاوي

|     |   |
|-----|---|
| ١١٣ | تحركات تيمور الملي                          |
| ١١٣ | حوادث سنة ١٢٠٦                              |
| ١١٣ | غزو تيمور الملي                             |
| ١١٤ | حوادث سنة ١٢٠٧                              |
| ١١٤ | نهاية عجم محمد                              |
| ١١٤ | خروج الوزير إلى الفلوجة                     |
| ١١٤ | حوادث سنة ١٢٠٨                              |
| ١١٤ | غزو الخزاعل                                 |
| ١١٥ | حوادث سنة ١٢٠٩                              |
| ١١٥ | مقتل سليمان بن عبد الله الشاوي              |
| ١١٦ | حوادث سنة ١٢١٠                              |
| ١١٦ | غزو الخزاعل                                 |
| ١١٦ | مقتل الكتخدا أحمد                           |
| ١١٧ | حوادث سنة ١٢١١                              |
| ١١٧ | مشيخة المتفق، عزل ونصب                      |
| ١١٧ | وفاة شاه العجم محمد خان، وتنصيب فتح علي خان |
| ١١٧ | حوادث سنة ١٢١٢                              |
| ١١٧ | غزو الخزاعل                                 |
| ١١٧ | أخبار البابانيين                            |

- غزو آل سعيد ..... ١١٧
- توجه ثويني أمير المنتفق إلى الأحساء لمحاربة الدولة السعودية ،
- ومقتله ..... ١١٧
- ترجمة ثويني بن عبد الله ووفائه ..... ١١٩
- تولي حمود بن ثامر مشيخة المنتفق ، ونبذة عنه ..... ١٢٢
- مهاجمة الإمام سعود بن عبد العزيز أطراف العراق الغربية ..... ١٢٤
- حوادث سنة ١٢١٣ ..... ١٢٦
- حملة علي الكتخدا على الدولة السعودية ، وسبب فشلها ..... ١٢٦
- مكاتبات علي الكتخدا مع الإمام سعود بن عبد العزيز ..... ١٣١
- حوادث سنة ١٢١٤ ..... ١٣٤
- تجديد متسلمية البصرة لعبد الله آغا ..... ١٣٤
- تولي عبد الله الرحبي قضاء البصرة ..... ١٣٤
- خلافات قبائل عنزة والدليم وقشعم ..... ١٣٤
- حوادث سنة ١٢١٥ ..... ١٣٥
- حملة علي باشا على الخزاعل ..... ١٣٥
- سفارة عبد العزيز الشاوي إلى الدرعية ، وتأثره بالدعوة
- الإصلاحية ..... ١٣٦
- إعادة تمر المي إلى منصبه ..... ١٣٧
- حوادث سنة ١٢١٦ ..... ١٣٧

- ١٣٧ ..... غارات للدولة السعودية على أعدائها
- ١٣٨ ..... حملة علي باشا على عشائر عِفك وجُليحة
- ١٣٨ ..... توجيه كُوي وحرير إلى محمود الباباني
- ١٣٨ ..... هجوم الإمام سعود على كربلاء
- ١٤٠ ..... نبذة عن جَيْف الشيعة!
- ١٤٢ ..... عزل متسلّم البصرة
- ١٤٢ ..... حوادث سنة ١٢١٧
- ١٤٢ ..... وفاة الوزير سليمان باشا الكبير وآثاره
- ١٤٤ ..... تولي علي باشا الكتخدا ولاية بغداد
- ١٤٤ ..... سفر الوزير إلى البلباص وسنّجار
- ١٤٥ ..... مقتل محمد وعبد العزيز الشاويين -رحمهما الله- ، ومناقبهما
- ..... حديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-
- ١٤٦ ..... والدولة السعودية
- ١٥٦ ..... حوادث سنة ١٢١٨
- ١٥٦ ..... وباء في العراق
- ١٥٦ ..... عودة الوزير علي إلى بغداد
- ١٥٦ ..... حوادث سنة ١٢١٩
- ١٥٦ ..... غزو بادية أجا وسلمى
- ١٥٦ ..... حوادث سنة ١٢٢٠

- توجيه حملة على عبد الرحمن باشا الباباني ..... ١٥٧
- غزو الإمام سعود بن عبد العزيز البصرة ..... ١٥٧
- حوادث سنة ١٢٢١ ..... ١٥٨
- مناوشات مع عجم فارس ..... ١٥٨
- مصرع الوزير علي باشا ..... ١٥٩
- ورود العالم جمل الليل إلى بغداد ..... ١٥٩
- حوادث سنة ١٢٢٢ ..... ١٦١
- تسلطن السلطان مصطفى ..... ١٦١
- حوادث سنة ١٢٢٣ ..... ١٦٣
- تسلطن السلطان محمود بن عبد الحميد ، ومبالغة ابن سند  
في مدحه ! ..... ١٦٣
- أخباره مع الدولة السعودية ، وتكليفه محمد علي باشا  
بمحاربتها ..... ١٦٤
- الحوادث بين حملة محمد علي باشا والدولة السعودية ..... ١٦٥
- إطالة المؤلف عند أحداث المدينة النبوية ؛ لأنه من أهلها ..... ١٦٧
- حملات إبراهيم باشا على نجد ..... ١٧٥
- حديث الحلواني عن الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - ..... ١٧٧
- حديث الحلواني عن بقايا من أسرة آل الشيخ في مصر ، ممن يعرفهم .. ١٧٩
- تولي سليمان القليل ولاية بغداد ..... ١٨٠

- ١٨٠ ..... إكرامه للعالم علي السويدي
- ١٨١ ..... حوادث سنة ١٢٢٤
- ١٨١ ..... غزوات سليمان باشا الصغير في سنجار والجزيرة
- ١٨٤ ..... حوادث سنة ١٢٢٥
- ١٨٤ ..... فتنة سليم أفندي متسلم البصرة
- ١٨٧ ..... سبب تسمية الوالي سليمان بالقتيل
- ١٨٩ ..... تولي عبد الله باشا ولاية بغداد
- ١٩٠ ..... حوادث سنة ١٢٢٦
- ١٩٠ ..... لم يحدث فيها أمرٌ مهم ، وتعليق المُختَصِر على هذا
- ١٩٠ ..... حوادث سنة ١٢٢٧
- ١٩٠ ..... غزو عبد الله باشا ديار الأكراد ثم المتفق ، ومقتله
- ١٩٦ ..... حوادث سنة ١٢٢٨
- ١٩٦ ..... تولي سعيد باشا ولاية بغداد
- ١٩٦ ..... حوادث سنة ١٢٢٩
- ١٩٦ ..... غزو الخزاغل
- ١٩٧ ..... حوادث سنة ١٢٣٠
- ١٩٧ ..... مدح الوزير داود ، وطاعة بعض العرب له
- ١٩٨ ..... حوادث سنة ١٢٣١
- ١٩٨ ..... مقتل بُنيّه الجربا



|     |  |
|-----|--|
| ٢٠٠ | ابتداء ولاية داود باشا على بغداد ، وشيء من أخباره .....      |
| ٢٠٥ | حوادث سنة ١٢٣٢ .....   |
| ٢٠٥ | دخول الوزير داود بغداد .....                                 |
| ٢٠٥ | توجه عساكر محمد علي باشا لقتال الدولة السعودية .....         |
| ٢٠٩ | كذب المؤلف على أمير بريدة الشجاع حُجیلان بن حمد .....        |
| ٢١٠ | عودة لأخبار الوزير داود .....                                |
| ٢١٢ | حوادث سنة ١٢٣٣ .....   |
| ٢١٢ | حروب إبراهيم باشا مع الدولة السعودية .....                   |
| ٢١٤ | امتلاكه للأحساء .....  |
| ٢١٧ | حوادث سنة ١٢٣٤ .....   |
| ٢١٧ | الغارة على عشائر جُليحة وعِفك والصقور .....                  |
| ٢٢٠ | حوادث سنة ١٢٣٥ .....   |
| ٢٢٠ | الغارة على قبيلة الدُّليم .....                              |
| ٢٢٠ | الحملة على زوبع وُجُميلة وآل عيسى .....                      |
| ٢٢٠ | حوادث البابانيين .....                                       |
| ٢٢١ | ختان ابن داود باشا ! .....                                   |
| ٢٢٢ | حوادث سنة ١٢٣٦ .....   |
| ٢٢٢ | ورود مدافع ومهمات حربية من الدولة التركية للوزير داود .....  |
| ٢٢٢ | تحركات محمد بن خالد الباباني ، ومصرع يحيى آغا الخزندار ..... |

|     |                                   |
|-----|-----------------------------------|
| ٢٢٣ | خروج داود باشا للصيد              |
| ٢٢٤ | تحرّكات بابانية وتحرّشات إيرانية  |
| ٢٢٧ | ذكر وباء البصرة                   |
| ٢٢٨ | حوادث سنة ١٢٣٧                    |
| ٢٢٨ | حوادث محمد بيك الكتخدا ، وإفساده  |
| ٢٣٢ | حوادث سنة ١٢٣٨                    |
| ٢٣٢ | غزو شمّر الجربا لإيران            |
| ٢٣٤ | وقوع الفتنة في بلدة الزبير        |
| ٢٣٦ | يوم الرّضيمة                      |
| ٢٣٨ | يوم بصّالة                        |
| ٢٤٠ | حوادث سنة ١٢٤٠                    |
| ٢٤٠ | حرب المورة                        |
| ٢٤٥ | حوادث سنة ١٢٤١                    |
| ٢٤٥ | فتنة محمد الكتخدا في الحلة        |
| ٢٤٥ | أخبار مشيخة المتنفّق              |
| ٢٤٧ | إلغاء السلطان محمود للانكشارية    |
| ٢٤٩ | غضب السلطان على البكتاشية الروافض |
| ٢٥٠ | حوادث سنة ١٢٤٢                    |

تولي عقيل الثامر مشيخة المتفق ومحاصرة البصرة وبعض أخبار

|                                       |     |
|---------------------------------------|-----|
| المتفق .....                          | ٢٥٠ |
| عفو داود باشا عن شفلح شيخ زبيد .....  | ٢٥٩ |
| من قرأ عليهم الوزير داود العلوم ..... | ٢٦١ |
| في ذكر إجازاته من مشايخه .....        | ٢٦٤ |
| من أخذ العلم عن الوزير داود .....     | ٢٦٥ |
| خاتمة المختصر .....                   | ٢٦٦ |
| فهرس المحتويات .....                  | ٢٦٨ |